كتاب

ذيل الأمالى والنوادر

تأليف

أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى

ويليه :

كتاب "التنبيه" لأبى عُبيد البكرى

وفهارس :

بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن وقوافى الأبيات وغير ذلك

طبع على نفقة ملتزمه

إسماعيل يوسف دياب

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

كتاب

ذيل الأمالى والنوادر

تأليف

أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى

ويليه :

كتاب "التنبيه" لأبى عُبيد البكرى

وفهارس :

بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن وقوافى الأبيات وغير ذلك

طبع على نفقة ملتزمه



[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

فهرس

كتاب ذيل الأمالى والنوادر

كتاب النوادر

كتاب ذيل الأمالى والنوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

ذيل الأمالى والنوادر

قال أبو على إسماعيل بن القاسم القالى رحمه الله تعالى[1] أخبرنا أبو بكر بن دريد الأزدى قال حدّثنا الرياشى عن محمد بن سلام قال: كتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم: إنى نظرت فى عمرى فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحْوِى فى السِّنّ، وإن امرأً قد سار الى مَنْهَلٍ خمسين عاما لَقَمِنٌ أن يكون دنا منه، فسمع التيمى منه هذا فقال:

وإن امرأً قد سار خمسين حِجّةً * الى مَنْهَـلٍ مِنْ وِرْدِه لَقريب

[مطلب مرثية محارب بن دثار لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه]

قال أبو على قال أبو بكر وحدّثنا عبد الأوّل بن مَرْثَد قال حدّثنى أحمد بن المُعَدَّل قال: رَثَى مُحارب بن دِثار عُمَرَ بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فقال هذه الأبيات:

كم من شريعـةِ حَقٍّ قد أقَمْتَ لهم * كانت أُمِيتَتْ وأُخرى منك تُنْتَظر

يالَهْفَ نفسى ولهف الواجِدين معى * على النجوم التى تَغْتالُها الحُفَـر

ثلاثةٌ ما رأت عيـن لهم شَبَهًا * يَضُمُّ أعظُمَهـم فى المسجد المَدَر

فأنت تتبعهـم لم تأْلُ مُجْتَهِـدًا * سَـقْيًا لها سُنَنًا بالحق تُقتفَـر

لو كنتُ أملك والأقدار غالبـة * تأتى صَـبَاحًا وتَبْيَاتًا وتَبْتَكِـر

صَرَفْتُ عن عُمَرَ الخيرات مَصْرَعَهُ * بِدَيْرِ سِمْعانَ[2] لكن يَغْلِب القَـدَر

---

(١) وجد بهامش الأصل ملحقا بهذا الموضع وعليه علامة الصحة ما نصه: وحدّثنا النيسابورى قال حدّثنا حاجب بن سليمان قال حدّثنا مؤمل بن إسماعيل قال حدّثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء بن زيد بن خالد الجهنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فطر صائما أو جهز غازيا كان له مثل أجره". (٢) دير سمعان بكسر السين وفتحها: دير بنواحى دمشق فى موضع نزه وبساتين محدقة به وعنده قصور ودور، وبه قبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه.

قال وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال حدّثنا أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا الرياشى عن العتبى عن أبيه قال : رأيت امرأة بِضَرِيّة[1] جالسةً عند قبر تبكى وتقول هذه الأبيات :

ألا مَنْ لى بأُنسك يا أُخَيَّا * ومن لى أن أبثّك ما لَدَيَّا
طَوَتْكَ خطوبُ دهرك بعد نَشْر * كذاك خطوبه نَشْرًا وطَيَّا
فلو نَشَرَتْ قُواك لِىَ المَنَايا * شكوتُ اليك ما صَنَعَتْ إليَّا
بَكَيْتك يا أُخَىَّ بدمع عينى * فلم يُغْنِ البكاء عليك شَيَّا
وكانت فى حياتك لى عِظَاتٌ * فأنت اليومَ أوْعَظُ منك حَيَّا

[مطلب قصيدة الأبيرد الرياحى التى رثى بها أخاه بريدا وشرح غريبها]

قال وأنشدنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش للأُبَيْرِد بن المُعَذَّر الرِّياحى يَرْثى أخاه بُرَيْدًا

تَطَاول لَيْلِى لم أَنَمْهُ تَقَلُّبا * كأنَّ فراشى حالَ مِنْ دونه الجَمْر
أُراقب من ليل التِّمام نجومه * لَدُنْ غاب قَرْنُ الشمس حَتَّى بدا الفجر
تَذَكُّر عِلْقٍ بانَ منا بنَصْره * ونائله، يا حَبَّذا ذلك الذُّكْر
فإن تكُنِ الأيَّام فَرَّقْنَ بيْنَنا * فقد عَذَرَتْنا فى صَحابته العُذْر
وكنت أرَى هَجْرًا فِراقَكَ ساعةً * ألا لا بَلِ الموتُ التَّفَرُّق والهجر
أَحَقًّا عباد الله أن لَسْتُ لاقيا * بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهرِ ما لأْلأ العُفْر
فَتًى ليس كالفِتْيان إلَّا خِيَارهم * من القوم جَزْلٌ لا ذَليلٌ ولا غُمْر
فتى إن هو استغنى تَخَرَّق فى الغِنى * وإن كان فَقْرٌ لم يَؤُدْ مَتْنَه الفَقْر
وسامَى جَسِيمات الأمور فَنَالَها * على العُسْر حتى يدرك العُسْرَةَ اليُسْر
تَرَى القومَ فى العَزَّاء ينتظرونه * اذا شَكَّ رأىُ القوم أو حَزَبَ الأمر
فَلَيْتَك كُنْتَ الحَىَّ فى الناس باقيا * وكنتُ أنا المَيْتَ الذى ضَمَّه القبر
فتى يَشْتَرِى حُسْنَ الثناء بماله * اذا السَّنةُ الشَّهْباء قَلَّ بها القَطْر

(١) ضرية : قرية بنجد فى طريق البصرة الى مكة وينسب اليها حمى ضرية، ينزلها حاجّ البصرة، لها ذكر فى أيام العرب وأشعارهم .

كأن لم يُصاحبنا بُرَيْدٌ بغِبْطةٍ * ولم تأْتِنا يوما بأخباره البُشر
لَعَمْرِى لَنِعْمَ المرءُ عالَى نَعِيَّه * لنا ٱبنُ عَرِينٍ بعد ما جَنَح العَصْر
تَمَضَّت به الأخبار حتى تَغَلْغَلَتْ * ولم تَثْنِه الأطباعُ عنا ولا الحُذْر
فلما نَعَى الناعى بُرَيْدًا تَغَوَّلَتْ * بِىَ الأرض فَرْطَ الحُزْن وٱنقطع الظهر
عَساكِرُ تَغْشَى النفسَ حتى كأنَّنى * أخو نَشْوةٍ دارت بِهامَتِه الخَمْر
الى الله أشكو فى بُرَيْدٍ مُصيبتى * وبَثِّى وأحزانا يَجِيش بها الصَّدْر
وقد كنتُ أسْتَعْفِى الاله اذا ٱشتكى * من الأجر لى فيه وإن سَرَّنى الأَجْر
وما زال فى عَيْنَىَّ بعدُ غِشاوةٌ * وسَمْعِىَ عما كنت أسمعه وَقْر
على أننى أقْنَى الحَياءَ وأتَّقِى * شَماتةَ أقوام عيونهمُ خُزْر
لحَياكَ عنِّى الليلُ والصبح إذ بدا * وهُوجٌ من الأرواح غُدْوتُها شهر
سَقَى جَدَثًا لو أستطيع سَقَيْتُه * بأَوْد فَرَوَّاهُ الرَّواعِدُ والقَطْر
ولا زال يُسْقَى من بلاد ثَوَى بها * نبات اذا صاب الرَّبيعُ بها نَضْر
حلفتُ بربِّ الرافعين أكُفَّهم * وربِّ الهدايا حيث حَلَّ بها النَّحْر
ومُجْتَمَعِ الحُجّاج حيث تَوافَقَتْ * رِفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جَأْر
يَمينَ ٱمرئٍ آلَى وليس بكاذب * وما فى يَمِينٍ بَتَّها صادقٌ وِزْر
لئن كان أمْسَى ٱبنُ المُعَذَّر قد ثَوَى * بُرَيْدٌ لَنِعْمَ المرءُ غَيَّبه القَبْر
هو المرء للمعروف والبِرِّ والنَّدَى * ومِسْعَرُ حَرْبٍ لا كَهامٌ ولا غُمْر
أقام ونادَى أهلُه فتحمَّلوا * وصُرِّمَتِ الأسباب وٱخْتَلَف النَّجْر
فأىَّ ٱمرئٍ غادَرْتُمُ فى مَحَلِّكم * اذا هى أمْسَتْ لونُ آفاقها حُمْر
اذا الشَّوْلُ(١) راحت وهى حُدْبٌ ظهورُها * عِجافًا(٢) ولم يُسْمَع لفَحْلٍ لها هَدْر
كثير رمادِ النار يُغْشَى فِناؤُه * اذا نُودِى الايْسار وٱحتُضِر الجُزْر

(١) الشول جمع شائلة ، وهى الناقة التى خفّ لبنها وٱرتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من وقت نتاجها فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن أى بقية ، مقدار ثلث ما كانت تحلب حِدْثانَ نتاجها . (٢) عجاف : هزلى ، وهو جمع أعجف وعجفاء .

فَتًى كان يُغْلِى اللحمَ نِيئًا ولَحْمُه * رَخيص بكَفَّيْه اذا تَنْزِلُ القِدْر
يُقَسِّمه حتى يَشْبع ولم يكن * كآخَرَ يُضْحِى من غَبِيبَته ذُخْر
فتى الحَىِّ والأضياف إن رَوَّحَتْهمُ * بَليلٌ وزادُ القوم إن أرمَلَ السَّفْر
إذا جَهَدَ القومُ المَطِىَّ وأدْرَجَتْ(١) * من الضُّمْر حتى يَبْلُغَ الحَقَبَ الضَّفْر
وخَفَّت بقايا زادهم وتَوَاكَلُوا * وأكْسَفَ بالَ القوم مَجْهولةٌ قَفْر
رأيت له فَضْلًا عليهم بقُوَّةٍ * وبالعَقْر لَمَّا كان زادَهُمُ العَقْر
إذا القومُ أسْرَوْا ليلَهم ثم أصبحوا * غَدَا وهو ما فيه سِقَاطٌ(٢) ولا فَتْر
وإن خَشَعَتْ أصواتُهم وتَضَاءلَتْ * من الأَيْن جَلَّى مثلَ ما يَنْظُر الصَّقر
وإن جارةٌ حَلَّت اليه وَفَى لها * فباتَتْ ولم يُهْتَكْ لجارته سِتْر
عَفِيفٌ عن الفحشاء ما التَبَسَتْ به * صَليبٌ فما يُلْفَى بِعُودٍ له كَسْر
سَلَكْتَ سبيلَ العالَمين فمالَهم * وراءَ الذى لاقَيْتَ مَعْدًى ولا قَصْر
وأَبْلَيْتَ خيرًا فى الحياة وإنما * ثوابُك عندى اليومَ أن يَنْطِقَ الشِّعْر
لِيَفْدِكَ مَوْلًى أو أخٌ ذو ذَمامةٍ(٣) * قليلُ الغَنَاء لا عَطاءٌ ولا نصر

قال أبوعلى قال أبو الحسن: من روى لم أنمه جعله مفعولا على السعة، كما قالوا اليومَ صُمْتُه، والمعنى لم أنم فيه وصمت فى اليوم، جعله مثل زيد ضربته . ونصب تَقَلُّبًا بالمعنى، كأنه قال : أتقلب تقلبا، لأن لم أنمه بدلٌ منه .

قال أبو على : ليلُ التِّمام بالكسر لاغير، ولا تنزع منه الألف واللام فيقال ليل تِمام، فأما فى الوَلَد فيجوز الكسر والفتح ونزع الألف واللام، فيقال : وُلِدَ الولد لِتِمام ولِتَمام ، وأما ما سواهما فلا يكون فيه إلا الفتح، يقال : خُذْ تَمامَ حقِّك، وبَلَغ الشىءُ تَمامَه ، فأما المَثَل فبالكسر، وهو قولهم : « أَبَى قائلُها إلّا تِمًّا » . وقَرْنُ الشمس : حَرْفُها . قال أبو الحسن من رفع تَذَكُّرُ فكأنه قال : أمرى تَذَكُّرُ عِلْقٍ، ومن نصب فكأنه قال : أَتَذَكَّرُ ، وما قبله من الكلام بدل منه .

(١) الإدراج : أن يضمر البعير فيضطرب بطانه حتى يستأخر الى الحقب فيستأخر الحمل وإنما يسنَّف بالسِّناف مخافة الإدراج .
(٢) يقال : ساقط الفرس العَدْوَ سقاطا اذا جاء مسترخيا . (٣) الذمامة بفتح الذال وكسرها : العهد .

قال أبو على : العِلْقُ هو الشىء النفيس من كل شىء . والعَلَق : الحُبُّ ، والعَلَاقة أيضا : الحُبُّ والعرب تقول : «نَظْرةٌ مِن ذى عَلَقٍ» أى من ذى حب . والعَلَق : الدود الذى يكون فى الماء . والعَلَق : الدم . فأما العِلَاقة بالكسر فهو ما يُعَلَّق به السَّوْط وما أشبهه . قال أبو الحسن : أَنَّثَ عَذَرتْنا ، لأن العُـذْر فى معنى المَعْذِرة والعِذْرة والعُذْرَى ، فكأنه قال : عَذَرتْنا المَعْذِرة . قال وأخبرنى محمد بن يزيد قال : العُذْر جمع عُذْرة مثل بُسْرة و بُسْر . قال : وهو أبلغ فى المعنى الذى أراد ، لأنه يكون فيه معنى التكثير ، يقال : عَذَره عُذْرا بعـد عُذْر ، كأنه قال : عَذَرتْنا المَعَاذِير . والصَّحَابة والصُّحْبة واحد ، قال أبو على : وهذا أمثل لأنه جَعَل للعُذْر صَحَابة . قال أبو الحسن : وسَرَق عبد الصمد بن المُعَذَّل معنى قوله :

وكنت أرى هجرا فراقك ساعة * ألالا بل الموت التفرّق والهجر

فقـال :

المَوتُ عنـدى والفِـرَا * ق كلاهما ما لا يُطَاقُ
يَتَعَاونانِ على النفـو * س فذَا الحِمام وذا السِّياقُ (١)
لو لم يكن هذا كذا * ما قيـل موتٌ أو فراقُ

قال أبو الحسن قوله : أَحَقًّا عند أهل العربية فى موضع ظرف ، كأنه قال أَفى حَقٍّ عِبادَ الله . ولَأْلَأَ : حَرَّك ، قال أبو على : العرب تقول : لا آتيك ما لَأْلَأَ العُفْر أى ما حركت أذنابها ، قال عدى ابن زيد :

يُلَأْلِئْنَ الأكُفَّ على عَدِىٍّ * ويُعْطِفُ رَجْعُهُنَّ الى الجُيُوب

قال أبو الحسن : خِيارهم بدَلٌ من الفتيان ، وهذا بدل البعض من الكل ، كأنه قال : فتى ليس إلا كخِيار الفتيان . والجَزْل : القَوِىُّ ، ومنه قيل : حَطَبٌ جَزْل اذا كان قويا غليظا . قال أبو على قال الأصمعى : الجزل من الرجال الجيِّد الرأى .

قال أبو على : الغُمْر والمُغَمَّر : الذى لم يُجَرَّب الأمور . والغَمْر بالفتح : السَّخِى الكثير العطاء ، قال كثيِّر :

غَمْـر الرِّداء اذا تبسَّم ضاحكا * غَلِقَتْ لضَحكته رِقابُ المـال

(١) يقال : ساق المريض سوقا وسياقا : شرع فى نزع الروح ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

و إنما قال: غَمْرُ الرداء، لأنه أراد بقوله سَخِيَّ الرجال. والعرب تفعل هذا فتقول: فِدًى لك ردائى، وفِدًى لك إزارى، و يريدون بذلك أبدانَهم . والغَمْر : الغزير من المـاء . والغُمَر : القَـدَح الصغير الذى يَسَع دون الرِّىِّ، ومنه قيل : تَغَمَّرْت أى شَرِبت الغُمَر . والغَمَر الذى يَعْلَق باليد من الزُّهُومة: بفتح الغين والميم، يقال : يَدٌ غَمِرة . والغِمْر : الحِقْد، يقال : غَمِر صَدْرُه علَىَّ . ودَخَلْت فى غُمار الناس وخُمار الناس، وغَمَر الناس، وخَمَر الناس أى فى جماعتهم . والغَمْرة بفتح الغين وسكون الميم : الحَيْرة.

قال أبو الحسن : وتَخَرَّق : تَوَسَّع، والخَرْق : الواسع من الأرض . قال أبو على : والخِرْق بكسر الخاء : السَّخِىُّ من الرجال الذى يَتَوَسَّع فى العطاء. قال أبو الحسن : يَؤُدْ : يُثْقِل، قال الله عز وجل: ﴿ولا يَؤُودُه حِفْظُهُما﴾ أى لا يُثْقِله . قال أبو على : وسامَى : عالَى . قال أبو الحسن : يقال: العُسْرة والعُسْر، ولا يقال: اليُسْرة كما يقال اليُسْر . وقال أبو الحسن : العَزَّاء : الذى يَعُزُّك أى يَغْلِبك ويَقْهَرك .

قال أبو على : الشَّهْباء : السنة التى يكثر الجَليد فيها من شدّة البرد، وهذا أكثر ما يكون عندهم من الشَّمال، لأنها فى بلادهم باردة يابسة تُفَرِّق السحاب، ولذلك سَمَّوْها "مَحْوَة" غيرَ مصروفة لأنها تمحو السحاب . قال أبو الحسن : البُشْر جمع بَشِير، قال : وكان ينبغى أن يقول البُشُر فأسكن للضرورة . قال أبو على : وهذا عندى جائز حَسَن مثل كُتُب وكُتْب و رُسُل ورُسْل . و بالتخفيف يقرأ أبو عمرو آبن العلاء فى أكثر القرآن . قال أبو الحسن : وجَنَح : مال . والعَصْر : العَشِىّ . قال أبو على : والعَصْران : الغَدَاةُ والعَشِىُّ ، وكذلك البَرْدان . قال أبو الحسن : تَغَلْغَلَتْ : دخلت، ويقال : غلَّ فى الشىء وآنغَلَّ فيه اذا دخل فيــه . قال أبو الحسن : والأطباع أراد بها الخواتم، والطابَع : الخاتَم لحذف الزائد فصار طَبَعًا ، بجمعه على أطباع مثل قَتَب وأقتاب وجَمَل وأجمـال . قال : ويروى : الأصناع يريد المَصانع ، وواحدها مَصْنَعة ، لحذف الهـاء لأنها بمنزلة آسم ضم الى آسم ، ثم حذف الزائدة الأولى فصار صَنَعا بجمعه أصناعا . قال أبو على : أصناع جمع صِنْع وهو مَحْبِس المـاء .

قال أبو الحسن : تَغَوَّلَتْ بى الأرض أى ذهبت بى، ومنه : «غالَتْهُ غُول» أى اذهبته وأهلكته، ومنه الغَضَب غُولُ الحِلْم . قال أبو على : تَغَوَّلَتْ : تلونت، كأنه آستدارت به الأرض فتلونت فى عينه مما أصابه .

قال أبو الحسن : أَقْنَى : أَلْزَم، يقال : قَنِيَ حياءَه إذا لَزِمَه . قال أبو الحسن : أَوْد : موضع، ويروى : أُود أيضا، فلا أدرى أهما آسمان لموضع واحد جاءا على لغتين أو أَوْدُ غير أُود، فأما فى بيت جرير فلا يروى إلا بالضم وهو قوله :

أَهَوًى أراكَ برامَتَيْن وَقُودا * أم بالجَنيبة منْ مَدَافِع أُودا

قال أبو على : الوَقُود بفتح الواو : الحطب، وبضمها : اللهب . والجُؤار : مصدر جَأَرَ يجأَر جأْرًا، والجُؤَار : الاسم، وهو صوت مع تَضَرُّع . قال أبو على : والكَهَام الكَليل الحدّ من السيوف، وأراد به ها هنا الرَّجُل . والنَّجْر والنِّجار والنُّجار : الأصل، والنِّجَار أيضا : اللون . قال أبو الحسن : وقد يكون النِّجار جمع نَجْر . قال : والغَبِيبة : اللحم المتغير الريح . قال أبو على : والبَليل الريح الباردة التى معها بَلَل . قال : وأَرْمَلَ السَّفْر : نَفِدَتْ أزوادُهم، وكذلك أَقْوَوْا، وهما عندى من الرَّمْل والقِوَاء وهو القَفْر، كأنه صار بموضع ليس فيه شيء غير الرمل وبالموضع الخالى الذى لا يجد فيه شيئا ، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل من نَفِدَ زاده : قد أَرْمَلَ وقد أَقْوَى، قال الله تعالى : (نحن جَعَلْناها تَذْكِرَةً ومَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) . قال : والضُّفْر : حبل مضفور يجعل فى أعالى الحِمْل، والحَقَبُ فى أسفله ، فيقول : منْ شدَّة ضُمْره بَلَغ الأعلى الأسفلَ . وأَكْسَفَ : غَيَّر . والبالُ : الحال . وتَضَاءَلَتْ : ضعفت . وجَلَّى : بَيَّنَ، كذا قال أبو الحسن ، قال أبو على : وهو جيّد فى الاشتقاق، وقد رأى أبو عبيدة : وجَلَّى ببصره اذا رَمَى به . ويُلْفَى : يُوجَد، ويروى : يُلْقَى بالقاف . قال أبو الحسن : ينطق الشِّعْر، ينطق ها هنا : يُبيِّن .

[مطلب ما تمثّل به الحجاج لما قام على قبر آبنه أبان وما دار بينه وبين ثابت بن قيس الأنصارى]

قال أبو على : حدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال حدّثنا سعيد بن هارون عن التَّوَّزى عن أبى عبيدة قال : لما هَلَكَ أبانُ بن الحَجَّاج، وأُمُّه أم أبان بنت النعمان بن بشير، فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتَمَثَّل بقول زياد الأعجم :

ألآنَ لما كُنْتَ أكْمَلَ مَنْ مَشَى * وآفْتَرَّ نابُكَ عن شَبَاة القارح

وتكاملت فيك المروءة كلها * وأَعَنْتَ ذلك بالفَعَال الصالح

فلما آنصرف الى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصاري، فأتاه . فقال : أنشدني مَرْثِيَتَك فى آبنك الحسن، فأنشده :

قد أكْذَبَ اللهُ من نَعَى حَسَنًا * ليس لتكذيب مَوْتِهِ ثَمَنُ
أَجُولُ فى الدّارِ لا أراك وفى الدار أناس جِوارُهُم غَبَنُ
بُدِّلْتُهم منك لَيْتَ أنَّهُمُ * أَضْحَوْا وبينى وبينهم عَدَنُ

فقال له الحجاج : ارْثِ ٱبنى أبان، فقال له : إنى لا أجد به ما كنت أجد بحَسَن . قال : وما كنت تَجِدُ به؟ قال : ما رأيته قطّ فَشَبِعْت من رؤيته، ولا غاب عنى قط إلا ٱشتقت إليه . فقال الحجاج : كذلك كنت أَجِدُ بأبان .

[مطلب فى أن قصيدة ٱبن أحمر : شط المزار بجدوى ... مدح بها النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى]

قال أبو على : وحدّثنى أبو عبد الله عند قراءتى عليه قصيدة ٱبن أحمر :

* شَطَّ المَزارُ بجَدْوَى وٱنتهى الأَمَلُ *

قال : مدح بهذه القصيدة النعمان بن بَشِير بن سعد الأنصارى ، وبَشِير بن سعد عقَبِىٌّ[١] بَدْرِىٌّ[٢] ، أنصارى ، والنعمان أول مولود ولد فى الإسلام من الأنصار، وآخر من وَلِىَ الكوفة لمعاوية بن أبى سفيان، وقتلته كلب فى فتنة مروان، وكان عثمانيا .

[مطلب قصيدة زياد الأعجم التى رثى بها المغيرة بن المهلب وشرح غريبها]

وقرأت قصيدة زياد الأعجم على أبى بكر بن دريد فقال : زياد الأعجم كنيته أبو أمامة ، وكان فى كتابى للصَّلَتان فقال هو : هى لزياد الأعجم ، وكان ينزل إصْطَخْر، ورثى بهذه القصيدة المغيرة بن المهلب بن أبى صُفْرة . قال : وأنشدنا هذه القصيدة أبو الحسن الأخفش لزياد الأعجم، وفى الروايتين اختلاف وتقديم وتأخير فى الأبيات، ورواية أبى بكر أتم، أوّلها فى روايته :

يامَنْ بمَغْدَى الشمس أو بمَرَاحِها * أو من يكون بقَرْنِها المُتَنازِح

وروى أبو الحسن : أو من يَحُلّ بقَرْنِها، وروى هذا البيت فى وسط القصيدة :

قُلْ للقَوافل والغُزَاة إذا غَزَوْا * للباكرين وللْمُجِدِّ الرائح

---

(١) عقبى : حضر بيعة العقبة . (٢) بدرى : حضر غزوة بدر .

وروى أبو الحسن : والغَزِىِّ اذا غَزَوْا والبا كِرِين، وهذا البيت أول القصيدة :

إن السَّماحة والمُـروءة ضُمِّنَـا * قـبرًا بمَرْوَ على الطـريق الواضح

فاذا مَرَرْت بقـــبره فاعْقِـرْ به * كُوم الجِـلَاد وكلَّ طِرْفٍ سابح

ويروى : طِرْف طامح .

وانْضَح جوانب قـــبره بدمائها * فلقـد يكون أخا دَمٍ وذبائح

وٱظْهَـرْ بِبِزَّته وعَقْـدِ لوائه * وٱهْتِف بدَعْوة مُصْلِتِين شَرَامح

آبَ الجُنود مُعَقَّــلا أو قافلا * وأقام رَهْنَ حَفِـيرة وضَرَائح

وأرى المكارم يَوْمَ زِيلَ بنَعْشـه * زَالت بفَضْـــل فواضل ومدائح

رَجَفَتْ لمَصْرَعه البلادُ وأصبحت * منَّا القـــلوبُ لذاك غَيْرَ صَحائح

ألآن لما كُنْتَ أكْمَل مَنْ مَشَى * وٱفْتَرَّ نابُك عن شَبَاة القـارح

وتكامَلَتْ فيــك المُروءةُ كلُّها * وأعَنْت ذلك بالفَــعَال الصالح

فَكَفَى لنـا حَزَنًا ببَيْتٍ حَــلَّه * إحدى المَنُون فليس عنه ببـارح

فَعَفَتْ منـابِرُه وحُطَّ سُرُوجُـــه * عن كل طامحةٍ وطِرْفٍ طامح

واذا يُنَـاح على آمرئٍ فتَعلَّمَنْ * أنَّ المغـيرة فوق نَوْح النائح

تَبْكِى المغـــيرةَ خَيْلُنا ورماحُنـا * والباكيـاتُ بـــرَنَّةٍ وتَصايح

مات المُغيرةُ بعــــد طول تَعرُّض * للموت بين أسِـــنَّة وصفائح

والقَتْلُ ليس الى القتال ولا أرى * سببـا(١) يُؤَخِّر للشـــفيق الناصح

لله در منِيَّـــةٍ فاتت به * فلقـــد أراه يَرُدُّ غَرْبَ الجامح

ولقـــد أراه مُجَفِّفـا أفراسَـــه * يَغْشَى الأسِـــنَّةَ فوق نَهْدٍ قارح

فى جَحْفَــــلٍ لجِبٍ ترى أبطاله * منـــه تُعَضِّل بالفَضَاء الفـاسح

يَقِص الحُزونة والسهولة إذ غدا * بزُهاء أرْعَنَ مثل ليــل جانح

ولقـــد أراه مُقَــدِّما أفراســـه * يُدْنِى مَرَاجِح فى الوَغَى لمَــرَاجح

---

(١) فى نسخة أخرى : «ميتا» .

فِتْيَـان عادِيةٍ لدى مُرْسَى الوغى * سَـنُّوا بسُنَّة مُعْلِمِين جَحاجِح
لَبِسوا السَّوابغ فى الحروب كأنها * غُدُرٌ تَحَيَّزُ فى بطون أباطح

قال أبو على : كذا أنشدناه أبو الحسن "تحيز" بالزاى ، فزاد أبو بكر "تَحَيَّرُ" بالراء ولم ينكر تحيز ، وكلاهما عندى جائز حسن . وروى أبو الحسن رحمه الله تعالى : "فى مُتُون أباطح" .

وإذا الضِّراب عن الطِّعان بدا لهم * ضَرَبُوا بمُرْهَفَة الصدور جوارح
لو عنـد ذلك قارعَتْه مَنِيَّةٌ * قَرِعَ[1] الحِواء[2] وضُمَّ سَرْح السارح
كُنْتَ الغِيـاث لأرضنا فتركْتَنا * فاليوم نصـبر للزمان الكالح
فانْعَ المُغـيرة للْغـيرة إذ غدت * شَـعْواء مُجْحِـرة لنَبْح النـابح
صَـفَّان مختلفان حين تَلاقَيـا * آبوا بوَجْهِ مُطَلِّق أو ناكح
ومُدَجَّجٍ كَرِه الكُماةُ نِزَاله * شاكى السـلاح مُسَايِفٍ أو رامح
قد زار كَبْش كتيبة بكتيبـة * يُودى لكَوْكَبِها برأس طامح
غَيْران دون نسائه وبنـاته * حامى الحقيقـة للحروب مُكاوِح
سَبقَتْ يداك له بعاجل طعنـة * شَهِقَتْ لمَنْفَـذِها أصول جوانح
والخيل تَضْبَحُ[3] بالكُماة وقد جرت * فوق النحور دماؤهـا بسـرائح
يا لَهْفَتا يا لَهْفَـتا لك كلما * خِيفَ الغِـرار على المُدِرّ الماسح
تَشْفِى بحِلْمِك لابن عمك جَهْـلَه * وتَذُبُّ عنـه كِفاحَ كل مكافح
وإذا يَصُول بك ابْنُ عَمِّك لم يَصُلْ * بمُوَاكِلٍ وَكَلٍ غَـداةَ تَجـالُحُ
صِـلٌّ يَمُوت سَلِيمُه قبـل الرُّقَى * ومُخَاتِل لِعَـدُوِّه بتصافح
وإذا الأمورُ على الرجال تَشَابَهَتْ * وتُنُـوزِعَتْ بمَغَالق ومَفَاتح
فَتَـلَ السَّحِيلَ بمُـبْرَم ذى مِرَّةٍ * دون الرجال بفَضْل عقـل راجح
وأرى الصَّعالِك للغـيرة أصبحت * تَبْكِى على طَلْقِ اليدين مسامح
كان الرَّبِيعَ لهم اذا انْتَجَعُوا الندى * وخَبَتْ لوامعُ كل برق لامح .

(١) قرع : خلا . (٢) الحواء : مجتمع بيوت الحى . (٣) تضبح : تعدو عدوا دون التقريب .

كانَ المُهَلَّبُ بالمغيرة كالذى * أَلْقَى الدِّلاءَ الى قَلِيب المائح

فأصاب جُمَّةَ ما آستقى فسقَى له * فى حوضه بنوازع ومواتح

أيام لو يَحْتَلُّ وَسْطَ مفازة * فاضت معاطشها بِشِرْبٍ سائح

لم يرو أبو الحسن رحمه الله تعالى من قوله : "إن المهالب" الى قوله : "رفاع ألوية" .

إن المَهَالبَ لن يزالَ لها فَتًى * يَمْرِى قَوادم كل حرب لاقح

بالمُقْرَبات[1] لواحقًا[2] آطالُها[3] * تجتابُ سَهْلَ سَباسبٍ وصَحَاصِح[4]

متلببًا[5] تَهْفُو الكتائبُ حَوْلَه * مُلْح المُتُون من النَّضِيح الراشح

مَلِكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ يسمو له * طَرْفُ الصديق بِغَضِّ طَرْف الكاشح

رَفَّاع أَلْوِيَة الحروب الى العِدَا * بسُعُود طَيرٍ سانح وبَوارح

قال أبو على قال الأصمعى : الجَلَد : الكِبار من الابل التى لا صغار فيها، وأنشد :

تَوَاكَلَها الأزمانُ حتى أَجَأْنَها * الى جَلَدٍ منها قليلِ الأسافل

والأسافل : الصغار هاهنا . قال أبو على : وجمعها جِلَاد، وإنما قيل للكبار جَلَد، لأنها قد اشتدّت وصَلُبت ، ولم يُقل للصغار لأنها لينة رطبة . قال أبو على : وقوله مُصْلِتين يعنى أَصْلَتُوا سيوفهم أى سَلُّوها . والشَّرَامِح : جمع شَرْمَح وهم الطِّوال . وقوله مُجَفَّفًا أفراسه يعنى أَلْبَسَها التَّجَافيف . وتُعَضِّل: تَنْشَب، ومنه: عَضَّلَتِ القَطاةُ اذا نَشِب بيضُها فلم يخرج . وتَحَيَّزَ تَدَافَعَ . والمُكافِح : المُجَالِد بنفسه، ومنه لقيته كِفَاحًا . والمُكَاوِح بالواو : المجاهد .

قال أبو على : ويقال: فلان شاكى السلاح وشائك السلاح اذا كانت لسلاحه شَوْكة . وفلان شَاكٌّ فى السلاح اذا دخل فى الشِّكَّة ، والشِّكَّة : السلاح . والسَّرائح : السُّيور واحدها سَرِيحة وهى سُيور نعال الإبل . والوَكَلُ : الذى يَتَّكِل على غيره . والتَّجَالُح : التكاشف .

---

(١) المقربات : الخيل التى تدنى وتقرب وتكرم . (٢) لواحق : جمع لاحق يقال لحِق الفرس يلحَق لحوقا : ضمر (٣) آطال : جمع إطل بالكسر وبكسرتين وهو الخاصرة . (٤) سباسب وصحاصح : جمع سبسب وصحصح وكلاهما الأرض المستوية . (٥) المتلبب : المتحزم بالسلاح .

[مرثية أخت ربيعة بن مكدم فيه]

قال وأنشدنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال : أنشدنا أبو حاتم عن أبى عبيدة لأم عمرو أخت ربيعة ابن مُكَدَّم ترثى أخاها ربيعة وقتلته بنو سُلَيم :

ما بالُ عينك منها الدمع مُهْراق * سَحًّا فلا عازِبٌ عنها ولا راقى (١)

أبكى على هالك أَوْدَى فأَوْرَثنى * بعد التفرق حُزْنًا حَرُّه باقى

لو كان يَرْجِعُ مَيْتًا وَجْدُ ذى رحِمٍ * أَبْقَى أخى سالما وَجْدِى وإشفاقى

أو كان يُفْدى لكان الأهلُ كلُّهم * وما أُثَمِّر من مالٍ له واقى

لكن سهامُ المنايا مَنْ نُصِبْنَ له * لم يُنْجِه طِبٌّ ذى طِبٍّ ولا راقى

فاذْهَبْ فلا يُبْعِدَنْك اللهُ من رجل * لاقَى التى كلُّ حَىٍّ مثلَها لَاقِى

فسوف أبكيك ما ناحت مُطَوَّقةٌ * وما سَرَيْتُ مع السارى على ساقى

أبكى لِذِكْرَتِه عَبْرَى مُفَجَّعة * ما إن يَجِفُّ لها من ذِكْرِه ماقى

[مطلب قصيدة أبى بكر بن دريد]

وأنشدنا أبو على لأبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى :

على أَىِّ رَغْمٍ ظَلْتُ أُغْضِى وأَكْظِمُ * وعن أى حُزْنٍ بات دمعى يُتَرْجِم

أَجَدَّكَ ما تَنْفَكُّ أَلْسُنُ عَبْرةٍ * تُصَرِّح عَمّا كنتَ عنه تُجَمْجِم (٢)

كأنَّك لم تَرْكَبْ غُرُوبَ بَجَائِعٍ * شَبَاهُنَّ مِنْ هاتا أَحَدُّ وأَكْلَم

بَلَى غَيْرَ أن القلب يَنْكَؤُه الأَسَى الْـ * ـمُلِمُّ وإن جَلَّ الجَوَى المتقدِّم

وكم نَكْبةٍ زَاحَمْتُ بالصبر رُكْنَها * فلم يُلْفَ صبرى واهيا حين يَزْحَمُ

ولو عارَضَتْ رَضْوَى بأَيْسَرِ دَرْئِها * لَظَلَّت ذُرَى أقذافها تَتَهَدَّم

وقد عَجَمَتْنى الحادثاتُ فصادَفَتْ * صَبورًا على مكروهها حينَ تَعْجُم

ومن يَعْدَم الصبرَ الجميل فإنه * وَجَدِّك لا من يَعْدَم الوفْرَ مُعْدِم

---

(١) هكذا فى الأصل وفيه الإقواء وهو اختلاف العروض والضرب فى حركة الإعراب . (٢) الجمجمة : إخفاء الشيء فى الصدر .

أصارِفَةٌ عَنِّى بَوَادِرَ حَدِّها * بَجائعُ للعَلْياء تُوهِى وتَحْطِم
لها كلَّ يوم فى حِمَى المَجْد وَطْأَةٌ * تَظَلُّ لها أسبابُهُ تَتَجَذَّم
اذا أَجْشَمَتْ جَيَّاشَةُ مُصمِئلَّةٌ(١) * قَفَتْ إثْرَها دَهْياءُ صَمَّاءُ صَيْلَمُ(٢)
أَمِ الدَّهْرُ أنْ لَنْ تستَفيقَ صُروفُه * مُصَرَّفَةً تَحْوِى بَجائعَ يَقْسِم
وساءلتِ عن حَزْمٍ أُضيع وهَفْوةٍ * أُطِيعت وقد يَنْبُو الحُسَامُ المُصَمِّم
فلا تُشْعِرِى لَذْعَ المَلام فُؤادَه * فإنك مِمَّنْ رُعْتِ باللَّوْمِ أَلْوَم
ولم تَرَ ذا حَزْم وعَزْمٍ وحُنْكَةٍ * على القَدَرِ الجارى عليه يُحَكَّم
مَتَى دَفْعِ المرءُ الأريبُ بِحِيلةٍ * بَوادِرَ ما يُقْضَى عليه فيُبْرِم
ولو كُنْتُ محتالا على القَدَر الذى * نَبَا بِى لم أُسْبَقْ بما هو أَحْزَم
ولكنَّ من تُمْلَكْ عليه أمورُه * فمالِكُها يُمْضِى القضاءَ فَيَحْتِم
وما كنتُ أَخْشَى أن تَضاءَلَ هِمَّتى * فأُضْحِى على الأَجْنِ(٣) الصَّرَى أَتَلَوَّم
كأنَّ نَجِيًّا كان يَبْعَثُ خاطرى * قَرِينُ إسَارٍ أو نَزِيفٌ مُهَوِّم
وما كنتُ أَرْضَى بالدَّناءة خُطَّةً * ولى بين أطراف الأسِنَّة مُقْدَم
وما أَلِفَتْ ظِلَّ الهُوَيْنَى صَرِيمَتى(٤) * وكيفَ وحَدَّاها من السيف أَصْرَم
ألم تر أنَّ الحُرَّ يَسْتَعْذِب المُنَى(٥) * تُباعِدُه من ذِلَّةٍ وهْىَ عَلْقَم
ويَقْذِفُ بالأجرام بين لَهَا الرَّدَى * اذا كان فيه العِزُّ لا يَتَلَعْثَم
سأَجْعَل نفسى لِلْمَتالِف عُرْضَةً * وأَقْذِفُها للموت والموتُ أكرم
بأرضك فارْتَعْ أو الى القبر فارْتَحِلْ * فإن غريب القوم لَحْمٌ مُوضَّم
تَنَدَّمْتُ والتفريطُ يَجْنِى ندامة * ومن ذا على التفريط لا يَتَنَدَّم
يُصَانِعُ أو يُغْضِى العيونَ على القَذَى * ويُلْذَعُ بالمُدَّى فلا يَتَرَمْرَم
على أننى والحكمُ لله واثقٌ * بعزمٍ يَفُضُّ الخَطْبَ والخطبُ مُبْهَم
وقلبٍ لو انَّ السيفَ عارَضَ صَدْرَه * لَغَادر حَدَّ السيف وهو مُثَلَّم

(١) المصمئلة : الداهية . (٢) صيلم : شديدة . (٣) الأجن : الماء المتغير الطعم واللون . والصرى بالفتح والكسر : الماء يطول مكثه . (٤) صريمتى : عزيمتى . (٥) المنى : المنية .

الى مِقْوَل تَرْفَضُّ عن عَزَماته * أَوابِدُ للصُّمّ الشَّــوامِخ تَقْضِم
صَوائب يَصْرَعْن القلوبَ كأنَّما * يَمُجُّ عليها السَّمّ أَرْبَدُ أَرْقـم
وما يَدَّرِى[1] الأعداءُ من مُتَدَرِّع * سَرابيلَ حَتْفٍ رَشْحُها المسْكُ والدَّم
أَبَلَّ[2] نَجِيدٍ[3] بين أحناء سَرْجه * شِهابٌ وفى ثَوْبَيْه أضبطُ[4] ضَيْغَم
اذا الدهر أنحَى نَحْوَه حَدَّ ظُفْره * ثناه وظُفْرُ الدهر عنـه مُقَلَّم
وإن عَضَّــهُ خَطْبٌ تَلَوَّى بِنابِه * وأَقْلَع عنه الخَطْبُ والنابُ أَدْرَم
ولم تر مِثْلى مُغْضِــيا وهو ناظر * ولم تر مثــلى صامتًا يتَكَلَّم
وبالشِّعْر يُبْدِى المرءُ صَفْحة عقْله * فيُعْلِن منــه كلَّ ما كان يكْتُم
وسِيَّانِ من لم يَمْتَط اللُّب شِعْرَه * فيَمْلِك عِطْفَيْــه وآخر مُفْحَم
جَوائب أرجاءِ البــلاد مُطِلَّة * تُبيــد الليـالى وهى لا تَتَخَرَّم[5]
ألم تر ما أدَّتْ الينـا وسَيَّرَتْ * على قِدَم الأيام عادٌ وجُرْهُـم
هُمُ اقْتَضَبُوا الأمثال صَعْبًا قِيادُها * فَذَلَّ لهم منها الشَّرِيس الغَشَمْشَم
وقالوا الهَوَى يَقْظانُ والعقلُ راقدٌ * وذوالعقل مذكورٌ وذُو الصَّمْت أَسْلَم
ومما جَرَى كالوَسْم فى الدهر قولهم * على نفسه يَجْنِى الجَهُولُ ويُجْرِم
وكالنار فى يَبْس الهَشِيم مَقَالُهم * أَلَا إنَّ أصل العُود من حَيْثُ يُقْضَم
فقــد سَيَّرُوا ما لا يُسَــيَّرُ مثلَه * فصيحٌ على وجه الزمان وأَعْجَم

قال وحدّثنى أبو مسهر : أن الأحنف بن قيس خرج من عند معاوية رضى الله عنه ، فخَلَفَه بعضُ من كان فى المجلس فقَدَح فيه : فبَلَغ ذلك الأحنفَ فقال : « عُثَيْثَةٌ تَقْرِم جِلْدًا أَمْلَسا »[6] .

قال وأخبرنى عبــد الله بن إبراهيم الجمحى قال : نشأ فى قريش ناشئان : رَجُلٌ من بنى مخزوم ، ورجل من بنى جُمَح ، فَبَلَغا فى الوِداد ما لم يَبْلُغ بالغٌ حتى كان اذا رُؤِىَ أحدهما فكأنْ قد رُئِيا جميعا ،

(١) يقال : ادَّرى الصيد : ختــله ، يريد : وماذا عسى الأعداء يبلغون منى . (٢) الأبل : الخصم الألدّ القوى فى الخصومة . (٣) النجيد : الشجاع الماضى فيما يعجز غيره . (٤) الأضبط : الأسد . (٥) تخرم : تموت .
(٦) العثيثة مصغر عثة وهى سوسة تلحس الصوف ، يضرب للمجتهد فى الشىء لا يقدر عليه .

ثم دَخَلَتْ وحشةٌ بينهما من غير شيء يعرفانه فتغيرا . فلما كان ليلة من الليالى، استيقظ المخزومى فَفَكَّر ما الذى شَجَرَ بينهما ،وكان المخزومى يقال له محمد والجمحى يحيى، فنزل من سطحه وخرج حتى دَقَّ عليه بابه فآستيقظ له فنزل اليه، فقال له : ماجاء بك هذه الساعة؟ قال : جئتك لهذا الذى حَدَثَ ما أصله؟ وما هو ؟ قال فقال : والله ما أعرف له أصلا . قال عبد الله : فَبَكَيَا حتى كادا يُصْبِحان، ثم عاد كل واحد منهما الى منزله ، فأصبح المخزومىّ وهو يقول :

كنتُ ويَحْيَى كَيَدَىْ واحدٍ * نَرْمِى جميعا ونُرَامَى معا
يَسُرُّنِى الدهرُ اذا سَرَّه * وإن رُمِينا بالأذى أُوجِعا
حَتَّى اذا ما الشَّيْب فى مَفْرِقِى * لاح وفى عارضه أَسْرَعا
وَشَى وُشاةٌ فَرَّقُوا بيننا * فكاد حَبْلُ الوصل أن يُقْطَعا

وزاد غير عبد الله بن إبراهيم :

فلم أَلُمْ يحيى على وَصْله * ولم أقل خانَ ولا ضَيَّعا

قال وقال حدّثنا أبو سعيد السكرى قال: أُتِىَ عبد الملك بعُودٍ، فقال للوليد بن مسعدة الفزارىّ: ما هذا ياوَلِيد ؟ قال : عُودٌ يُشَقَّق ثم يُرَقَّق ثم يُلْصَق ثم تعلق عليه أوتارٌ ويُضْرَب به فيَضْرِب الكِرامُ رءوسها بالحيطان ، وآمرأته طالق ان كان أحد فى المجلس الا ويعلم منه مثل ما أعلم، أنت أوّلهم يا أمير المؤمنين .

قال اسحاق أنشدنى غِرَارة الخَيَّاط يهجو أبا السَّمَىِّ المُغَنِّى :

كأن أبا السَّمَىّ اذا تَغَنَّى * يُحَاكِى عاطسًا فى عَيْنِ شمس
يَلُوك بلَحْيِه طَوْرًا وطَوْرًا * كأنَّ بلَحْيِه ضَرَبان ضِرْس

قال إسحاق: وقع بين رجل وآمرأته شرٌّ فتهاجرا أياما،ثم وَثَب عليها فأخذ برجلها،فلما فرغ قالت: أخزاك الله! كُلَّما وقع بينى و بينك شر جئتنى بشفيع لا أقدر على رَدِّه ! .

وأنشد لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

إن يَأْخُذِ اللهُ من عَيْنَىَّ نورَهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبٌ ذَكِىٌّ وعَقْلٌ غير ذى رذل * وفى فمى صارم كالسيف مأثور

قال أبو الحسن : حفظى غير ذى دَخَلٍ .

قال وقال : بعث رَوْحُ بن حاتم الى كاتب له بثلاثين ألف درهم وكتب اليه : قد بعثت اليك بثلاثين ألف درهم لا أُقَلِّلها تكبّرا ولا أُكَثِّرها تَمَنُّنا ولا أَسْتَثِيبُك عليها ثناء ولا أَقْطَع بها عنك رجاء والسلام . وأنشد :

أَمُدُّ يدًا عند الوَداعِ قصيرةً * وأبْسُطها عند اللقاء فأُعْجَل

وأنشد أبو هفان عن إسحاق لنفسه :

سأَشْرَب ما دامت تُغَنِّى مُلَاحِظ * وان كان لى فى الشيب عن ذاك واعظ

مُلاحِظ غَنِّينا بعَيْشِك وليكن * عليك لما استحسنته منك حافظ

فأُقْسِم ما غَنَّى غِناءَك حاذقٌ * مُجِيدٌ ولم يلفظ كلفظك لافظ

وفى بعض هذا القول منى مَساءة * وغَيْظٌ شديدٌ للمُغَنِّين غائظ

[مطلب ما دار بين أبى عمرو بن العلاء وبعض الأعراب من سؤاله عن أرضه وماله ووصفه لها]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : لَقِيتُ أعرابيا بمكة ، فقلت له : ممن أنت ؟ قال : أَسَدِىٌّ ، قلت : ومن أَيِّهم ؟ قال : نَهْدِىٌّ ، قلت : من أى البلاد ؟ قال : من عُمَان ، قلت : فأَنَّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنا سَكَنَّا قُطْرًا لا نسمع فيه ناجِخَةَ التَّيَّار ، قلت : صِفْ لى أرضك ، قال : سِيفٌ أَفْيَح ، وفَضَاء صَحْصَح ، وجَبَل صَرْدَح ، ورَمْل أَصْبَح ؛ قلت : فما مالُك ؟ قال : النَّخْل ، قلت : فأَيْنَ أنت عن الإبل ؟ قال : ان النَّخْل حَمْلُها غِذاء ، وسَعَفُها ضِياء ، وجِذْعُها بناء ، وكَرَبُها[1] صِلاء ، وليفُها رِشاء ، وخُوصها وِعاء ، وقَرْوُها إناء .

قال أبو على : الناجخة : الصوت ، يقال للمرأة اذا كان يسمع لفرجها صَوْتٌ عند الجماع : نَجَّاخة . وفى رجز رؤبة :

* وَازْجُرْ بَنِى النَّجَّاخةِ الفَشُوشِ *

(١) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

والتَّيَّار المَوْج . والسِّيف : شاطئ البحر . وأفيح : واسع . والفضاء : الواسع من الأرض . والصَّحْصَح : الصحراء . والصَّرْدَح : الصُّلْب . والأصْبَح : الذى يعلو بياضَه حُمْرَةٌ . والرِّشَاء : الحَبْل . والقَرْو : وعاء من جِذْع النخل يُنْبَذ فيه ، وقال الكسائى : القَرْو : القَدَح كما قال الشاعر:(١)

* وأنْتَ بين القَرْوِ والعاصِر *

وقال غيره القَرْوُ : نَقِير من خشب يجعل فيه العصير والشراب ، قال أبو عبيد : وهذا أشبه .

[حديث ثبيت البصرى مع بعض الأعراب الذين نزلوا عليه]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال : أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة قال : كان بالبصرة رجل من موالى بنى سَعْد يقال له ثُبَيت ، وكان كثير الصلاة صالحا وكانت الأعراب تنزل عليه ، فنزل به قوم منهم ليلة فلم يُعَشِّهم وقام يصلِّى ، فقال رجل منهم :

لَخُبْزٌ يا ثُبَيتُ عليه لَحْمٌ * أَحَبُّ الىَّ من صوت القُرَان

تَبِيتُ تُدَهْوِرُ القُرآن حَوْلى * كأنَّك عند رأسى عُقْرُبان

فلو أطعمتنى خُبْزًا ولحما * حَمِدْتُكَ والطَّعامُ له مكان

وآختلفوا فى العُقْرُبان ، فقال قوم : هو ذَكَرُ العَقارب ، وقال قوم : هو دَخَّال الأذن ، وهو الوجه .

[حديث بعض الطفيليين]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا دَمَاذ قال أخبرنا أبو عبيدة قال : كان بالبصرة طُفَيْلِىٌّ صَفِيق الوجه لا يبالى ما أُقْدِم عليه ، فقال فيه بعض البصريين :

يَمْشِى الى المَدْعاة مُسْتَثْفِرًا(٢) * مَشْىَ أبى الحارث لَيْثِ العَرِين

لم تَرَ عَيْنِى آكلا مثله * يأكل باليُسْرَى معًا واليمين

تَلْعَب فى القَصْعة أطرافُه * لِعْبَ أخى الشِّطْرَنْج بالشاه بين

وعن دماذ أيضا قال : كان بالبصرة طفيلى قد آذى الناس ، فقال فيه بعض ظرفاء البصريين هذه الأبيات :

(١) هو الأعشى كما فى اللسان مادة « قرا » ، وصدر البيت : * أرمى بها البيداء إذ أعرضت *

(٢) الاستثفار : أن يدخل الرجل إزاره بين فخذيه ملويا ، يريد أنه يمشى اليها جادّا مشمّرا كالأسد .

وَضَعْتَ يديك فى التطفيل حتّى * كأنك من بنى جُشَمَ بنِ سَعْد
أو الجَعْراء جُنْدَبِها وكعب * فَشِيشةَ أو لِضَبَّةَ بِنْتِ أُدّ
أو الصُّعْرِ الأنوف بنى هُجَيم * لِرِيح قَلِيَّة العَوْد المُغَدّى

* * *

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى

من كان يزعم أن سَيَكْتُم حُبَّه * حتى يُشَكِّكَ فيه فهو كَذُوب
الحبُّ أغلب للفؤاد بقهره * من أن يُرَى للسِّتْر فيه نصيب
وإذا بدا سِرُّ اللَّبيب فإنه * لم يَبْدُ إلا والفتى مغلوب
إنِّى لأُبْغض عاشقا متسترا * لم تَتَّهِمْه أَعْيُنٌ وقلوب

* * *

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أحمد بن يحيى لعُرْوة بن الوَرْد يقوله للحَكَم ابن زِنْباع العَبْسى :

ولم أَسْأَلْكَ شيئا قبل هذا * ولٰكِنِّى على أَثَرِ الدَّليل

قال أبو على : قال أبو العباس يقول : دَلَّنِى عليك مَنْ يَحْمَدُك ، وهذا مثل معنى قول الأعشى :

فأقْبَلْتُ أرتاد ما خَبَّرُوا * ولو لا الذى خَبَّرُوا لم تَرَنْ

* * *

قال أبو على : حدّثنا أبو بكر قال حدّثنى أبى عن العباس بن ميمون قال حدّثنى العتبى قال قال أعرابى : فلان إذا نَظَرَتْ اليه مُومِسةٌ سَقَط خِمَارُها ، وإذا رَأَتْه العِيدَانُ تَحَرَّكَتْ أو تارها .

[مطلب تفسير قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك]

قال أبو بكر وحدّثنى أبى قال حدّثنى أبو سعيد الحارثى عبد الرحمن بن محمد بن منصور قال حدّثنا محمد بن سلام قال : سمعت يونس النحوى يقول فى قوله جل وعلا : ﴿فالْيَوْمَ نُنَجِّيك بِبَدَنِك﴾ نُنَجِّيك : نَجْعلك على نَجْوة من الأرض وهى المكان المرتفع . بِبَدَنِك : بدِرْعك ، وأنشد لأوس بن حجر :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدَبُه * يَكادُ يَدْفَعُه مَنْ قام بالراح
فَمَنْ بنَجْوتِه كَمَنْ بعَقْوتِه (١) * والمُسْتَكِنّ كمن يَمْشِى بِقِرْواح

[حديث إسماعيل بن أبى حكيم وماسمعه فى القسطنطينية من غناء بعض من تنصر من المسلمين]

قال أبو على : حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن بن خلف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا أبو عبد الله القرشى قال حدّثنا عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرنا آبن العلاء أحسبه أبا عمرو بن العلاء أو أخاه عن جُوَيْرِيَة بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حكيم قال : بعثنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فى الفِداء حين وَلِىَ، فبَيْنَا أنا أَجُول فى القُسْطَنطِينية إذ سمعت صوتا يَتغنَّى :

أَرِقْتُ وبان عَنِّى من يلوم * ولكن لم أَنَمْ أنا والهموم
كأنى مِنْ تَذَكُّر ما ألاقى * اذا ما أَظْلَمَ الليلُ البهيم
سَلِيمٌ مَلَّ منه أقْرَبُوه * وَوَدَّعَه المُداوِى والحَمِيم
وكَمْ بين العَقِيق الى المُصَلَّى * الى أُحُد الى ما حَازَ رِيم
الى الجَمَّاء من وجه أسيل * نَقِىّ الخَدّ ليس به كُلُوم
يُضِىء دُجَى الظلام إذا يراه * كضوء البدر مَنْظَرُه وَسِيم
ولَمّا أنْ دَنَا منّا ارتحالٌ * وقُرِّبَ ناجِياتُ السَّيْرِ كُوم
أَتَيْنَ مُوَدِّعات والمَطَايا * عَلَا أكوارها خُوصٌ هجوم
فقائلة ومُثْنِيَة علينا * تقول ومالَها فينا حَمِيم
وأُخْرَى لُبُّها معَنا ولكن * تَسَتَّرُ وهْى واجِمَة كَظُوم
تَعُدُّ لنا اللَّيالِىَ تَحْتَصِيها * مَتَى هو حائنٌ منّا قُدوم
متى تَرَ غَفْلَةَ الواشين عَنّا * تَجُدْ بدموعها العَيْنُ السَّجوم

قال أبو عبد الله القرشى: والشعر لنُقَيْلة الأشجعى (٢). قال : وسمعت العتبى يقول : صَحّف فى آسمه فقال : نُفَيلة . قال إسماعيل بن أبى حكيم : فسألته حين دخلت عليه، فقلت له : من أنت؟ قال: أنا الوَابِصِىُّ الذى أُخذت فعُذِّبت فجَزِعت فدخلت فى دينهم، فقلت : إن أمير المؤمنين بعثنى

(١) العقوة : الساحة حول الدار أو قريبا منها . (٢) أنظر الأغانى طبع بولاق (ج ٥ ص ١٨٣ ففيه تفصيل تحسن مراجعته فى قائل هذه الأبيات) .

فى الفـداء، وأنت والله أَحبُّ من أَفْدِيه إلىَّ إن لم تكن بَطَنْتَ فى الكفر، قال : والله لقـد بَطَنْت فى الكفر، فقلت له : أَنْشُـدُكَ اللهَ، قال : أَأُسْـلم وهذان ٱبناى! واذا دَخَلْتُ المدينة قال أحدهم يانصرانى! وقيل لولدىَّ وأُمِّهم كذلك! لا والله لا أفعل! فقلت له : لقد كنتَ قارئا للقرآن! قال : والله لقـد كنت من أَقرإ الناس، فقلت : ما بَقِىَ معك من القرآن؟ قال : لا شىء غير هـذه الآية ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا لو كانوا مُسْلِمين﴾ فعلمتُ أن الشقاوة غَلَبتْ عليه .

*
* *

قال أبو على أنشـدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أبو إسحاق إبراهيم ابن موسى بن جميل :

غَزَتْنى بجَيْش من محـاسن وجههـا * فَعَبَّا لهـا طَـرْفى لِيَـدْفَعَ عن قلبى
فلمـا التقى الجمعان أَقْبَـل طَـرْفُهَا * يريد اغتِصاب القلب قَسْرًا على الحرب
ولـما تَجارَحْنـا بأسـياف لَحْظِنـا * جعلت فؤادى فى يديهـا على العَضْب
ونادَيْت مِنْ وقع الأسِـنَّة والقنا * على كَبِـدِى يا صـاحِ مالى ولِلْحُب
فصرتُ صَرِيعـا للهوى وَسْط عَسْكَرٍ * قتيـلَ عيون الغانيات بلا ذنب

[مطلب أجواد أهل الحجاز والكوفة والبصرة]

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : أَجْوادُ أهل الحجاز ثلاثةٌ : عبدُ الله ٱبنُ جعفر، وعبيدُ الله بْنُ العباس، وسعيدُ بْنُ العاص . وأجوادُ أهل الكوفة ثلاثة : عَتَّابُ بن وَرْقاء، وأسماء بن خارجة، وعِكْرمة بن رِبْعِىٍّ . وأجواد أهل البصرة ثلاثة : عبيد الله بن أبى بَكْرة، وعُبَيد الله ٱبن معمر، وطَلْحة بن عبد الله الْخُزَاعى .

[مطلب تخطئة أبى حاتم قول العامة البصرة بكسر الصاد]

وسأل رجل أبا حاتم عن قول العامة : البَصِرة فقال : هو خطأ، إنما سميت البَصْرة للحجارة البِيض التى فى المِرْبَد، وأنشد :

سَقَى البَصْرَةَ الوَسْمِىُّ من غير حُبِّها * فإنَّ بها مِنِّى صَـدًى لا يَرِيمُها

وأنشدنا التوزى لعمر بن أبى ربيعة وكان قَدِم البصرة وأقام بها أياما :

حَبَّذَا البَصْرةُ أَرْضًا * فى ليـالٍ مُقْمِرات

قال وأنشدنا أبو حاتم لأعرابى من بنى تميم قدم البصرة فرأى أهلها :

ما أنا بالبَصْرةِ بالبَصْرِىِّ * ولا شَبِيهُ زِيِّهِم بِزِيِّى

قال أبو حاتم : ولو كانت البِصرةَ كما قيل ، ونَسَبْتَ اليها لقلت : بِصَرِىٌّ ، كما قالوا : نَمَرِىٌّ .

* * *

وأنشدنا أبو حاتم :

لا تأْمنِ الدَّهْرَ فى طَرْفٍ ولا نَفَس * وان تَمَنَّعْتَ بالحُجَّاب والحَرَس

فكم رأيت سِهامَ الموت نافذةً * فى جَنْبِ مُدَّرِعٍ منا ومُتَّرِس

وأنشدنا قال أنشدنا الرياشىّ :

وقد تَغْدُر الدنيا فيُضحِى غَنِيُّها * فقيرا ويَغْنَى بعدَ بُؤْسٍ فقيرُها

فلا تَقْرَبِ الأمْرَ الحَرام فإنه * حلاوتُه تفْنَى ويَبْقَى مَرِيرُها

فكم قَدْ رأَيْنا مِنْ تَكَدُّرِ عيشةٍ * وأُخْرَى صَفَا بعدَ اكْدِرارٍ غديرُها

* * *

وأخبرنا قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزى عن الأصمعى قال حدّثنا عيسى بن عمر قال : كان عندنا رجلٌ لَحَّانة فَلَقِىَ لَحَّانة مثله ، فقال : من أين أَقْبَلْتَ؟ فقال : منْ عند أَهْلُونا ، فَحَسَده الآخر، فقال : أنا والله أعلم من أين أخذْتَها ، أخَذْتَها من المُنْزَل ، قال الله عز وجل : ﴿شَغَلَتْنا أموالُنا وأَهْلُونا﴾ .

[مطلب إتيان أبى جبيل البرجمى حاتم طيئ فى دماء حلها عن قومه ومدحه إياه وإعطاء حاتم له المرباع]

وأخبرنا قال أخبرنا السكن بن سعيد قال أخبرنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب قال : كان أبو جُبَيْل [عبد][1] قيس بن خُفَاف البُرْجُمى أتى حاتم طيئ فى دماء حَمَلَها عن قومه ، فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتيَنَّ من يحملها عنى ؛ وكان شريفا شاعرا ، فلما قَدِم عليه قال : إنه وقعت [بينى و][1] بين قومى دماءٌ فتَوَاكَلُوها ، وإنى حملتها فى مالى وأَملى[2] فقَدَّمْتَ مالى وكُنْتَ أملى ، فإن تَحْمِلْها فرُبَّ حقٍّ قد قضيتَه ، وهمٍّ قد كفَيْتَه ، وإن حال دون ذلك حائل لم أَذْمُمْ يومَك ولم أيأس مِنْ غَدِك ، ثم أنشأ يقول :

(١) الزيادة عن كتاب الأغانى (ج ٧ ص ١٥٢) . (٢) كذا فى الأصل ، وعبارة الأغانى : «وإنى حملتها فى مالى وأهلى فقدمت مالى وأخرت أهلى وكنت أوثق الناس به فى نفسى فإن تحملتها فكم من حق قضيته وهمّ كفيته» (راجع ج ٧ ص ١٥٢ طبعة بولاق) .

حَمَلْتُ دماءً للبراجم جَمَّةً * بجئتك لما أَسْلَمَتْنِى البَراجِمُ
وقالوا سَفَاهًا لِمْ حملتَ دماءنا * فقلت لهم يَكْفِى الحَمالةَ حاتم
مَتَى آتِهِ فيها يَقُلْ لِى مَرْحَبًا * وأهلا وسهلا أخطأَتْك الأَشَائِم
فيحملُها عنى وان شئتُ زادنى * زيادة من حَلَّت اليه المَكارم
يَعِيش النَّدَى ما عاش حاتمُ طيئٍ * فان مات قامت للسَّخَاء مَآتم
يُنادِين مات الجُودُ مَعْك فلا تَرَى * مُجيبا له ما حام فى الجَوِّ حائم
وقال رجال أَنْهَبَ العامُ مالَه * فقلت لهم إنِّى بذلك عالم
ولكنّه يُعطِى مِنَ اموال طيئٍ * اذا جَلَّفَ(١) المالَ الحُقوقُ اللوازم
فَيُعْطِى التى فيها الغِنَى وكأنه * لتصغيره تلك العَطِيَّةَ جارم
بذلك أوصاه عَدِىٌّ وحَشْرَجٌ * وسَعْدٌ وعبدُ الله تلك القَمَاقِم

فقال له حاتم : إن كنتُ لَأُحِبُّ أن يأتينى مِثْلُك من قومك، هذا مِرْباعى من الغارة على بنى تميم، فخذه وافرا، فإن وَفَى بالحَمالة وإلا أكملتها لك، وهو مائتا بعير سِوَى نِيبِها وفِصَالِها، مع أنى لا أحب أن تُوبِس قومَك بأموالهم، فضَحِك أبو جبيل وقال : لكم ما أخذتم منا، ولنا ما أخذنا منكم، وأىُّ بعير دَفَعْتَه إلىَّ ليس ذَنَبُه فى يد صاحبه فأنت منه برىء، فدفعها اليه وزاده مائة بعير، فأخذها وانصرف راجعا الى قومه، فقال حاتم فى ذلك :

أتانى البُرْجُمِىُّ أبو جُبَيْلٍ * لِهَمٍّ فى حَمَالتِهِ طويلِ
فقلت له خُذِ المِرْباع رَهْوًا * فإنى لست أرضى بالقليلِ
على حال ولا عَوَّدْتُ نفسى * على عِلّاتها عِلَلَ البَخِيلِ
فخذها إنها مائتا بعيرٍ * سوى الناب الرَّذِيَّة(٢) والفَصِيل
فلا مَنٌّ عليك بها فإنى * رأيتُ المَنَّ يُزْرِى بالجزيل
فآب البُرْجُمِىُّ وما عليه * مِنَ اعباء الحَمالة من فَتِيل
يَجُرُّ الذَّيْلَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ(٣) * خفيف الظهر من حِمْلٍ ثقيل

(١) جلف المال : أذهبه وأفناه . (٢) الرذية : المهزولة . (٣) يقال : جاء ينفض مذرويه اذا جاء باغيا متهدّدا .

[مطلب ما وقع بين حاتم وسفانة بنته من لومه إياها على الجود وحجر أخواله على أمه لإفراطها فى السخاء]

قال وأخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبى مسكين الدارمى قال : كانت سَفَّانة بنتُ حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصِّرْمة من الإبل فتَهَبُهَا وتعطيها الناس، فقال لها أبوها : يا بُنَيَّة، أن الغَوِيَّيْن اذا اجتمعا فى المـال أتلفاه، فإما أن أُعْطِى وتُمْسِكى، وإما أن أُمْسِك وتُعْطِى، فإنه لا يبقى على هذا شىء؛ فقالت : والله لا أُمْسِك أبدا، فقال : وأنا والله لا أُمسِك أبدا، قالت : فلا نَتَجاوَرُ، فقاسمها ماله وتَبَايَنَا .

وحدّثنا قال حدّثنا السكن بن سعيد عن العباس عن أبيه قال : كانت غَنِيَّة بنت عَفِيف بن عمرو ابن عبد القيس وهى أم حاتم من أسخى النساء وأقراهم للضيف، وكانت لا تَلِيق شيئا تملكه، فلمـا رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها، فمكثت دهرا لا تصل الى شىء ولا يدفع اليها شىء من مالها، حتى اذا ظنوا أنها قد وَجَدَتْ ألم ذلك أَعْطَوْها صِرْمةً من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها، فقالت لها : دُونَكِ هذه الصِّرْمة فخُذِيها، فقد والله مَسَّنِى من ألم الجوع ما آلَيْتُ معه ألّا أَمْنَع الدهر سائلا شيئا، ثم أنشأت تقول :

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضَّنِى الجوعُ عَضَّةً * فآلَيْتُ ألّا أمنـع الدهر جائعـا
فقولا لهـذا اللائمى اليـومَ أَعْفِنِى * فإن أنت لم تفـعل فَعَضَّ الأصابعا
فماذا عَسَيْتُمْ أن تقولوا لأختكم * سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ من كان مانعا
ولا ما تَرَوْنَ(١) الخُلْقَ إلا طَبِيعـة * فكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

[مطلب ما وقع بين كعب بن زهير وزيد الخيل من المنافرة للفرس الذى أعطاه زهير أبو كعب زيد الخيل]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيـدة عن أبى عمرو بن العـلاء قال : خرج بُجَيْر ابن زُهَير بن أبى سُلْمَى فى غِلْمة يَجْتَنُون جَنَى الأرض، فانطلق الغِلْمة وتركوا ابن زهير، فمرّ به زَيْدُ الخيل الطائى فأخذه، ودارُ طيئٍ متاخِمةٌ لدور بنى عبـد الله بن غَطَفان، فسأل الغلام من أنت ؟ قال : أنا بجير بن زهير، فحمله على ناقة وأرسل به الى أبيه، فلما أتى الغلام أباه أخبره أن زيدا أخذه ثم خَلّاه وحَمَله . وكان لكعب بن زهير فرس من جياد خيل العرب، وكان كعب جسيما، وكان زيد الخيـل

(١) فى بعض المجاميع وماذا ترون اليوم الا طبيعة الخ .

من أعظم الناس وأجسمهم، وكان لا يركب دابة الا أصابت إبهامُه الأرض، فقال زهـير : ما أدرى ما أُثِيب به زيدا إلّا فرس كعب، فأرسل به اليه وكعبٌ غائب، فلما جاء كعب سأل عن الفرس، فقيل له : قد أرسل به أبوك الى زيد، فقال كعب لأبيه : كأنك أردت أن تُقَوِّى زيدا على قتال غَطَفان، فقال له زهير : هذه إبلى نخذ منها عن فرسك ما شئت . وكان بين بنى زهير وبين بنى مِلْقَط الطائيين إخاءٌ، وكان عمرو بن مِلْقَط وَفَّادًا الى الملوك، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أُوَارة فسأله فيهم فأطلقهم له، فقال كعب شعرا يريد أن يُلْقِى بين بنى مِلْقَط وبين رَهْط زيد الخيـل شَرًّا، فعرف زهير حين سمع الشعر ما أراد به، وعرف ذلك زيد الخيل وبنو مِلْقَط، فأرسلت اليه بنو مِلْقَط بفرس نحو فرسه، وكانت عند كعب امرأةٌ من غطفان لها شرف وحسب، فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنه أن تُؤَبِّسه[1] فى هِبَته عن أخيك، ولامَته . وكان قد نَزَل بكعب قبل ذلك ضِيفانٌ فنحر لهم بَكْرًا كان لامرأته، فقال لها : ما تَلُومِيننى إلا لمكان بَكْرِك الذى نَحَرْت لضيوفى، فَلَك به بَكْران وكان زُهَير كثير المـال، وكان كعب مجدودا فقال كعب :

ألا بَكَرَتْ عِرْسِى بِلَيْـل تَلُومنى * وأَكْثَرُ أحلام النساء الى الرَّدَى[2] .

وذكر فى كلمته زيدا، فقال زهير لابنه : هَجَوْتَ رجلا غير مُفْحَم، وإنه لَخَلِيقٌ أن يَظْهَر عليـك، فأجابه زيد فقال :

أفى كل عام مَأْتَمٌ تَجمعـونه * على مُجْمَـرٍ عَوْدٍ أُثِيب وما رُضِى[3]

تُجِدُّون خَمْشًا بعدَ خَمْش كأنّمـا * على سَيِّدٍ من خير قَوْمِكم نُعَى

يُحَضِّضُ جَبَّارًا عَلَىَّ ورَهْطَـه * وما صِرْمَتِى منهم لأول من سعى

تُرَعِّى بأذناب الشِّـعاب ودُونَها * رجالٌ يَصُدُّون الظَّلُومَ عن الهوى

ويَرْكَب يومَ الرَّوْع فيها فوارس * بَصيرون فى طَعْن الأباهر والكُلَى

تقول أرى زيدا وقد كان مُصْرِما * أَراه لعمرى قد تَمَـوّل واْقتَـنى

وذاك عطـاءُ الله فى كل غارةٍ * مُشَـمِّرة يوما اذا قَلَص الخُصَى

فلولا زُهَـيرٌ أن أُكَدِّر نعمة * لقاذَعْتُ كَعْبًا ما بَقِيت وما بَقَى

---

(١) تؤبسه : تصغره وتحقره . (٢) فى رواية : * وأقرب بأحلام النساء من الردى * (٣) رضى مبنى للفعول، وفتحت منه الضاد فتقلب الياء ألفا وهى لغة طائية .

[قدوم وفد العراق على معاوية وسؤاله لدغفل عن مسائل]

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا العتبى قال : قَدِم وَفْدُ العــراق على معاوية رضى الله تعالى عنه وفيهم دَغْفَلٌ ، فقال له معاوية : يادَغْفَل ، أخبرنى عن ابْنَىْ نزارٍ ربيعة ومضر أيهما كان أَعَزَّ جاهلِيَّة وعالمية؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مُضَرُ بن نزار كان أعَزَّ جاهلية وعالمية ، قال معاوية : وأىُّ مضر كان أعز؟ قال : بنو النضر بن كنانة ، كانوا أكثرَ العرب أمجادا ، وأرفعهم عِمَادا ، وأعظَمهم رمادا ، قال : فأىُّ بنى كنانة كان بعدهم أعز؟ قال : بنو مالك بن كنانة ، كانوا يَعْـلُون مَنْ ساماهم ، ويَكُفُّون من ناواهم ، ويَصْــدُقُون مَنْ عاداهم ، قال : فَمَنْ بعدهم؟ قال : بَنُو الحارث بن عبــد مَنَاة آبن كنانة ، كانوا أَعَزَّ بنيــه وأَمْنَعهم ، وأجودهم وأَنْفَعَهم ، قال : ثُمَّ مَنْ بعــدهم؟ قال : بنو بكر بن عبد مناة ، كان بأسهم مرهوبا ، وعَدُوُّهم منكوبا ، وثأرهم مطلوبا ، قال : فأخبرنى عن مالك بن عبد مناة آبن كنانة وعن مُرَّة وعامر آبنى عبد مناة ، قال : كانوا أشرافا كراما ، وليس للقوم أكفاءٌ ولا نظراء . قال : فأخبرنى عن بنى أَسَد ، قال : كانوا يطعمون السَّديف ، ويُكْرِمون الضُّيوف ، ويَضْرِبون فى الزُّحوف ، قال : فأخبرنى عن هُذَيْل ، قال : كانوا قليلا أكياس ، أهل مَنَعَة وباس ، يَنْتَصِفون من الناس ، قال : فأخبرنى عن بنى ضَبَّة ، قال : كانوا جَمْرة من جَمَرات العرب الأربع ، لا يُصْطَلَى بنارهم ، ولا يُفَاتُون بثارهم ، قال : فأخبرنى عن مُزَيْنة ، قال : كانوا فى الجاهلية أهل مَنَعة ، وفى الاسلام أهل دَعَة ، قال : فأخبرنى عن تميم ، قال : كانوا أعز العرب قديما ، وأكثرها عظيما ، وأمنعها حَرِيما ، قال : فأخبرنى عن قيس ، قال : كانوا لا يفرحون اذا أُدِيلوا [(١)] ، ولا يَجْزَعُون اذا ابْتُلُوا ، ولا يبخلون اذا سُئِلوا . قال : فأخبرنى عن أشرافهم فى الجاهلية ، قال : غَطَفان بن سعد ، وعامر بن صَعْصَعة ، وسُلَيم آبن منصور ، فأما غَطَفان فكانوا كِرَاما سادة ، وللخميس قادة ، وعن البَيْض ذادة ، وأما بنو عامر فكثير سادتُهم ، مَخْشِيَّةٌ سطوتُهم ، ظاهرة نَجْدَتهم ، وأما بنو سُلَيم فكانوا يُدْرِكون الثار ، ويمنعون الجار ، ويُعْظِمون النار ، قال : فأخبرنى عن قومك بكر بن وائل وآصْـدُقْنى ، قال كانوا أهــل عز قاهر ، وشرف ظاهر ، ومجد فاخر ، قال : فأخبرنى عن إخوتهم تَغْلِب ، قال : كانوا أسودا تُرْهَب ، وسِمَاما لا تُقْرَب ، وأبطالا لا تُكَذَّب ، قال : فأخبرنى كم أُدِيلوا عليكم فى قتلكم كُلَيْبا؟ قال : أربعين سنة ،

(١) أديلوا : نُصروا على أعدائهم .

لا نَنْتَصِف منهم فى مَوْطِنٍ نلقاهم فيه حتى كان يوم التَّحاليق : يوم الحارث بن عباد بعد قِتْلة آبنه بُجَيْر وكان أرسله فى الصلح بين القوم فَقتله مُهَلْهِل وقال : بُؤْ بِشِسْع نَعْل كليب، فقال الغلام : إن رَضِيَتْ بهـذا بنُو بكر رَضِيت، فبلغ الحارث، فقال : نِعْمَ القتيلُ قتيلا إن أصلح الله به بين بكر وتَغْلِب وبَاءَ بكليب، فقيل له : انمـا قال مُهَلْهِل ما قال الكلمة،(١) فَتَشَمَّر الحارث للحرب وأَمَرَنا بحلق رءوسنا أجمعين وهو يوم التَّحاليق وله خبر طويل، وقال :

قَـرِّبا مَرْبِطَ النَّعامـةِ(٢) مِنِّى * لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَال
لم أَكُنْ من جُنَاتِهـا عَـلِمَ اللهُ * وإنى بِحَـرِّها اليـومَ صالى
قَــرِّبا مَرْبَطَ النَّعامـةِ مِنِّى * إنَّ بَيْعَ الكِرَامِ بالشِّسْع غالى

فَأُدِلْنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين الى يومنا هذا . قال : فمن ذهب يذكر ذلك اليوم . قال : الحارث بن عَبَّاد أَسَر مُهَلْهِلا فى ذلك اليوم وقال له : دُلَّنِى على مُهَلْهِل بن ربيعة، قال: مالى إن دَلَلْتك عليه؟ قال : أُطْلِقك، قال : على الوفاء؟ قال له : أنا مُهَلْهِل، قال : ويحك! دُلَّنى على كفء كريم، قال : آمرؤ القيس، واشار بيده اليه عن قرب، فأطلقه الحارث وآنطلق الى آمرئ القيس فقتله . وبَكْرٌ كلها صَبَرت وأَبْلَتْ فَحَسُن بلاؤها الا ما كان من آبنى لُجَيْم : حنيفة وعجل، ويَشْكُر بن بكر، فان سعد بن مالك بن ضُبَيْعة جد طَرَفة بن العبد هجاهم فى ذلك اليوم فقال :

انَّ لُجَيْمًا عَجَـزتْ كلُّهـا * أن يُرْفِدُونى فارسا واحدا
ويَشْكُرُ العـام على خَتْرِهـا * لم يَسْمَع النـاسُ لهم حامدا

وقال فيهم أيضا :

يا بُؤس للحـرب الـتى * وَضَعَتْ أَراهِط فاسْتَراحوا
انا وإخْـوَتَنا غَـدًا * كَثَمُود حِجْرٍ يوم طاحوا
بالمَشْرَفِيَّـة(٣) لا تَفِـرّ * ولا نبـاح ولن نباحوا
مَـنْ صَدَّ عن نِيرانهـا * فانا آبْنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ

فقال معاوية : أنت والله يا دَغْفَل أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب .

(١) هكذا فى الأصل والكلمة هى قوله بؤ بشسع نعل كليب كما تقدّم . (٢) النعامة : فرس مشهورة للحارث بن عباد .

(٣) كذا فى الأصل ولعل هنا تحريفا ووجه الكلام : ولا نباح كمن يباح .

[مطلب ترجمة الأحنف بن قيس وما قالت فى وصفه امرأة من قومه وقد وقفت على قبره بعد دفنه وخطبت الناس]

قال وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال : مات الأحنف بن قيس بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير الى قتال المختار ، فنزل دار عبد الله بن أبى عُصَيْفِير الثقفى ، فلما حملت جنازته ودُلِّىَ فى قبره ، جاءت آمرأة من قومه من بنى مِنْقَر عليها قبول من النساء ، فوقفت على قبره فقالت : لله درك من مُجَنٍّ فى جُنَن ، ومُدْرَجٍ فى كَفَن ، إنا لله وإنا اليه راجعون ، نسأل الله الذى فَجَعَنا بموتك ، وآبتلانا بفقدك ، أن يوسع لك فى قبرك ، وأن يغفر لك يوم حشرك ، وأن يجعل سبيلَ الخير سبيلَك ، ودليلَ الرشاد دليلَك ؛ ثم أقبلت بوجهها على الناس فقالت : مَعْشَر الناس ، إنَّ أولياءَ الله فى بلاده ، شُهودٌ على عباده ؛ وإنا قائلون حقا ، ومُثْنُون صــدقا ؛ وهو أهــلٌ لِحُسْن الثناء ، وطيب الدعاء ؛ أما والذى كُنْتَ من أَجَله فى عدّة ، ومن الضمان الى غاية ، ومن الحياة الى نهاية ؛ الذى رفع عَمَلَك عند آنقضاء أجلك ، لقد عِشْتَ حَميدا مَوْدودا ، ولَقَدْ مُتَّ فَقِيدا سعيدا ؛ وإن كنت لَعَظِيم السِّلْم ، فاضــلَ الحِلْم ؛ وإن كنت من الرجال لَشَرِيفا ، وعلى الأرامل عَطُوفا ؛ وفى العشيرة مُسَوَّدا ، وإلى الخُلَفاء مُوفَدا ؛ ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين . ثم آنصرفت .



قال وحدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن آبن عيينة قال قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه : مَوْتُ ألفٍ من العِلْية خَيْرٌ من آرتفاع واحد من السِّفْلة .

وقال وحدّثنا أيضا قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول : عوِّد لسانك الخير تَسْلَم من أهل الشر .

قال وحدّثنى العكلى عن آبن خالد عن الهيثم بن عدى قال حدّثنا مِلْحان بن عَرَكِيّ عن أبيــه قال حدّثنا عدى بن حاتم قال : شَهِدْت حاتما وهو يجود بنفسه فقال لى : يا بُنَىَّ ، أُعْهِدُك من نفسى ثلاثا : ما خالَفْتُ الى جارة لِسُوءٍ قط ، ولا اؤْتُمِنتُ على أمانة قَطُّ إلا أدَّيْتُها ، ولا أَتَى أحدا مِنْ قِبَلِى سُوءٌ .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعى لأعرابى :

أَمَا والذى لا يَعْــلَمُ الغيبَ غــيرُه * ومَنْ هو يُحْيِى العَظْمَ وهْىَ رَمِـــيمُ

لقد كنتُ أَطْوِى البَطْنَ والزادُ يُشْتَهَى * محافَظةً من أن يقال لئيمُ
وإنّى لَأَسْتَحْيِي أَكِيلِي ودُونَه * ودُونَ يَدى داجى الظلام بَهِيمُ

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أبو حاتم ولم يسم له قائلا :

اذا ما الحىُّ عاش بِذِكْرِ مَيْتٍ * فذاك المَيْتُ حَىٌّ وهو مَيْتُ
يقول بَنَى أَبى وبَنَتْ جُدُودى * وهَدَّمْتُ البِناء وما بَنَيْتُ
ومَنْ يَكُ بَيْتُه بَيْتًا رَفِيعا * ويَهْدِمْه فليس لذاك بَيْتُ

قال وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال : أتى سليمان بن يزيد العَدَوِىَّ رجل فقال : إنى قد قلت بيتا فأجِزْه لى، قال : هات، فقال الرجل :

فأنّكَ لو رَأَيْتَ مَسِيرَ عُمْرِى * اذًا لَعَلِمْتَ أنّى قد فَنِيتُ

فقال سليمان :

فإن تك قد فَنِيتَ فبَعْدَ قوم * طوال العمر بادوا قد بَقِيتا
فحَظَّك ما استَطَعْتَ فلا تُضِعْهُ * كأنَّك فى أُهَيلِك قد أُتِيتا
كأَنَّكَ والحُتوفُ لها سِهامٌ * مُقَدَّرة بسهمك قد رُمِيتا
وصِرْتَ وقد حُمِلْتَ الى ضريح * مع الأموات قبلك قد نُسِيتا
بَعِيدَ الدار مُغْتَرِبًا وحيدا * بكأس الموت مثلهم سُقِيتا

قال : فَخَرَّ الرجل مَغْشِيًّا عليه فما حُمِل إلا على أيدى الرجال .

[مطلب حمق العرب]

وحدّثنا قال أخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام قال : سألت أبى عن حَمْقَى العرب المذكورين فقال : زُهَيْر بن جناب الكلبى . ومالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم، وكان يَرْعَى على أخيه سعد آبن زيد مناة، فَزَوَّجَهُ أخوه وهو غائب عنها نَوَار بنت جَلّ بن عَدِىّ بن عبد مَنَاةَ، فلما رجع من الإبل مُمْسِيًا دخل عليها وعُلْبَتُه فى يده ونَعْلاه فى رجليه وكساؤه على منكبيه، فجلس ناحية ينظر اليها، فقالت له : ضَعْ نعليكَ، فقال : رِجْلَاىَ أحرزُ لها، قالت : ضَعْ عُلْبتك، قال : يَدِى أحفظُ لها قالت : ضع كساءك ، قال : عاتِقِى أحملُ له ، فأعْطَتْه طِيبًا فأهْوَى به الى آسته، فقالت : ادْهُنْ به

وَجْهَك، فقال : أُطَيِّب به مَنَاتِنى أَوْلَى، فدنت منه وقد تَطَيَّبَتْ وتَعَطَّرت فانتشر عليها فتَجَلَّلها، فلما أصبح غدا عليه سعد، فقال له : يا مالِ، اغْدُ على إبلك، فقال : والله لا أرعاها أبدا، اطْلُبْ لها راعيا سواى؛ فأورد سعد إبله فانتشرت عليه، فأنشأ يقول ويعرض بأخيه مالك :

يَظَــلُّ يومَ وِرْدِها مُزَعْفَرا * وهْىَ خَنَاطِيلُ تَجُوس الخُضَرا

فقالت له امرأته : أَجِبْه، قال : وما أقول؟ قالت : قل :

أَوْرَدَها سَــعْدٌ وسعد مشتمل * ما هكذا تُورَدُ يا سَــعْدُ الإبل

قال : وكان كلاب وكعب وعامر أبنـاء ربيعة بن عامر بن صعصعة أَحْمَقِين جميعا، فاشـترى كلاب عجْلا وهو يظن أنه مُهْر، فركبه فصَرَعه، وركبه كعب فصرعه، وركبه أخوهمـا عامر فثَبَتَ عليه فسُمِّى الثابت، فكان كلاب يحسبه مُهْرا حتى نَجَم قَرْناه .

***

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا عبــد الله بن خلف قال : دخلت على إبراهيم بن محمــد ابن عبد الجليــل، وكانت له جارية يحبها وتُبْغِضــه، فسامته البيع فباعها، فأنشدنى وهو حزين هذه الابيـات :

نَأَتِ الغَــداةَ بوصــلها غَرَّار * فدموعُ عَيْنِــك ما تَجِفُّ غِزار
وٱسْتَبْدَلَتْ بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغَوانِى وَصْلُهُنَّ مُعار

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا سليمان بن حرب قال حدّثنا حماد بن زياد عن كثير بن زياد عن الحسن قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنه : الكَرَمُ التقوى والحَسَب المـال .

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله قال حدّثنا أبو عبد الله بن نطاح قال حدّثنا أبو عبيدة عن عبد الأعلى القرشى قال قال عبد الملك بن مروان لجلسائه : أنشدونى أكرم أبيات قالتها العرب، فقال رَوْح بن زِنْباع :

اليـــومُ تَعْــلَمُ ما يجىء به * ومَضَى بفَصْلِ قضائه أَمْسِ

مَنَعَ البقاءَ تَقَلُّبُ الشمس * وطُلُوعها من حيث لا تُمْسى
تَبْـدُو لنا بيضاءَ صافيـةً * وتَغيبُ فى صَفْراءَ كالوَرْس

فقال له : أحسنت ، فأنشدنى أكرم بيت وَصَف به رجلٌ قومَه فى حرب ، فقال : قول كعب ابن مالك حيث يقول :

نَصِلُ السيوفَ اذا قَصُرْن بخَطْونا * قُـدُمًا ونُلْحِقها اذا لم تَلْحَق

قال له : أحسنت، فأنشدنى أفضل ما قيل فى الجود. قال : قول حاتم الطائى :

أَلَمْ تَرَ ما أَفْنَيْتُ لم يَـكُ ضَرَّنِى * وأنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِـفْر
ألم تر أن المـال غادٍ ورائح * ويَبْقَى من المـال الأحاديثُ والذِّكر
غَنِينا زمانًا بالتَّصَـعْلُك والغِـنَى * وكُلًّا سَـقَاناهُ بكَأْسَيْهِما الدهرُ
فما زادنا بَغْيًا عـلى ذى قَرابةٍ * غِنانا ولا أَزْرَى بأحسابنـا الفَـقْر

قال : فَمَنْ أشعرُ العرب؟ قال : الذى يقول — وهو آمرؤ القيس — :

كأنَّ عُيونَ الوَحْش حَوْلَ خِبائنا * وأَرْحُلِنـا الجَـزْعُ الذى لم يُثَقَّب

والذى يقول :

كأنَّ قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسا * لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالى

قال وحدّثنا عبد الله بن خلف قال حدّثنا محمد بن الفضل قال حدّثنا العباس بن الفرج قال : سمع الأصمعى رجلا يدعو ربه ويقول فى دعائه : ياذوالجلال والإكرام، فقال له الأصمعى : ما آسمك؟ قال : لَيْثٌ، فقال الأصمعى :

يُنَاجِى رَبَّه باللَّحْن لَيْثٌ * لذاك اذا دعاه لا يُجَاب

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا إسحاق بن محمد النخعى قال حدّثنا آبن عائشة قال: قال رجل لبشار : إنه لم يَذْهَبْ بَصَرُ رجل إلّا عُوِّض من بصره شيئا ، فما عُوِّضْتَ أنت من بصرك ؟ قال : أن لا أراك فأَمُوتَ غَمًّا .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم قال قال عبدُ الله بن خازم بعد قتْلِه أهل فَرْنَاباذَ[١] من بنى تميم، وكان قَتَل نَيِّفا وسبعين رجلا من وجوههم صَبْرًا، وذلك أنهم قتلوا ابنه محمدا : قتله شَمَّاس بن دِثَار العُطَارِدِى بِهَرَاةَ، وذلك معنى قول ابن عَرَادة :

فان تك هامَةٌ بهَـرَاةَ تَزْقو * فقد أَزْقَيْتَ بالمَرْوَيْنِ هاما

وقال يوما وحَوْلَه بنو سُلَيْم وبنو عامر وناسٌ من سائر قيس، وبلغه أن بنى تميم قالوا : لا نَرْضَى بقتل أحد دونه فإنه ثأْرُنا المُنِيم[٢]، فقال :

دَمِى ظالٍ وفيــه بَوَاءُ قَــوْمٍ * أُصِيبوا من سَرَاة بنى تمـيم
فليسوا قابِلِينَ دَمًا سـواه * ولا يَشْفِى الصَّمِيمَ سوى الصَّمِيم
أَبَيْنَا أن نَدِرَّ على المَخَازى * وكنا القــوم نُدْرِك بالوُغوم[٣]
قَتَلْنا منهـمُ قـوما كراما * بيَــوْمٍ عابِسٍ قَسْرٍ مَشُـوم
فإن فاءت وراجعَت الهُـوَيْنَى * كَفَفْنا والتَّفَضُّــل للحلـيم
وإن ضاقت صُـدورهم وهَمُّوا * بإِقْـدامٍ على الكَلَإِ الوَخِـيم
فَـفِى أسـيافِنا ناهٍ لِغَـاوٍ * شَـدِيد شَـذْوُه جَمّ الهُموم

فكان ذلك مما أَوْغَرَ صدورَهم عليه، ثم قال يوما آخر بعد ما قَتَل أهل فَرْناباذ هذه الأبيات :

ما أنا مِمَّنْ[٤] يَجْمع المالَ ماخَلا * سِـلاحى وإلا ما يَسُوس بَشِير
سِلاحٌ وأفراسٌ وبَيْضــاء نَثْرَة * وذلك من مال الكريم كثير
وقلبٌ إذا ما صِيح فى القوم لم يكن * هَيُوبا ولكن فى اللقـاء وَقُـور
ولَسْــنا كأقوام هَرَاةُ مَحَلُّهـم * لَهُــمْ سَلَفٌ فى أهلها وحَوِير
ولكنَّنا قَــوْمٌ بدار مرابَط * يُغَـار علينـا مَرَّةً ونُغِــير

فزادهم ذلك عليه حَنَقًا حتى كان من أمره ما كان .

---

(١) قرية كبيرة بينها وبين مرو خمسة فراسخ . (٢) الثأر المنيم : الذى فيه وفاء طلبة ولى الدم . (٣) الوغوم جمع وغم وهو الثأر . (٤) تقدم غير مرة فى مثل هذا البيت أنه دخله الخرم وهو حذف الفاء فى فعولن .

[مطلب نصيحة عرهم العدوى خالد بن عبد الله أن يرسل إلى الأزارقة المهلب بن أبى صفرة و إبائه أن يرسل إليهم إلا أخاه]

وحدّثنا قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال : لما بَعَثَ خالد بن عبد الله بن خالد آبن أسيد أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة، قام اليه عَرْهَم أخو بنى العَدَوِيَّة فقال : أصلح الله الأمير، إن هذا الحىّ من تميم تَئِطُّ بقريش منهم رَحِمٌ دَاسَّةٌ ماسَّة، و إن الأزارقة ذُؤْبان العرب وسِبَاعُها، وليس صاحِبَهم الا المُبَاكِرُ المُنَاكِرُ المُحَرَّبُ المُجَرَّب، الذى أَرْضَعَتْه الحربُ بلِبَانِها، وجَرَّسَتْه وضَرَّسَتْه، وذلك أخو الأزد المُهَلَّب بن أبى صُفْرة، والله إنّ غَثَّك أحب الينا من سَمِينه، ولكنى أخاف عَدَواتِ الدَّهْرِ وغَدْرَه، وليس المُجَرَّب كمن لا يَعْلَم، ولا الناصح المُشْفِق كالغاشّ المُتَّهَم . قال له خالد : اسْكُتْ ما أنت وذا؟ فلما هَزَمَت الأزارقةُ عبدَ العزيز وأخذوا آمرأته وفَرَّعنها قال عَرْهَم :

لعمرى لقد ناجَيْتُ بالنصح خالدا * ونادَيْتُه حتى أَبَى وعصانيا
وَلَجَّ وكانت هَفْوة من مُجَرِّب * عصانى فَلاَقَى ما يَسُرُّ الأعاديا
نَصَحْتُ فلم يَقْبَل ورَدَّ نصيحتى * وذو النصح مُظَّنٌّ(١) بما ليس آتيا
وقُلْتُ الحَرُورِيُّون مَنْ قد عَرفْتَهم * حُمَاةٌ كُمَاةٌ يَضْربون الهَوَاديا
فلا تُرْسِلَنْ عبدَ العزيز وسَرِّحَنْ * إليهم فَتى الأَزْد الأَلَدَّ المُساميا
فتى لا يلاقى الموت إلا بوجهه * جَرِيئًا على الأعداء للحرب صاليا
فلما أَبَى أَلْقَيْتُ حَبْل نصيحتى * على غارب قد كان زَهْمانَ ناويا
وشَمَّرْتُ عن ساقٍ ثَوْبِى إذ بدت * كَتَائِبُهم تُزْجى الينا الأفاعيا
يَهُزُّون أَرْماحا طِوَالا بأَذْرُعٍ * شدادٍ إذا ما القوم هَزُّوا العَواليا

* * *

وحدّثنا قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يقول لابنه : كُنْ للعاقل المُدْبِر أَرْجَى منك للأحمق المُقْبِل، ثم أنشد :

عَدُوُّك ذو الحِلْم أَبْقَى عليك * وأَرْعَى من الوَامِق الأحمق

(١) مظن بوزن مفتعل : متهم .

قال وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : كتب حكيم إلى حكيم : عِظْنِى، فكتب إليه : أما بعد فما أَبْعَدَ ما فات، وما أَسْرَعَ ما هو آت، والسلام .

وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : كتب حكيم إلى حكيم : ارْضَ من الدنيا بالقليل مع سلامة أمرك، كما رَضِىَ قَوْمٌ بالكثير مع ذهاب دينهم، وآعلم أن أُجور العاملين مُوَفَّاة فاعمل ماشئت، والسلام .

قال وأنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

إن يَكُنِ العقلُ مَوْلُودا فَلَسْتُ أَرَى * ذا العقل مُسْتغنيا عن حادث الأَدَب
إنى رأيتُهُما كالماء مختلطا * بالتُّرْب تَظْهَر عنه زَهْرة العُشُب
وكلُّ من أخطأَتْهُ فى مَوالِدِه * غَرِيزة العقل حاكَى البَهْمَ فى النسب
ولم يكن عقلُه المولود مكتفيا * فيما يُحاوِلُه من حادث الأدب

[مطلب ما وصف به بعض الأعراب النساء فى أسنانهن من بنت عشر إلى مائة]

قال وأخبرنا أبو عثمان قال : اجتمع خالد بن صفوان وأناس من تميم فى جامع البصرة وتذاكروا النساء، فجلس اليهم أعرابى من بنى العَنْبر، فقال العنبرى : قد قلت شعرا فاسمعوا :

إنِّى لَمُهْدٍ للنساء هَدِيَّةً * سَيَرْضَى بها غُيَّابُها وشهودُها
إذا ما لَقِيتُمْ بنتَ عَشْرٍ فإنها * قليل إذا تَلْقَى الحَزَوَّرَ(١) جُودُها
يَمُدُّ إليها بالنَّوال فتأْتَلِى * وتَلْطِمُ خَدَّيْها إذا يَسْتَزِيدها
ولكن بنفسى ذاتُ عِشْرِين حِجَّةً * فتلك التى أَلْهُو بها وأُريدها
وذات الثلاثين التى ليس فوقها * هى النعت لم تَكْبَرْ ولم يَعْسُ(٢) عُودها
وصاحب ذات الأربعين بِغبْطَةٍ * وخَيْرُ النساء سَرْوُها وخُرودُها
وصاحبة الخمسين فيها مَنافع * ونِعْمَ المتاعُ للمُفيد يُفِيدها
وصاحبة السِّتِّين تَغْدُو قَوِيَّة * على المال والإسلام صُلْبٌ عَمُودها
وإمَّا لَقِيتم ذات سبعين حِجة * هَدِيا فقل هاخَيْبَة يستفيدها

(١) الحزور : الغلام القوى . (٢) لم يعس عودها : لم ييبس .

وذات الثمانين التى قد تَسَعْسَعَتْ * من الكِبَرِ العاسى وناسَ وَرِيدُها
وصاحبة التسعين فيها أذًى لهم * فتَحْسَب أن الناس طُرًّا عبيدها
وإن مائة أَوْفَتْ لأخرى بِخَتْنها * تَجِدْ بيتها رَثًّا قَصِيرا عَمُودها

فقال خالد : لله درك ! لقد أتيت على ما فى نفوسنا .

⁂

وأخبرنا أبو عثمان عن التوزى قال : أخبرنى رجل من ولد عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرى قال : كنت مع أبى لما سَعَى على بنى كليب ، فجاءتنا امرأة تَسْتَعْدِى على زوجها ، وذكرت أنه واقع جاريتها ، فقال الرجل : هى سوداء وجاريتها سوداء وفى عَيْنَىَّ قَدَعٌ ، ويَضْرِب الليلُ بأرواقه فآخذ مادنَا .

⁂

وحدّثنا أبو حاتم قال قال ابن أبى تميمة وأَسَرَتْه التُّرْك :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنّ ليلةً * وِسادِىَ كَفٌّ فى السِّوار خَضِيبُ
وبين بنى سَلْمَى وهَمْدَان مجلسٌ * على نَأْيِهِ مِنِّى إلىَّ حبيبُ
كرام المَسَاعى يأمن الجارُ فيهم * وقائلُهم يوم الخطاب مصيب

[قصيدة أوس بن حجر التى منها قوله " الألمعى الذى يظن البيت " يمدح بها فضالة بن كلدة فى حياته ويرثيه بعد وفاته]

قال ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن التوزى قال : سمعت الأصمعى يقول : لم يبتدئْ أحد من الشعراء مَرْثِيَةً أحسنَ من ابتداء مَرْثِيَةِ أوس بن حجر :

أَيَّتُها النفسُ أَجْمِلى جَزَعا * إنَّ الذى تَحْذَرين قد وَقَعا
إن الذى جَمَّعَ السَّماحةَ والنَّجْدة والحَزْم والقُوَى جُمَعا
الأَلْمَعِىُّ الذى يَظُنُّ بك الظن كأن قد رَأَى وقد سَمِعا

قال أبو على : ويلى هذه الأبيات ، "والمُخْلِف المُتْلِف" وأنا ذاكرها إلى تمام القصيدة :

والمُخْلِف المُتْلِف المُرَزَّأ لم * يمتع بضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعا
والحافظ الناس فى تَحُوط إذا * لم يُرْسِلوا تحتَ عائذٍ رُبَعا

وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّياحَ وإذ * باتَ كَمِيعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعا
وشُبِّه الهَيْدَبُ العَبَامُ من الأَقوام سَقْبًا مُلَبَّسًا فَرَعا
وكانت الكاعِبُ المُخَبَّأَةُ الـ * حَسْناء فى زادِ أهلها سَبُعا
أَوْدَى فلا تَنْفَعُ الإشاحةُ من * أمْرٍ لِمَنْ قد يُحَاوِلُ البِدَعا
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ والمُدامةُ والـ * فِتْيانُ طُرًّا وطامِعٌ طَمِعا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَوَاشِرُها * تُصْمِتُ بالماء تَوْلَبًا جَدِعا
والحَيُّ إذ حاذَرُوا الصَّباحَ وإذْ * خافوا مُغِيرًا وسائرًا تَلِعا
وازْدَحَمَتْ حَلْقَتا البِطان بأقـ * وام وجاشَتْ نُفُوسُهم جَزَعا

قال أبو على : مَحُوط : السَّنَة الشديدة . والعائذ من الإبل : التى وَضَعَتْ حَدِيثًا . والرُّبَع : الذى وُلِدَ فى الرَّبِيع . وعَزَّت غَلَبَتْ . والكَمِيعُ الضَّجيع . والهَيْدَب : الذى عليه أهدابُه تَذَبْذَبُ كأنها هَيْدَبٌ من السَّحاب . والعَبَام : الثَّقيل . والفَرَعُ : ذِبْحٌ كان أهلُ الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويُلْبِسُون جِلْدَه سَقْبًا آخر . والإشاحة : الجِدُّ فى الأمور . والهِدْمُ : الأخْلاق من الثياب . والنَّواشِر : عروق ظاهر الكف . والجَدِعُ السَّيِّئُ الغذاء .

وأنشدنا أبو عثمان قال : كتب بعض الشعراء الى أخيه يُعَزِّيه على ٱبن له يقال له محمد :

إِصْبِرْ لكل مصيبة وتَجَلَّدِ * وٱعلم بأنَّ المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ
وإذا ذكرتَ محمدا ومُصابَه * فاذكُرْ مُصَابَك بالنبىِّ محمد

وقال وأنشدنا أبو عثمان قال أنشدنى التوزى لبعض الشعراء يرثى أخًا له :

طَوَى الموتُ ما بَيْنِى وبين محمد * وليس لما تَطْوِى المَنِيَّةُ ناشر
لئن أُوحِشَتْ مِمَّن أُحبُّ منازلٌ * لقد أَنِسَتْ بمن أُحِبُّ المقابر
وكنتُ عليه أَحْذَرُ الموتَ وَحْدَه * فلم يَبْقَ لى شىء عليه أُحاذر

قال وأنشدنا أبو العباس عن ٱبن الأعرابى :

يالَيْتَ أُمَّ العَمْرِ كانت صاحبى[1] * ورابَعَتْنِى تحتَ ليلٍ ضارِب

---

(١) هذان البيتان لأمية بن أبى الصلت كما فى ديوانه طبع أوربا سنة ١٩١١

بسَاعِدٍ نَخْمٍ وكَفٍّ خاضِبٍ * مَكانَ مَنْ أَنْشَا على الرَّكَائِب

قال : أَنْشَأ وأَقْبَلَ واحد .

قال وأنشدنا عن ابن الأعرابى :

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا * للموت كأسٌ لا بُدَّ ذائقُها[1]

ما لَذَّةُ النَّفس فى الحَيَاةِ وإن * عاشَتْ قَليلًا فالمَوْتُ لاحِقُها

يَقُودُها قائدٌ إليه ويَحْـ * ـدُوها حَثِيثًا إليه سائقُها

قال وأنشدنا ثعلب :

ويَوْمٍ عَمَاسٍ[2] تَكَاءَدْتُه * طَوِيلِ النَّهارِ قَصِيرِ الغَدِ

بضَرْبٍ هَذَاذٍ وَطَعْنٍ خِلَاسٍ * يَجِيش من العَلَقِ الأَسْوَدِ

وصَدْعٍ رَأَبْتُ فَدَاَيْتُه * وقد بانَ فَوْتَ يَدٍ من يَدِ

ولَيْلٍ هَدَيْتُ به فِتْيَةً * سُقُوا بِصُبَابِ الكَرَى الأَغْيَدِ

وباتَ سُهَيْلٌ يَؤُمُّ الرِّكا * بَ حَيْرانَ كاللَّهَقِ المُفْرَدِ

قال وأنشدنا العبدى عن ثعلب عن ابن الأعرابى :

لا تَقْتُلُونِى[3] إنَّ قَتْلِى مُحَرَّمٌ * عليكم ولكنْ أَبْشِرِى أُمَّ عامرِ

قال : الضَّبُع تأتى القُبورَ فتَبْحَث عنها ، ثم تَسْتَخْرِج الموتى فتأكلهم ، فيقول : فلا تَعْجَلوا بقتلى فإنى سأموت فتفعلُ بى الضَّبُعُ هذا .

قال وحدّثنا أبو العباس عن ابن الأعرابى قال يقال : امرأة قُرْزُحٌ[4] أى قصيرة . قال أنشدنا ابن الأعرابى :

آبَ الغُزَاةُ ولم يَؤُبْ عَمْرو * لله ما وَارَى[5] به القبر

يا عَمْرُو للضِّيفانِ إذْ نَزَلُوا * والحَرْبِ حِينَ ذَكَا لها الجَمْر

---

(١) الذى فى اللسان وغيره من كتب الأدب : * للموت كأس والمرء ذائقها * (٢) عماس : شديد .

(٣) البيت للشنفرى الأزدى كما فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى جزء أوّل ص ٢٤٢ طبع أوربا ، وروايته : لا تقبرونى إن قبرى الخ . (٤) كذا فى الأصل والذى فى القاموس واللسان : قرزحة بالتاء . (٥) الذى فى الأصل : لله درما وارى بزيادة لفظ در ولا يستقيم وزن الشعر بزيادتها كما لا يخفى .

يا عَمْـرُو للشَّرْبِ الكِرام إذا * أَزَمَ الشِّـتاء وعَزَّت الخَمْـر
أصبحْتُ بَعْدَ أخي ومَصْرَعه * كالصَّـقْرخانَ جَناحَه كَسْر

قال وأخبرنا أبو العباس عن آبن الأعرابى قال : معنى قوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْبُلُ على أعمامه أى يُنَاوِلهم النَّبْل. وقال: النابِلُ : الحاذِق . وتَنبَّل الموتُ المـالَ إذا أخَذ أفْضَـلَه . وأنشدنا :

فانْبُلْ بقَوْمِك إمّا كُنْتَ حاشِرَهُم * فَكُلُّ حاشِرِ أقوامٍ له نَبَـلُ[1]

وقال أبو العباس عن أبى نصر : خرج علينا الأصمعى ذاتَ يَوْم، فقال : أَجِد فى عَيْنِى حَثَرًا أى انْسِلَاقًا .

[مطلب حديث هريم بن أبى طحمة مع سعد بن نجد القردوسى]

قال وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم أحسبه قال عن أبى عبيدة قال قال هُرَيْم بن أبى طَحْمة المُجَاشِعى : كنا مع قتيبة بن مسـلم بن عمرو الباهلى نقاتل العدوّ، فهاجت قَسْطَلَانِيَّة ، فَتَلَقَّانى سعدُ آبن نَجْد القُرْدُوسى وهو قاتل قتيبة بن مسلم، فطعنتُه فصرعتُه، فقال : ما صَنَعْتَ! وَيْلَكَ! فَعَرَفْتُه، فقلت : يَمُوت من الطَّعْنة، فإن مَضَيْتُ عنه ومَرَّ به رجل من الأزد فيقول له : مَنْ طَعَنَك؟ فيقول: هُرَيْم، فيطلبونى بدمه، فهممت بقتـله وآنتضيت سيفى، فَفَطِن لها وقال : ويلك يا حمار! ما علىَّ بأسٌ، أَعِنِّى حتى أركب، فأعنتُـه فركب ومَرِض من الطعنة، فكنت أعوده مع أصحابه فلا يخبرهم حتى أفاق، فلقينى يوما فضحك وقال : وَيْلَكَ ! أردت أن تقتلنى ! فقلت : نعم، وأخبرته بما قلت فى نفسى، فقال : علمت ذاك ولكن آسمعْ، وأنشأ يقول :

لقـد كُنْتُ فى نَيْـلِ الشهادة راغبا * فَزَهَّـدَنِى فيهـا لِقـاءُ آبْنِ أَطْحَما
ولو كان أَرْدَانى لكنتُ مُخاصِمًا * لَدَى مَوْقِف الحشرِ اللَّئِـيمَ المُلَطَّما
وكان بَوَائِى لو أصـابتـه أُسْرَتِى * أَذَلَّ بَنِى حَـوَّاء طُـرًّا وأَلْأَمَا
وأُقْسِم لو لا أن تَعَـرَّض دُونه * قَتَامٌ يُرِيك الصُّـبْحَ أَسْحَمَ مُظْلِما
لَخَضْخَضْتُ فى صدرِ التَّيمِىِّ صَعْدَةً * تُزَجِّى سِـنانًا كالوَذِيلة[2] لَهْـذَما[3]

---

(١) فى اللسان مادة نبل فى هامشه أنه لصخر الغىّ، وفسره بقوله : أى ارفق بقومك فكل سيد قوم يحشرهم ويجمعهم له رفق بهم، وكتب فى هامشه بأن النبل بمعنى الرفق بفتحتين وبضمتين .

(٢) الوذيلة : المرآة .

(٣) اللهذم : القاطع .

ولو لا اعتياصُ المُهْرِ إذ مِلْتُ واجبًا * لجَلَّلْتُه عَضْبَ الغِرَارَيْنِ مِهْذَما
فإن تُنْشِدِ الجَعْراءُ يومًا بذِكْرِها * فقد أحْرَزَتْ فخرًا بها مُتَقَدِّما
وثَوْبًا أبي رَهْنٍ بها أن أبِيتَها * بِشَرْوَى لها جَيَّاشةٍ تَقْلِسُ الدَّما

ثم قال : خذها يا أخا تميم .

*
* *

وحدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيْهِ قال حدّثنا أبو العباس قال حدّثني الرياشي قال حدّثنا محمد بن سلام قال قال أمية بن أبي الصَّلْت : أتيتُ نَجْرانَ فدخلت على عبد المَدَان بن الدَّيَّان، فإذا به على سريره، وكأنّ وجهه قَمَرٌ، وبَنُوه حولَه كأنّهم الكواكب، فدعا بالطعام، فأُتِيَ بالفَالُوذَج، فأكلت طعاما عجيبا، ثم انصرفت وأنا أقول :

ولقد رأيتُ القائلين وفِعْلَهُمْ * فرأيتُ أكْرَمَهم بني الدَّيَّان
ورأيت من عَبْدِ المَدَانِ خلائقًا * فَضَلَ الأنامَ بهنَّ عَبْدُ مَدَان
البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهاد طعامُه * لا ما يُعَلِّلُنا بَنُو جُدْعان

فبلغ ذلك عبدَ الله بنَ جُدْعان، فوجّه الى اليمن من جاءه بمن يَعْمَل الفَالُوذَج بالعَسَل، فكان أَوَّلَ من أدخله مكة، ففي ذلك يقول ابن أبي الصلت :

له دَاعٍ بمكَّةَ مُشْمَعِلٌّ(1) * وآخرُ فوقَ دارَتِه يُنَادِي
الى رُدُحٍ(2) من الشِّيزَى عليها * لُبَابُ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد

[مطلب أسماء الإنسان في كل سن من أسنانه]

قال وحدّثنا أبو عمر قال حدّثنا ثعلب قال : يقال للصبي إذا وُلِد : رَضِيع وطِفْل، ثم فَطِيمٌ، ثم دَارِجٌ، ثم جَفْرٌ، ثم يَفَعَةٌ ويافِعٌ، ثم شَدَخٌ، ثم حَزَوَّرٌ، ثم مُرَاهِق، ثم مُحْتَلِم، ثم خَرَج وَجْهُه ويقال : بَقَلَ وَجْهُه، ثم اتَّصَلَتْ لِحْيَتُه، ثم مُجْتَمِع، ثم كَهْلٌ والكَهْل من ثلاث وثلاثين سنة، ثم فَوْقَ الكَهْل طَعَن في السِّنّ، ثم خَصَّفَه القَتِير، ثم أَخْلَسَ شَعَرُه، ثم شَمِط، ثم شَاخَ، ثم كَبِر، ثم تَوَجَّه، ثم دَلَف، ثم دَبَّ، ثم عَوَّد، ثم ثَلَّب .

(1) مشمعل : مشرف عال . (2) ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة . والشيزى خشب أسود تعمل منه الجفان أو هو الآبنوس .

[حديث عيسى بن عمر الثقفى مع أبى عمرو بن العلاء فى إعراب ليس الطيب إلا المسك]

قال وحدّثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعى يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو ٱبن العلاء، فقال : يا أبا عمرو، ما شىء بلغنى عنك تُجيزه؟ قال : وما هو؟ قال : بَلَغَنى عنك أنك تُجيز ليس الطِّيبُ إلا المِسْكُ بالرفع، فقال أبو عمر : نِمْتَ يا أبا عُمَر وأَدْلَجَ الناس، ليس فى الأرض حِجازىٌّ إلا وهو ينصب، وليس فى الأرض تَميمىٌّ إلا وهو يرفع؛ ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى — يعنى اليزيدىّ — ، وأنت يا خَلَف — يعنى خَلَفًا الأحمر — فٱذهبا الى أبى المَهْدىّ[1] فإنه لا يرفع، وٱذهبا الى المُنْتَجِع ولَقِّناه النصب فإنه لا ينصب . قال : فذَهَبا فأتيا أبا المهدىّ وإذا هو يصلّى، وكان به عارض وإذا هو يقول: أَخْسَأْناه عَنِّى، ثم قضى صلاته وٱلتفت الينا وقال: ما خَطْبُكما؟ قلنا : جئناك نسألك عن شىء، قال: هاتيا؛ فقلنا : كيف تقول لَيْسَ الطِّيبُ إلا المِسْكُ؟ فقال: أتأمرانى بالكذب على كَبْرة سِنّى! فأَيْنَ الجادىّ؟ وأين كذا؟ وأين بُنَّةُ الإبل الصادرة؟ فقال له خلف الأحمر : ليس الشرابُ إلا العَسَلُ ، فقال : فما يصنع سُودانُ هَجَر؟ ما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزيدى: فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس مِلَاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها ، فقال : هذا كلام لا دَخَلَ فيه، ليس ملَاكُ الأمر إلا طاعةَ الله، فقال اليزيدى : ليس مِلَاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها، فقال : ليس هــذا لَحْنِى ولا لَحْنَ قومى، فكتبنا ما سمِعنا منه . ثم أتينا المُنْتَجِعَ فأتينا رجلا يَعْقِل ، فقال له خَلَفٌ: ليس الطِّيبُ إلا المِسْكَ، فلَقَّنّاه النصب وجَهِدْنا فيه فلم ينصب وأَبَى إلّا الرفعَ، فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يَبْرَحْ، فأخرج عيسى بن عمر خاتَمَهُ من يده وقال: ولك الخاتَم بهذا! والله فُقْتَ الناس!

* *

قال أبو على حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن الجنيد وَرّاق أبى بكر بن دريد قال قال أبو محمد التوزى: سمعت أبا عبيدة يقول : يُعْجِبنى من شعر أبى نواس كله بيتان قوله :

ضَعيفةُ كَرِّ الطَّرْف تَحْسَبُ أنها * حَديثةُ عَهْـدٍ بالإفاقة من سُقْم

وإنى لآتِى الأمْرَ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى * وتَعْلم قَوْسِى حين أَقْصِد مَنْ أَرْمِى

(١) لعله سقط هنا من الناسخ : ولقناه الرفع فانه الخ .

[مطلب إنشاد الشعراء بين يدى المنصور وإجازته إياهم ألفين ألفين وإجازته ابن هرمة عشرة آلاف]

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : دخل الشعراء على المنصور وفيهم طريح ابن إسماعيل الثقفىّ وابن ميّادة وغيرهم ، فأذن لهم فى الإنشاد، فأنشدوه من وراء حجاب، حتى دخل ابن هَرْمة فى آخرهم، فأنشده حتى بلغ الى قوله من شعره :

إليك أَميرَ المؤمنين تجاوَزَتْ * بنَا بِيدَ أَجْوَاز الفَلاة الرَّواحِلُ

يَزُرْنَ ٱمْرأً لا يُصْلِحُ القومُ أمرَه * ولا يَنْتَجِى الأَدْنَوْنَ فيما يحُاوِل

إذا ما أَتَى شيئا مَضَى كالذى أَتَى * وإن قال إنى فاعل فَهْوَ فاعل

كريمٌ له وَجْهانِ وَجْهٌ لَدَى الرِّضا * أَسِيلٌ ووَجْهٌ فى الكَرِيهة باسل

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ سَرِيره * إذا كَرَّها فيها عِقابٌ ونائل

فَأُمُّ الذى آمَنْتَ آمنةُ الرَّدَى * وأُمُّ الذى حاوَلْتَ بالثُّكل ثا كل

رأيتك لم تَعْدِلْ عن الحَقِّ مَعْدِلاً * سواه ولم تَشْغَلْك عنه الشَّوَاغِل

فقال : ياغلام، ارفع الحجاب؛ وأمر له بعَشَرة آلافٍ، والدينار يومئذ بسبعة ، وأعطى الباقين أَلْفَيْن ألفين .

[نصيب والفرزدق بحضرة سليمان بن عبد الملك]

وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نُصَيْبٌ الشاعر، فقال للفرزدق : أنشدنى وهو يرى أنه يُنْشِد مَدِيحه، فأنشده :

ورَكْبٍ كأن الرِّيح تَطْلُب منهمُ * لها سَلَبًا من جَذْبِها بالعَصَائب

سَرَوْا يركبون الليل وهى تلفهم * على شعب الأكوار من كل جانب

إذا ٱسْتَوْضَحُوا نارا يقولون لَيْتَها * وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نارُ غالب

فتغير وجه سليمان، فلما رأى نصيب ذلك قال : يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك! فأنشده :

وقُلْتُ لرَكْبٍ قافلين لَقِيتُهم * قِفَا ذاتَ أَوْشالٍ ومَوْلاك قارِبُ

قِفُوا خَبِّرُونا عن سليمان إننى * لمَعْرُوفه من آل وَدَّان طالب

فعاجوا فأَثْنَوْا بالذى أنت أَهْلُه * ولو سَكَتُوا أَثْنَتْ عليكَ الحَقائب

فَسُرَّ سليمان لذلك وأجازه .

*
* *

وأنشدنا أبو عثمان .

آلُ المُهَلَّب قَوْمٌ خُوِّلوا حَسَباً * ما ناله عَرَبِيٌّ لا ولا كادا
لو قيل لاجد حِدْ عنهم وخَلِّهم * بما ٱحْتَكَمْتَ من الدنيا لَمَا حادا
إن المكارم أرواح يُعَدُّ لها * آل المهلب دون الناس أجسادا

[معنى قولهم شمظه عن الشيء]

قال أبو علي : سألت أبا بكر وكان يقرأ عليه شيء فيه : «يَتَشَمَّظُه» ، فقال : شَمَظْتُهُ عن الشيء الشيء إذا منعته عنه .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ٱبن الكلبي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه من غزوة تبوك لِهَدْمِ "وَدٍّ"، فحالت بينه وبين هَدْمِه بنو عَبْدِ وَدٍّ وبنو عامِرِ الأَجْدار، فقاتلهم خالد فهزمهم وكسرهم، فقُتِل يومئذ غلامٌ من بني عَبْدِ وَدٍّ يقال له قَطَن بن شُرَيْح، فأقبلت أمه وهو مقتول فقالت متمثِّلةً : — والشعر لرجل من ثقيف —

ألا تِلْكَ المَسَرَّةُ لا تدوم * ولا يَبْقَى على الدَّهْرِ النَّعيمُ
ولا يَبْقَى على الحَدَثانِ غُفْرٌ * بشاهقةٍ له أُمٌّ رَءُوم

ثم قالت :

ياجامعًا جامعَ الأحشاءِ والكَبِدِ * ياليْتَ أُمَّك لم تُولَدْ ولم تَلِدِ

ثم أقبلت عليه تقبله وتَشْهَق حتى ماتت .

قال وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الأول بن مَرْثَد قال : سمعت ٱبن عائشة ينشد :

لا يَبْلُغ المَجْدَ أقوامٌ وإن كَرُموا * حَتَّى يَذِلُّوا وإن عَزُّوا لأقوام
ويُشْتَموا فَتَرى الألوانَ مُسْفِرةً * لاعَفْوَ ذُلٍّ ولكن عَفْوَ أحلام

وزاد بيتين آخرين عبد الأول : — قال أبو بكر رحمه الله تعالى وليس هو في عَقِب هذه —

وإن دعا الجارُ لَبَّوْا عند دَعْوَته * في النائبات بإسْراج وإلْجَام
مُسْتَلْئِمِين لهم عندَ الوَغَى زَجَلٌ * كأنَّ أسيافهم أُغْرِين بالهام

[حديث بعض العلماء مع راهب من حكماء الرهبان]

قال وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو مسلم قتيبة عن المدائنى قال : لقى عالم من العلماء راهبا من الرُّهْبان، فقال له : ياراهب، كيف تَرَى الدهر؟ قال : يُخْلِق الأبدان، ويُجَدِّد الآمال ، ويُباعِد الأُمْنِيَّة ، ويُقرّب المَنِيَّة؛ قال : فما حالُ أهله ؟ قال : من ظَفِر به نَصِب، ومن فاته تَعِب؛ قال : فما الغنى عنه؟ قال : قَطْعُ الرجاء منه ؛ قال : فأىّ الأصحاب أبرّ وأوفى؟ قال : العملُ الصالح. قال : فأيهم أَضَرُّ وأبْلَى؟ قال : النفس والهوى . قال : فأين المَخْرَج؟ قال : فى سُلوك المَنْهَج؛ قال: وَفِيمَ ذاك؟ قال : فى خَلْع الراحات وبَذْل المَجْهُود .

* * *

وحدّثنا عبد الأول قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا أبو عوانة قال حدّثنا أبو بَلْج عن عمرو آبن ميمون قال : سمع عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه غلاما يدعو ويقول : اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فَحُلْ بينى وبين خطاياى فلا أعمل بشىء منها، فَسُرّ عمر بقوله ودعا له بخير .

[مطلب ما وقع لجرير فى وفادته مع محمد بن الحجاج إلى عبد الملك بن مروان]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنا عُمارة بن عُقَيل بن بلال بن جَرير آبن عَطِيَّة بن الخَطَفَى قال : كان جرير عند الحجاج بالعراق، وكان آمَنَه بعد ما أخافه أشَدَّ الخوف ، فَقَدِم الحجاج البصرة، وجرير والفرزدق يَتَسابّان سبع سنين قبل قدومه، وجرير مقيم بالبصرة، وكان قبل ذلك مقيما بالبادية، فكتب اليه بنو يَرْبوع :أنت مقيم بالبادية وليس أحد يَرْوى عنك،والفرزدق قد مَلأ عليك العراق فانْحَدِرْ إلى جماعة الناس فأَشِدْ بالرَّجُل كما يُشِيد بك، فانحدر وأقام بالبصرة، فلذلك يقول :

وإذا شَهِدْتُ لثغرِ قومى مَشْهَدا * آثَرْتُ ذاك على بَنِىَّ ومالى

فأَوْجَهَهُ الحجاجُ ومَلأَ بمدحه الأرضَ، وبَلَغَ أهلَ الشام وأميرَ المؤمنين ورواه الناس . ثم إن الحجاج أوفده مع آبنه محمد عاشِرَ عَشَرة من أهل العراق بعد ما أجازه بعَشَرةٍ من الرقيق وأموال كثيرة، قال : فَقَدِمْنا على عبد الملك، فخطب بين يديه، ثم أجلسه على سريره عند رجليه ، ثم دَعَا بالوَفْد منا رجلا رجلا وكُلُّنا له خطبة، فجعل كُلَّما خَطَب رجل قطع خطبته، وتكلم جرير فَقَطَع خطبته، ثم قال : من

هذا يا محمد؟ فقال: هذا يا أمير المؤمنين ابن الخطفى، قال: مادحُ الحجاج؟ قلت: ومادحُك يا أمير المؤمنين فأْذَنْ لى أنشدك، فقال: هات ما قلت فى الحجاج، فاندفعت فى قولى:

صَبَرْتَ النفسَ يابن أبى عُقَيْل * محافظةً فكيف تَرَى الثوابا
ولو لم يَرْضَ رَبُّك لم يُنَزِّل * مع النصر الملائكةَ الغِضَابا
إذا سَعَّرَ الخليفةُ نارَ حَرْبٍ * رأى الحجاجَ أَثْقبها شِهابا

فقال: صدقت، وورائى الأخطل جالسا ولا أراه، ثم قال: هات بالحجاج، فأنشدته:

طَرِبْتَ لعهدٍ هَيَّجَتْه المنازل * وكيف تَصابِى المرءِ والشَّيْبُ شامل

فما فَرَغْت منها حتى خَيَّلَت فى وجه أمير المؤمنين الغضب، وقال: هات بالحجاج، فأنشدته:

هاجَ الهوى لفؤادك المُهْتاج * فانْظُرْ بتُوضِحَ باكِرَ الأحداج

حتى أتيت على قولى:

منْ سَدَّ مُطَّلَع النِّفاق عليهم * أَمْ مَنْ يَصُول كصولة الحجاج
أم من يَغَار على النساء حَفِيظةً * إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرة الأزواج

فتكلم الأخطل وقال: أين أمير المؤمنين يابن المَرَاغة! فعلمت أنه الأخطل، فَذَبَبْتُ حِيَالَ وجهى بكُمِّى وقلت: اخْسَأ، ومضيت حتى أنشدته كلَّها، فقال الخليفة: اجلس، فجلست، ثم قال: قم يا أخطل، هاتِ مديح أمير المؤمنين، فقام حيالى فأنشد أشعرَ الناس وأمدحَ الناس، فقال له الخليفة: أنت شاعرنا ومادحنا، ارْكَبْه. فرَمَى بردائه وألقى قميصه على منكبه ووضع يده على عنقى، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن النصرانى الكافر لا يعلو ولا يَظْهر على المسلم ولا يركبه، فقال أهل المجلس: صَدَق يا أمير المؤمنين، فقال: دعه، وانْتَقَضَ المجلس وخرجنا، فدخل الوَفْدُ عليه ثمانية أيام مع محمد كُلُّهن أُحْجَب فلا أدخل عليه، ثم دخلوا فى التاسع وأخذوا جوائزهم وتَهَيَّأوا فى العاشر للدخول والتوديع للرحيل، فقال محمد: يا أبا حَزْرَةَ، ما لى لا أراك تتجهز؟ قلت: وكيف وأمير المؤمنين علىَّ ساخط! ما أنا ببارحٍ أو يَرْضَى عنِّى، فلما دخل عليه محمد ليودّعه، قال: يا أمير المؤمنين، إن ابن الخطفى مادحك وشاعرُك ومادحُ الحجّاج سَيْفِك وأمينك، وقد لَزِمَتْنا له صحبةٌ وذِمامٌ، فإن رأيت أن تأذن له! فإنه أَبَى أن يخرج معنا وأنت غضبان، وآلى أنه لا يخرج أو ترضى عنه، فيَدْخُل ويُوَدِّعُك، فأذن لى، فدخلت

عليه ودعوت له، فقال : إنمـا أنت للحجاج، قلت : ولك يا أمير المؤمنين، ثم استأذنته فى الإنشاد، فسكت ولم يأذن لى، فاندفعت فقلت :

* أَتَصْحُو أم فؤادُك غير صاح *

فقـال : بل فـؤادك

* عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُك بالرواح *

حتى فرغت منها وعلمت أنى إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطى آخرَ الدهر؛ فلمـا بلغت الى شَكْوَى أم حَزْرَةَ قلت فى أثر ذلك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ من رَكِبَ المَطايا * وأَنْدَى العالَمين بُطُونَ راح

فجعـل يقول : نحن كذلك، ثم قال : رُدَّها علىّ، فرددتها فَطَرِب لذلك، وقال : وَيْحَك ! أَتَرَاها تُرْوِيها مائة من الإبل ؟ قلت : نعم إن كانت من نَعَمِ كَلْب، وقد كنت رأيت خَمْسَمائة من نَعَم كلب مُخَصَّفةً ذُرَاها ثُنْيانا وجُذْعانا، فقال : أخرجوا له مائة من النعم التى جاءت من عند كلب ولا تُرْذِلوها، فشكَرْتُ له وشكَرَله أصحابى ومن شَهدنى من العرب، ثم قلت : يا أمير المؤمنين، إنما نحن أشياخ من أهل العراق وليس فى واحد منا فَضْلٌ عن راحلته، قال : أفنجعل لك أثمـانها؟ قلت : لا، ولكن الرِّعاء يا أمير المؤمنين ؛ فنظر جَنْبَتَيْه ثم قال لجلسائه : كم يَجْزِى مائةً من الإبل؟ قالوا : ثمـانية يا أمير المؤمنين، فأمر لى بثمانية أعبد: أربعة صَقَالِبة، وأربعة نُوبِيَّة، وإذا قد أَهْدَى إليه بعضُ الدَّهَاقين ثلاثَ صِحاف فضة وهنّ بين يديه يَقْرَعُهنّ بالخَيْزُرانة، فقلت : المِحْلَب يا أمير المؤمنين. فَنَدَس[1] إلىّ منهن واحدة وقال : خذها لا نَفَعَتْك ! قلت: بلى، كلُّ ما أخذته منك ينفعنى إن شاء الله، وانصرفنا وودَّعناه . وكتب محمد الى أبيه بالحديث كُلِّه ، فلما قدِمْنا على الحجاج قال لى : أما والله لولا أن يبلغ أميرَ المؤمنين فَيَجِدَ علَىَّ لأعطيتُك مثلَها، ولكن هـذه خمسون راحلةً وأحمالُهـا حنْطة تأتى بها أهلَك فتَمِيرهم، فقبضتها وانصرفت .

* * *

قال وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنى بعض أشـياخ البصريين قال حدّثنى أبو مَنْجُوف قال : حَضَرْتُ وفاةَ الرَّقَاشى ودخل عليه الطبيب وجَسَّ عِرْقَه، فلما انصرف اتبعته فأيأسنى منه، فكأنّ الرقاشىَّ أَحَسَّ بذلك، فلما رآنى قال :

(١) ندس الى منهن واحدة : قذفنى بها .

سألتُــك بالمَــوَدّة والجِــوار * وقُرْب الدار من قُرْب المَــزار
بمــا ناجاك اذ وَلَّى ســعيدٌ * فقد أَوْجَسْتُ من ذاك السِّرار

* * *

وأنشدنا الحسن بن خضر قال أنشدنا أبو هلال :

هــذا الزمان الذى كُنَّا نُحَــذَّرُهُ * فيما يُحَــدِّثُ كَعْبٌ وآبْن مسعود
إن دام ذا العيش لم نَحْزَن على أحدٍ * ممن يموت ولم نَفْــرَحْ بمولود

قال وحدّثنا قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت إيادُ تَرِدُ المياهَ فيُرَى منهم مائتا شابٍّ على مائتى فرس بِشِيَةٍ واحدة، وكانوا أَعَدَّ العرب، وإنهم آستفلُّوا بعشرين ألف غلام أَغْرَل، فأَوْغَلُوا حتى وقعوا ببــلاد الروم، فأُسِر رجل منهــم فأردفه آسِرُه خلفَه وهو يظنه روميا فسمعه يقول :

تَرَى بين الأُثَيل وفَيْدِ مَجْرَى * فَوارِسَ من نُمَــارةَ غَيْرَ مِيل
ولا جَزِعِين إنْ ضَرَّاءُ نابت * ولا فَرِحِين بالخــير القليــل

فأراد الرومى أن يَشُدَّ وَثاقه، فاخْتَرَط العربىّ سَيْفَ الرومى فقتله به وركب فَرَسه ولَحِق بأصحابه. والله أعلم .

* * *

وأنشــدنا العُكْلىّ قال أنشــدنى أبو عامر الفُقَيْمىّ لأبى عطاء السندىّ، يقوله فى المُثَنَّى بن يزيد آبن عُمَر بن هُبَيرة

أَمّا أبُوك فَعَــيْن الجُود نَعْرِفُه * وأنت أَشْــبَهُ خَلْقِ الله بالجود
لولا أبوك ولولا قبــلَه عُمَــرٌ * ألقت اليــك مَعَــدٌّ بالمقاليــد
لا يَنْبُت العُود إلا فى أُرُومتِه * ولا يكون الجَنَى إلا من العُود

* * *

قال وأنشدنا عبد الرحمن عن عمه لعبد من عبيد بنى عامر بن ذُهْل :

أيا حُبَّ لَيْــلَى داخــلًا مُتَوَلِّجــا * شُعوبَ الحَشَا هــذا علَىَّ شَــديد

ويا حُبَّ لَيْلَى عافِنِي مِنْك مرّةً * وكيف تُعَافِيني وأنت تزيد
ويا حُبَّ لَيْلَى أَعْطِنِي الحكم وٱحتَكِمْ * عَلَيَّ فما يُبْغَى علَىَّ شهيد

قال وأنشدنا أيضا عبد الرحمن عن عمه :

أليس الله يعلم أن قلبى * يُحِبُّ الفِتية المُتَبَرْقِعِينا
هُمُ الفِتْيان إلا أنَّ فيهم * دَمَالِيجًا وأنَّ لهم بُرِينا

[مطالب حديث ٱبن عبدل الأسدى مع معروف بن بشر]

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزى قال : صَحِبَ ٱبن عَبْدَلٍ الأسدى معروف ٱبنَ بِشْرٍ حينًا، فأبطأ عنه بِصلته فتَغَيَّب عنه أياما ثم أتاه، فقال : أين كنت؟ قال : أصلح الله الأمير، خَطَبْتُ بنتَ عَمٍّ لى فأرسَلَتْ إلىَّ : أنّ لى أَشَاوَى(١) على الناس ودُيونا، فٱنْطَلِقْ فٱجْمَعْ ذلك ثم ٱئتنى أفعل، ففعلت، فلما أتيتها بحاجتها كتبتْ الى تُؤَيِّسنى وتقول :

سَيُخْطِئُك الذي أَمَّلْتَ مِنِّى * اذا ٱنْتَقَضَتْ عليك قُوَى حِبالى
كما أخطاك مَعْرُوف ٱبن بشر * وكنتَ تَعُدُّه لك رَأْسَ مال
فلا واللهِ لو كَرِهَتْ شِمَالى * يَمِينِى ما وَصَلْتُ بها شمالى

فضحك ٱبن بشر وقال : ما ألطف ما سألتَ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[الجماز وأبو جزء الباهلىّ]

قال وأخبرنا أبو عثمان قال : كان الجَمَّاز منقطعا الى أبى جَزْءٍ الباهلى، فتَنَسَّك أبو جزء وقال للجماز: لا أحب أن تخالطنى إلا أن تَتَنَسَّك، فأظهر الجَمَّاز النُّسْك وأنشأ يقول :

قد جفانى الأميرُ حِينَ تَقَرَّا(٢) * فتَقَرَّيْتُ مُكْرَهًا لجفائه
والذى أَنْطَوِى عليه المعاصى * عَلِم الله نِيَّتِى مِنْ سمائه
ما قِراءةٌ لمُكْرَهٍ بِقِراءةٍ * قد رواه الأميرُ عن فقهائه

(١) أشاوى : جمع شىء . (٢) تقرا مسهل تقرأ بمعنى تنسك .

*
* *

قال وحدّثنا قال حدّثنا السكن بن سعيد قال : كان أبو نُوَاس سأل هشاما : ما أنسابُ مَذْحِج ؟ فأبطأ عليه ، فكتب إليه :

أبا مُنْذِرٍ ما بالُ أنسابِ مَذْحِجٍ * مُرَجَّمَةً دُونى وأنتَ صديق

فإن تأْتِنِى يأتكَ ثنائى ومِدْحتى * وإن تأْبَ لا يُسْدَدْ عَلَىَّ طريق

فبعث بها إليه .

[مطلب ما وقع لبعض الشعراء من تزوجه أربع نسوة وقد سمع الحجاج يرغب فى ذلك]

قال وحدّثنا السكن بن سعيد الجرموزى عن محمد بن عباد عن ٱبن الكلبى قال: قال الحجاج يوما وعنده أصحابه : أمَا إنه لا يجتمع لرجل لَذّةٌ حتى تجتمع أربع حرائر فى منزله يتروجهنّ، فسمع ذلك شاعر من أصحابه يقال له الضحاك، فعَمَد الى كل ما يملك فباعه وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه واحدة منهنّ، فأقبل الى الحجاج فقال: سمعتك — أصلحك الله — تقول: لا تجتمع لرجل لذة حتى يتزوّج أربع حرائر، فعمدت الى قليلى وكثيرى فبعته وتزوّجت أربعا فلم توافقنى واحدة منهنّ : أما واحدةٌ منهنّ فلا تَعْرِف الله ولا تصلّى ولا تصوم، والثانية حَمْقاء لا تُمالك، والثالثة مُذَكَّرة مُتَبرِّجة، والرابعة وَرْهاءُ[1] لا تَعرِف ضَرّها من نفعها، وقد قلت فيهنّ شعرا . قال : هات ما قلت لله أبوك! فقال :

تزوّجتُ أَبْغِى قُرّةَ العَيْن أربعا * فيا ليتنى والله لم أتزوّج

ويا ليتنى أعْمَى أصمٌّ ولم أكن * تزوّجت بل يا ليتنى كنت مُخْدَج[2]

فواحدة لا تَعْرِف الله رَبّها * ولم تدر ما التقوى ولا ما التَّحَرُّج

وثانية حَمْقاء تَزْنِى مَخَانة * تُواثِبُ مَنْ مَرّت به لا تَعرّج

وثالثة ما إن تُوَارِى بثوبها * مُذَكَّرة مشهورة بالتَّبَرّج

ورابعة وَرْهاء فى كل أمرها * مُفَرَّكة[3] هَوْجاء من نسل أَهْوَج

فَهُنّ طلاقٌ كلهن بَوَائِنٌ * ثلاثا بَتَاتا فاشْهدوا لا أُلَجْلِج

فَضحِك الحجاج وقال : وَيْلَك ! كم مَهْرُهُنّ ؟ قال : أربعةَ آلاف أيها الأمير ، فأمر له باثنى عشر ألف درهم .

(١) الورهاء : الخرقاء . (٢) كذا فى الأصل وفيه مع الأبيات بعده الإقواء وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب . والمخدج : ناقص الخلق . (٣) المفركة : المرأة التى يبغضها الرجال .

*
* *

قال وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يَعْـذُل صاحباً له فى الشراب فقال له :

فإنَّك لو شَرِبْتَ الخمرَ حتى * يَظَـلَّ لكل أَنْمُـلة دَبِيبُ
إذا لَعَـذَرْتنى وعَلِمْتَ أنى * بمـا أتلفت من مالى مُصِيبُ

*
* *

قال أبو بكر رحمه الله تعالى وأنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

تقول سُلَيْمى سار أهلُكَ فارْتَحِلْ * فقلتُ وهل تَدْرِين وَيْحَكِ مَنْ أهلى
وهل لىَ أَهْلٌ غـير ظَهْرِ مَطِيَّتِى * أَرُوح وأغـدو ما يفـارقها رَحْلى

[ما قاله عمر بن الخطاب لأبى الزوائد وقد أبى أن يتزوج]

قال أبو على وقرئَ على أبى الحسن على بن سليمان الأخفش وأنا أسمع ، وذكر أنه قرأ جميع ما جاء عن أبى مُحَـلِّم عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين رحمه الله تعالى، فذكر أنه سمع ذلك مع أبيه من أبى محلم، قال أبو محلم أخبرنى سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال لى طاووس : لَتَتَزَوَّجَنَّ أو لأقولنَّ لك ما قال عمر لأبى الزوائد، قلت له : ما قال؟ قال قال له : ما يمنعك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فجور . أبو الزوائد هذا من أهل مكة .

[ماروى عن ابن عباس فى الحث على التزوج]

قال وقال لى أبو محلم حدثنى جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس رضى الله عنهما : ألك امرأة؟ قال قلت : لا ، قال : فَتَزَوَّجْ ، فإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء .

*
* *

وأنشدنا أبو محلم لِخَنُّوصٍ أحد بنى سعد هذين البيتين :

ألا عائذٌ بالله من سَرَفِ الغِنَى * ومِنْ رَغْبة يوما الى غير مَرْغَب
ومن لا يُرِحْ إلا سَوَاماً لغـيره * وإن كان ذا قُرْبَى من الناس يُعْزِب

السَّوَام : المـال، يقال : أراحَ فلان إذا كان له مال، وأَعْزَبَ إذا لم يكن له مال .

وأنشد :

إذا حَدَّثَتْكَ النفسُ أنك قادر * على ما حَوَتْ أيدى الرجال فكَذِّب

فإن أنت لم تفعل ومَالَ بك الهوى * الى بعض ما مَنَّتْكَ يوما فجَرِّب

فإن تك ذا لُبٍّ يَزِدْكَ صَلابةً * على المال مَحْجًى ذو العطاءِ المُتَرَّب

مَحْجًى أى مُمْسَكا . يقال : حَجَا الرجلُ مالَه إذا أمسكه . قال أبو محلم : وذكر أعرابى آمرأته فقال : ما تَحْجُو دوننا شيئا أى ما تُمْسِك، وأنشد للفرزدق :

وذلك خَيْرٌ من عَطَاء مُتَرَّبٍ * مَنُونٍ ومن شَبْعان تُحْجَى دَرَاهِمُهْ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من شَرب الخمر فآجلدوه فإن عاد فآجلدوه فإن عاد فاجلدوه ولا تُثَرِّبوا " أى لا تُعَيِّروا، ومنه قول الله عزّ وجلّ : (لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم) أى لا لوم ولا تأنيب .

وأنشدنا أبو محلم :

سألتُهُمُ الجزيلَ فليس فيهم * بَخِيلٌ بالعطاء ولا مَنُونُ

*
* *

وأنشدنا قال أنشدنا أبو العباس المبرد قال أنشدنى آبن المُصَفَّى :

رُبَّ بَيْت رَأَيْتُ قد زَيَّنُوه * لم يَزَلْ أسرعَ البيوت خَرابا

فيه غَضُّ الشَّباب قد مَتَّعُوه * بمَتَاع وألبسوه ثيابا

وأنشدنا لعبد الله بن طاهر :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُسْلَمَ للنَّوائب * أطافت به الأحزانُ من كل جانب

يُخَبِّر يوم البَيْن أنَّ آعتزامه * على الصَّبْر من إحدى الظُّنُون الكَوَاذب

وأنشدنا لعبيد الله بن عبد الله :

وإنّى لأُعْطِى كلَّ أمرٍ بقِسْطِه * إذا الخَطْبُ عن حَزْم الرَّوِيَّة أَجْهَضا

فأَسْتَعْتِب الأحبابَ والخَدُّ ضارعٌ * وأَسْتَعْتِب الأعداء والسَّيْفُ مُنْتَضَى

قال أبو على وأنشدنا جحظة فى أبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى عليه :

فَقَدْتُ بابن دُرَيْد كلَّ فائدة * لَمَّا غدا ثالثَ الأحجار والتُّرَب

وكنتُ أبكى لفقد الجود مجتهدا * فصِرْتُ أبكى لفقد الجود والأدب

قال وحدثنا أبو الحسن قال أنشدنا أبو محلم للخارق بن شهاب أحد بنى خُزَاعِىّ بن مالك بن عمرو ابن تميم :

كم شامتٍ بى إنْ هَلَكْتُ وقائلٍ * لا يَبْعَدَنَّ مُخارِق بنُ شهاب

المشترى حُسْنَ الثناء بماله * والمالئ الجَفَنات للأصحاب

مأْوَى الأرامل والضَّرِيك اذا اشتكى * وثمال كلِّ مُعَيَّل قِرْضاب

وأخى إخاء قد غدا مُتقلِّدا * سيفا وراحلتى له وثيابى

الضَّرِيك : الفقير . والقِرْضاب : الذى لاشىء له ، هكذا قال أبو محلم .

قال أبو على : وأنا أقول القِرْضَاب والقُرْضُوب أيضا : اللِّصّ .

* * *

قال وأنشدنا أبو محلم لأبى حَزْرة — يعنى جريرا — فى ابنه :

إن بلالا لم تَشِنْهُ أُمُّهُ * لم يَتَنَاسَبْ خالُه وعَمُّهُ

يَشْفى الصُّداعَ ريحُه وشَمُّه * كأن ريح المِسْك مُسْتَحَمُّهُ

ويُذْهِبُ الغَلِيلَ عنِّى ضَمُّه * يقضى الأمورَ وهْوَ سامٍ هَمُّهُ

* فآلُه آلى وسَمِّى سَمُّهُ *

آلُ الرجل : شخصُه . وسَمُّهُ : خَليقَتُه .

[مبحث أيمان العرب]

قال أبو على : ومن أَيْمان العرب ما حدثنا به أبو الحسن على بن سليمان الأخفش عن أبى العباس أحمد بن يحيى قال تقول العرب : «لا وقائتِ نَفَسى القَصير» القائتُ : من القُوت يعطيه قليلا قليلا . وتقول : «لا والذى لا أتَّقيه الا بمَقْلَتِه» أى الموت فى عنق ، فكل شىء حَتْفٌ ، من القَلَت أى الموت .

قال أبو على : وقرأت فى نوادر ابن الأعرابىّ على أبى عمر : «لا والذى لا أتَّقيه إلا بمَقْتَله» أى كل شىء منى مَقْتَلٌ ، من حيث شاء قتلنى .

قال : ومن أيمانهم : «لا ومُقَطِّع القَطْر» . «لا وفالِق الإصباح» . «لا ومُهِبِّ الرياح» . «لا ومُنْشر الأرواح» . «لا والذى مَسَحْتُ أَيْمَنَ كعبته» . «لا والذى جَلَّد الإبلَ جُلودَها» . «لا والذى شَقَّ الجبالَ

للسَّبْل والرجالَ للخيل» . «لا والذى شَقَّهُن خمسا من واحدة» يعنون الأصابع . «لا والذى وَجْهى زَمَمَ بَيْته» والزَّمَمُ : المُقابَلة . «لا والذى هو أقربُ الىَّ من حَبْل الوَريد» . «لا والذى يَقُوتُنى نَفَسى» . «لا وبارئ الخَلْق» . «لا والذى يَرَانى من حيث ما نَظَر» . «لا والذى نادَى الحَجِيجُ له» . «لا والذى رَقَصْنَ ببَطْحائه» . «لا والرَّاقِصات ببطن جَمْع» . «لا والذى أَمُدُّ إليه بِيَـدٍ قصيرة» . «لا والذى يرانى ولا أراه» . «لا والذى كُلُّ الشُّعوب تَدِينُه» .

قال وقال أبو زيد : العُقَيْلِيُّون يقولون : «حَرَامُ الله لا آتيك» كقولك : «يَمِينُ الله لا آتيك» . وجَيْرِ : يمينٌ خُفِضَت للياء . وعَوْضُ : يمين رُفِعَتْ للواو التى فيها .

وأنشدنا أبو الحسن قال أنشدنا أبو محلم :

ألا لَيْتَ شِعرى عن عُوَارِضَتَىْ قَنًا (١) * لِطُول الليالى هـل تغيَّرَتا بعدى
وعن جارَتَيْنا بالبَتِيل أدامَتـا * على عهدنا أم لم تَدُوما على العهد
وعن عُلَوِيَّات الرِّياح إذا جَرَتْ * بِرِيحِ الخُزَامى هل تَهُبُّ على نَجْد

البَتِيل : موضع . قال ويقال : عُلْوِى وعَلْوى . قال وقال أبو محلم يقال : زِينَةٌ وزِيَنٌ، وأنشد للقُلَاخ بن حَزْن بن جَنَاب السعدى :

* وزَانه الشَّحْم وللشَّحْم زِيَن *

وأنشد أيضا لزَبَّان بن سَيَّار الفزارى يتفَجَّع على قومه :

لئن فُجِعَت بالقرباءِ مِنِّى * لقـد مُتِّعْتُ بالأمـل البعيد
وما تَبْغِى المَنِيَّة حين تأتى * على أدنى الأحِبَّة من مَزِيد
خُلِقْنَا أنفُسـا وبنِى نُفُوس * ولَسْنَا بالسِّلَام ولا الحَـديد

قال أبو محلم : ومن كلامهم : «كان ذاك والسِّلَامُ رِطَابٌ» وهو مثل . وأنشد لرؤبة بن العَجَّاج .

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِين الوَحْل *

قال وقال أبو محلم يقال : نَدَسَهُ بالرمح إذا طعنه، وتَنَدَّس فلان الأخبار اذا آستخبر عنها .

---

(١) الشعر لمجنون ليلى كما فى ياقوت .

*
* *

وأنشد للحارث بن ضَبٍّ يهجو حبيب بن المُهَلَّب بن أبى صُفْرة الأزدىّ .

أَوْصَتْ صَفيَّةُ نسلَها بوصيَّة * مَرْعِيَّـةٍ خُتِمَتْ بأَيْرِ الكاتب
أن لا تَدُومَ لهم كرامـةُ مُـكْرَمٍ * فيهم وأن يَأْبَوا بحقِّ الصاحب
ويذكُرُ مُرَّ الفقرِ عنـدَ غِناهُمُ * والشُّحّ عندَ حضور حقٍّ واجب
والبُخْل بالمعروف والصِّلَة التى * أَوْصَى الالهُ بها لِحَـقِّ الراغب
فأَرَى ٱبنها حَفِظَ الوصيَّةَ كلَّها * وٱزداد لُؤْمَ طَبـائعٍ وضَرَائب
يُدْعَى الحَرُونَ عن المكارم كلها * والى المَـلائم فهو أَوَّلُ واثب
ولقـــد أتانى وازِعٌ بمقـالة * عنـــه تَقَوَّلها وليس بكاذب
أن لست خاتمها ولَسْتُ بلَيِّنٍ * ماعِشْتُ للجار المُخَاشِن جانبى
لاتختمنّ صحيفة من بعدها * ألا ببَظْـرِ غَزَالَةَ المُتَشـاغِب
فلقـد رأيت أباك ماضِىَ عُمْره * فى الصِّهْر ليس عن اللئام براغب

[مطلب ماوقع بين غالب بن صعصعة أبى الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحى من المعاقرة يوم صوأر]

قال أبو على وقرأنا على أبى الحسن قال قال أبو محلم حدثنى جماعة من بنى تميم عن آبائهم عن أجدادهم قالوا : أَسْنَتَ بنو تميم زَمَنَ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فانتجعوا أرضا من أرض كلب من طرف السَّماوة يقال لها صَوْأَر ، من الكوفة على عَقَبَـة أو مآبة وهو يوم عَطَوَّدٌ[1] طويل ، فَصَنَع غالبُ بن صَعْصعة وهو أبو الفرزدق طعاما ونَحَر نحائر وجَفَّن جِفَانا وجعل يقسمها على أهل المزايا ، وهم أهل القَدْر ، فأتت جَفْنة منها سُحَيمَ بنَ وَثِيل الرياحى الشاعر ، فكفأها وضرب الخادم التى أتته بها ، وٱحتفظ[2] غالب من ذلك فعاتب سحيما ، فسرى القول بينهما حتى تداعيا الى المُعاقَرة ، وكان سحيم

---

(١) فى هامش بعض نسخ الأمالى شاهدا على قوله عطود مانصه : قلت قال الراجز :

أَتَمَّ أُدِيم يومَها العطــودا * مثل مسرى ليلتها أو أبعــدا

وقال آخر :

لقد لقينا ســـفرا عطودا * يترك ذا اللون النضير أسودا

وواو عطوّد زائدة ، فوزنه فعوّل اهـ

(٢) يقال : أحفظه فٱحتفظ أى أغضبه فغضب .

رجلا فيه شِنْغِيرةٌ[1] وأذى للناس، وكان الناس شَآ فى القلوب عليه — أى وُغَراء الصدور عليه — وكانت إبله خَوَامِسَ قد أُغِبَّت خِمْسا لم ترِدْ، فوردت عليه إبل غالب، فطَفِق غالب يَعْقِرها، وطافت الوُغْدان والفتيان بالإبل فجعلت تَحُوزُها من أطرافها اليه، ومع الفرزدق هِرَاوة يَرُدُّها على أبيه، فيقول غالب: رُدَّ أَىْ بُنَىَّ، فيقول الفرزدق: اعْقِرْ أَبَتِ، حتى نَحَر سائرها وكانت مائتين، فقال طارق ابن دَيْسَق بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يَرْبُوع: — وكان يهاجى سُحَيما —

أَبلغ سُحَيْما إن عَرَضْتَ وجَنْدَرًا * أن المَخَازى لاينام قُرَادُها

أقـــدَحْتُمَا حتى إذا أَوْرَيْتُمَا * للحـرب نارَكما خَبا إيقادُها

لو كان شاهِدَنا الجَميلُ ومالكٌ * لَحَبَتْ لِقـاحٌ وُلَّهٌ أولادُها

أَطرَدْتَها نِيبًا تَحِنُّ إفالُهَا * من أن يكون لسيفه إيرادُها

وقال جرير للفرزدق حين هاجاه:

وأَلْفَيْتُ خيرا من أبيك فوارسا * وأَكْرَمَ أياما سُحَيْما وجَنْـــدَرا

هم تركوا عَمْــرًا وقَيْسا كلاهما * يمُجُّ نَجِيعا من دم الجوف أحمرا

وقال المحل بن كعب أخو بنى قَطَن بن نَهْشَل:

وقد سَرَّنِى أن لاتَعُدُّ مُجَاشِعٌ * من المَجْد إلا عَقْرَ نِيبٍ بِصَوْأَر

وقال جرير للفرزدق يهاجيه أيضا:

فَنُورِد يوم الرَّوْع خَيْلًا مُغيرة * وتُورِدُ نابًا تَحْمِل الكِيرَ صَوْأَرا

شَقِيت بأيام الْفِجَار فلم تَجِدْ * لقومك إلا عَقْرَ نِيبِك مَفْخَرا

وقال طارق بن دَيْسَق يُعيِّرُ سُحَيما:

لَعَمْرى وما عَمرِى عَلَىَّ بِهيِّنٍ * لقد ساء ما جَازَيْتَ يابن وَثِيل

مَدَدْتَ بذى باعٍ عن المَجدِ جَيْدَرٍ * وسَيْفٍ عن الكُومِ الخِيَارِ كَلِيل

(١) الشنغيرة ومثلها الشنغرة: سوء الخلق والفحش والبذاءة.

وقال ذو الخِرَق الطُّهَوِى[1] يتعصَّب لغالب لأنه من بنى مالك بن حنظلة :

أبلــغ رِياحًا[2] على نأيها * ورَهْطَ المُحِلِّ شُفَاةَ الكَلَبْ

فلا تَبْــعَثُوا منكم فارطا * عظيم الرِّشاء كبيرَ الغَرَبْ[3]

يُعارِضُ بالدَّلو فيضَ الفُرات * تَصُــكُّ أَوَاذِيُّه[4] بالخَشَبْ

فما كان ذَنْبُ بَنِى مالكٍ * بأن سُبَّ منهم غلامٌ فَسَبْ

عَرَاقيبَ كُومٍ طِوالِ الذُّرَى * تَخِــرُّ بَوائكُها[5] للرُّكَبْ

قال أبو على : وأنشدنى أبو بكر بن دريد :

بأبيَــضَ يَهْتَزُّ فى كفِّه * يَقُطُّ العِظَام ويَبْرِى العَصَبْ

بأبيــض ذى شُطَبٍ[6] باترٍ * يقطّ الجُسُوم ويَفْرِى الرُّكَبْ

تَسَامَى قُــرُوم بنى مالك * فسَامَى بهم غالبٌ إذ غَلَبْ

فأبْــقَى سُحَــيْمٌ على ماله * وهابَ السؤالَ وخافَ الحَرَبْ

قال : فأقبلت إبل سحيم حتى وردت عليه ، فأوردها كُنَاسةَ[7] الكوفة ، وجعل يَعْقِرُها وهو يقول :

كيف تَرَى جُحَــيْدرًا يَرْعاها * بالسيف يُخْلِيها اذا اسْتَخلاها

* يَنْتَثِر الخَــزِيزَ من ذُرَاها *

فلم ينفعه عَقْرُه إياها وقد سَبَقَه غالب بالعقر . قال : وأخبرنى عبيد الله بن موسى قال : أخبرنى رِبْعِىُّ بن عبد الله بن الجارود الهُــذَلِىّ عن أبيه قال قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : لا تأكلوا منها شيئا فإنها مما أُهِلَّ به لغير الله ، وأمر فَطُرِد الناس عنها . وقال سُحَيم بن وَثِيل فى معاقرته :

لَهَانَ بما يَجْنِى عُفَيْرٌ وجَحْــدَر * وذو السيف قد دَنَّى لها كلَّ مُقْرَم

ألا لا أبالى أن تُعَــدَّ غرامةٌ * عَلَىَّ إذا ما حَــوْضُكم لم يُهَــدَّم

فَسَبَّحْتُ فى الظَّلْماء لَمَّا رأيتُهم * نَجِيًّا وما يُخْفَى عن الله يَعْلَم

---

(١) هو شِمْر بن هلال بن قُرْط بن جُشَم بن سعد كما فى النقائض (طبع ليدن صفحة ١٠٧٠) . (٢) بالأصل ألا أبلغن ، وهو خطأ ظاهر ، لأن البيت يكون مخزوما بخمسة أحرف والخزم لم يسمع الا بأربعة فقط ، والتصحيح عن كتاب النقائض (طبع ليدن صفحة ١٠٧٠) . (٣) الذى بالنقائض: * قصير الرشاء صغير الغرب * (٤) أواذى : جمع آذىّ وهو الموج . (٥) بوائك : جمع بائكة وهى الناقة السمينة . (٦) شطب السيف : طرائقه التى فى متنه . (٧) كناسة الكوفة : محلة بها عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفى زيد بن على بن الحسين بن علي بن أبى طالب .

[مبحث دعاء العرب]

قال أبو العباس: يُدْعَى على الإنسان، فيقال: «ماله آمَ وعامَ»، و«رَمَاه الله بالأَيْمَة والعَيْمة»، أى ماتت آمرأته، يقال: رجل أَيِّمٌ وآمرأة أَيِّمٌ إذا كان بغير آمرأة وكانت بغير رجل، قال أبو الحسن: ولو قال: آمرأة أَيِّمة، يخرجها على آمَتْ لكان جَيِّدا، لأنه يقال: آمَتْ تَئِيم، كما يقال: باعَتْ تَبِيعُ، ومثله كثير. وعام: هَلَكَتْ ماشيتُه حتى يشتهى اللبن. قال ويقال: «مالَهُ حُرِب وحَرِبَ وجَرِب وذَرِب» حُرِب: ذَهَبَ مالُه، وحَرِبَ هو فى نفسه. وجَرِبت إبلُه. وذَرِب: وَرِمَ جَسَدُه، والذِّرْبة: وَرْمة تخرج فى عُنُق البعير. وماله شَلَّ عَشْرُه. ويَدِىَ مِنْ يَدِه. وأَشَلَّ اللهُ عَشْرَه. وأَبْرَدَ الله مُخَّه أى هَزَله. وأَبْرَدَ اللهُ غَبُوقه أى لا كان له لبن حتى يشرب الماء. وقَلَّ خِيسُه أى خَيْره. وعَثَرَ جَدُّه. ورماه الله بغاشية وهى وجع يأخذ على الكبد يُكْوَى منه. ورماه الله بالسُّحَاف، وهو وجع يأخذ بين الكتفين ويَنْفُثُ صاحبه مثل العَصَب. قال أبو على وقال غيره: السُّحَاف السِّلُّ، ورجل مَسْحُوف أى مسلول. ورماه الله بالعَرْفة، وهى قُرْحة تأخذ فى اليد والرِّجل وربما أَشَلَّت. و«رماه الله بالحَبَن والقُدَاد»، وهو داء يأخذه فى بطنه، ومنه طائرة حَبْناء أى فى بطنها عِلَّة. وقَرِع فِناؤه وصَفِر إناؤه، أى أُخذت إبله فلا يكون له فى فنائه شىء ولا فى إنائه لبن. ويقال: مالَهُ جُدَّت حَلائبُه أى لا كانت له إبل. وإن كان كاذبا فاسْتَرَاح الله رائحتَه أى ذهب الله بها. و«رماه الله بأَفْعَى حارِيةٍ» أى قد رجع سمُّها فيها فأحرقها فهو أشدّ لضَرْبتها. وذَبَلَتْه الذَّبُول أى ثَكِلَتْه أمه، وأنشد:

طعَان الكُمَاة ورَكْضَ الجِيَاد * وقول الحَوَاضِنِ ذِبْلًا ذَبِيلَا

ويروى بالدال غير معجمة وهو أجود، يقال: دَبَلَتْه الدَّبُول بالدال غير معجمة مثل ثَكِلَتْه الثَّكُول أى ثَكِلَتْه أُمُّه. قال ثعلب: وقلت لابن الأعرابى قلت له ذِبْلا ذَبِيلًا، وقال لى الآن دِبْلًا دَبِيلًا، فقال: بالدال غير معجمة أجود، قال: والذال يجوز.

*
* *

وقال أبو محلم: يروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان إذا عَطِش خَمَّر وجهه أى غَطَّاه. ويروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول: "خَمِّروا أَسْقِيَتَكم وأَجِيفُوا أبوابكم وآحْذَروا على صبيانكم فَحْمة العِشَاء" وفَحْمة العشاء بفتح الفاء والحاء: ما بين العشاء الأولى والعشاء الآخرة.

وأنشد لبَشير بن النِّكْث الكَلْبِيّ [١] :

أَجِدِّى فاشربى بحياض قومٍ * عليهمْ من فَعَالِهم حَبِير [٢]

فإن بنى رِفاعةَ فى مَعَدٍّ * هم الَّجأُ المُؤَمَّل والنصير

هم الأخيار مَنْسكَةً وهَدْيًا * وفى الهَيْجا كأنّهم الصُّقور

عن الفَحْشاء كُلُّهمُ غَبِىٌّ * وبالمعروف كُلّهم بصير

خَلائق بعضُهم فيها كبعض * يَؤُمُّ كبيرَهم فيها الصغير [٣]

[جرير والمهاجر بن عبد الله الكلابى]

قال أبو على: قرأت على أبى الحسن قال أبو محلم: كان المهاجِرُ بن عبد الله الكِلَابِىّ عاملا على اليَمامة لهشام بن عبد الملك، وكان قد أَقْطَع جَرِيرا دارًا، وأَمَرَ خمسين رجلا من جُنْد أهل الشام أن يَلْزَموا باب دار جرير، وأن يكونوا معه فى ركوبه الى باب دار المهاجر إشفاقا عليه من ربيعة، فاعْتَلّ جرير فقال يَوْمَ دَخَلُوا عليه :

نفسى الفداء لقوم زَيَّنُوا حَسَبِى * وإن مَرِضْتُ فهم أَهْلى وعُوّادى

لو حالَ دُونى أبو شِبْلَيْنِ ذو لِبَد * لم يُسْلِمونى لِلَيْثِ الغابة العادى

إن تَجْرِ طَيْرٌ بأمر فيه عافيةٌ * أو بالفِراق فقد أَحْسَنْتُمُ زادى

[حديث عمر بن الخطاب وأبى بكرة]

قال أبو محلم قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى بَكْرة : إن تُبْتَ قَبِلْتُ شَهادَتك لأن القاذف المحدود لا شهادة له، فقال أبو بكرة : أَشْهَدُ أنّ المُغيرةَ زانٍ، فقال عمر : إنّكَ لَفاجِرٌ أَبَلُّ، ومؤمن لا يُفَلُّ . والأَبَلُّ : الذى يَمْضِى على أمره وشأنه لا يرجع عنه . وأنشد :

مُجَرَّسٌ [٤] يَخْلِطُ إفكًا بجَدَل * أَبَلُّ إن قيل آتق الله آحْتَفَل

---

(١) كذا ضبط فى اللسان مادة « نكث » . (٢) أى أثر بين . (٣) أى يقتدى الصغير بالكبير .

(٤) يقال: رجل مجرَّس : مجرب للأمور، ومجرَّس : أى جربته الأمور وأحكمته .

[عود الى مبحث دعاء العرب]

قال وقال أبو العباس: «مالَهُ غالَتْه غُول» . و«شَعَبَتْه شَعُوب» . قال الأصمعى: شَعُوب بغير ألف ولام معرفة لا تنصرف لأنها اسم للمَنِيَّة . و «وَلَعَتْه الوَلُوع» ، وَلَعَتْه: ذَهَبَتْ به . و «رماه الله بلَيْلَة لا أُخْتَ لها» أى بليلة موته . و «رماه الله بما يُقَبِّض عَصَبَه» أى بما يجمعه . وقولهم: «قَمْقَمَ اللهُ عَصَبَه» معناه أَيْبَسَ عصبه فاجتمع ، وأصل ذلك من القَمْقَام وهو وَسَطُ البحر ومجتمع مائه . وقال أبو عمرو: يقال لما يَبِسَ من البُسْر القِمْقِم . «لا تَرَكَ الله له هارِبًا ولا قارِبًا» أى لا صادرا عن الماء ولا واردا . «شَتَّت اللهُ شَعْبَه» أى أباد الله أهله . «مَسَحَ الله فَاهُ» أى مسحه من الخير . «رماه الله بالذُّبَحة» وهى وَجَعٌ يكون فى الحلق يُطَوِّقه . «رماه الله بالطُّسْأة» مهموز وهى داء يأخذ الصبيان . قال أبو على: الذى أحفظه الطُّشَّة ، وأبو العباس ثقة حافظ فلا أدرى أَوَقَع الخطأ من الناقل إلينا أم من سهو أبى العباس أو تكون لغة غير الطُّشَّة . «سقاه الله الذِّيفان» وهو السُّمُّ السريع القتل . وحكى عن الباهلى: «جَعَلَ اللهُ رِزْقَه فَوْتَ فَمِه» أى قريبا منه ويُخْطئه ، أى ينظر إليه قدر ما يَقْرُب من فمه ثم لا يقدر عليه . «رماه الله فى نَيْطه» وهو الوَتِين أى قتله . وقال أبو صاعد: «قَطَعَ الله به السَّبَبَ» أى قَطَعَ سببه الذى به الحياة . «قَطَعَ الله لَهْجَتَه» أى أماته . «قَدَّ الله أَثَرَه» أى أماته . وقال فى أتان له شَرُودٍ: جَعَلَ اللهُ عليها راكبا قَليلَ الحِدَاجَة ، بَعِيدَ الحاجة . والحِدَاجة: الحِلْس وهو الكِساء الذى يُحْمَل على الجَمَل . «عليه العَفَاء» أى مَحْوُ الأَثَر . «رَغْمًا دَغْمًا شِنَّغْمًا» : دعاء وهو إتباع ، قال أبو الحسن: رَغْمًا أى أَرْغَم اللهُ أَنْفَه ، ودَغْمًا: مثله ، وشِنَّغْمًا: توكيد . «مالَهُ جُدَّ ثَدْىُ أُمِّه» إذا دعا عليه بألّا يكون له مِثْل . «لا أَهْدَى الله له عافِيَةً» أى من يطلب رِفْدَه وفَضْلَه ، أى كان فقيرا . «ثُلَّ عَرْشُه» أى ذَهَبَ عِزُّه . «ثَلِلَ ثَلَلُه» . و«أَثَلَّ الله ثَلَّه» أى أذهب الله عزه . «عِيلَ ما عالَهُ» ، قال أبو عبيدة: هو فى التمثيل أُهلِكَ هَلاكُه ، أراد الدعاء عليه فدعا على الفعل ، ويقال ذلك فى المدح ، أى من قام بأمره فهو فى خَفْض . «حَتَّه الله حَتَّ البَرَمة» ، والبَرَمة: ثَمَرُ الأراك . «لا تَبِعَ له ظِلْفٌ ظِلْفًا» . «زَالَ زَوالُه» و «زِيلَ زَوِيلُه» أى ذَهَب ومات . «سُلَّ» و «شُلَّ» و «غُلَّ» و «أُلَّ» ، سُلَّ من السُّلِّ ، وغُلَّ من الغُلِّ أى جُنَّ حتى يُشَدَّ ، وأُلَّ: طُعِن بالأَلَّة فقُتِل ، والأَلَّة: الحَرْبة ، قال أبو الحسن: المعروف عند جميع العلماء ولا أعلم فيه اختلافا أنه يقال: شَلَّتْ يَدُه وأُشِلَّت ، وحكى

ثعلب : شُلَّ ، وأظنه جرى على هـذا لمزاوجة الكلام ، لأن قبله سُلَّ وكذلك الذى يليه . وكذلك «لاعُدَّ مِنْ نَفَرِه» أى مات ، والنفر : أهل الرجل وأقاربه ممن يَنْفِر معه فى الشدّة والخَطْب الجليل .

وقال أبو زيد : «رَمَاه الله بالطُّلَاطِلة» بضم الطاء الأولى ، والطُّاَطِلة بضم الطاء أيضا على فُعَالِة ، قال وقال الراجز يذكر دلوا :

قَتَلْتِنِى رُمِيتِ بالطُّلَاطِلَهْ * كأَنَّ فى عَرْقُوَتَيْك بازِلَهْ

وهى الداء العُضَال . «رماه الله بكل داءٍ يُعْرَف وكل داء لايُعرَف» . «سَحَقَه الله» أى ذَهَب به وأفقره . «لا أَبْقَى الله له سارحا ولا جارحا» . السارحة : الماشية ، الإبل والبقر والغنم ، لأنها تَسْرَحُ فى المرعى ، والجارح : الفرس والحمار ، ولا يكون البعير جارحا ، وإنما قيل للفرس والحمار جارح ، لأن الفرس والحمار تَجْرَحُ الأرض بوطئها أى تؤثِّر فيها بحوافرها ، والإبل لا أثر لها . « رماه الله بالقُصْمُل » ويقال : القُصَمِل وهو وجع يأخذ الدابة فى ظهرها . ويقال : قَصْمَله أى دَقَّهُ . «بِفِيه الأَثْلَب» والإِثْلِب والكَثْكَث والكِثْكِث أيضا أى التراب ، والدَّقْعِم والحِصْلِب وهو التراب . «بِفِيه الْبَرَى» قال أبوعلى : التراب ، قال وأنشد الفراء :

* بِفِيكَ مِنْ ساعٍ الى القوم الْبَرَى *

« أَلْزَقَ اللهُ به الحَوْبة» أى المَسْكَنةَ ، قال . ويقال : «بَرْحًا له وتَرْحًا» إذا تُعُجِّب منه ، أى عناء له كما تقول للرجل إذا تكلم فأجاد : «قَطَعَ الله لسانه» . قال وقال أبو مهدى : «بَسْلًا له وأَسْلًا» ، كما تقول للإنسان إذا دعى عليه : «تَعْسًا له ونُكْسًا» . «لَحَاه الله كما يُلْحَى العُود» . أى قَشَره كما يُقْشَر العود إذا أخذ لِحَاؤُه وهو القشر الرقيق الذى يلى العود . «لا تَرَك الله له شُفْرًا ولا ظُفْرا» الشُّفْر : شُفُرُ العَيْن ، والشَّفْر : شَفْر المرأة .

وقال أبو على : كذا يقال بالفتح . « رماه الله بالسُّكَات » . «رماه الله بِخُشَاش أَخْشَن ، ذى ناب أَعْجَن» يعنى الذئب . «قَرِع مُرَاحُه» أى لا كانت له إبل ، قال عُرْوة بن الوَرْد :

إذا آداكَ مالُكَ فَامْتَهِنْهُ * لِجَادِيه وإن قَرِعَ المُرَاحُ

« لأُمِّه العُبْرُ والعَبَرُ» أى الثُّكْل ، والعُبْرُ البُكاء . «له الوَيْل والأَلِيل» وهو الأنين ، قال ابن مَيَّادة :

وقُولَا لها ما تَأْمُرِينَ بعاشقٍ * له بَعْدَ نَوْماتِ العِشاء أَلِيلُ

«مالَهُ ساف مالُه» ، وأَسَاف الرجلُ إذا هَلَك مالُه ، قال حُميد بن ثَوْر :

فما لَهُما من مُرْسلَيْنِ لحاجةٍ * أَسَافَا من المالِ التِّلاد وأَعْدَما

ويقال فى مَثَلٍ : «أَسَافَ حَتَّى ما يَشْتَكِي السُّوَاف» أى قد أَلِفَ ذلك ودَرِبَ به ، يقال ذلك للذى امْتَحَن الدهرَ وجَرَّبه ومَرَّ به خيرُه وشَرُّه . «مالَهُ خابَ كَهْدُه» الكَهْدُ : المِرَاس والجَهْد . «مالَهُ طال عَسْفُه» أى هَوَانُه . «رَمَاه الله بِوَامِئَةٍ» أى ببلاء وشر . «اقْتَثَمَه الله إليه» أى قبضه إليه . و«ابْتَاضَه الله» و«ابْتَاضَهم الله» وابْتَاضَ بنو فلان بنى فلان اذا أَتَوْا عليهم وعلى أموالهم ، والبَيْضَة : المعظم ، ومنه : هذا البلد بَيْضَة الإسلام أى مُجْتَمَعُه كما تَجْمَع البَيْضَةُ التى على الرأس الشَّعَر . «أَبَادَ اللهُ عِتْرَتَه» أى ذهب بأهل بيته . «سَحَقَه الله» . «أَهْلَكَه الله» . «أَبَادَ الله غَضْرَاءَه» أى نَضَارته وحُسْنَ دُنْياه ، والغَضْراء : الطينة العَلِكَة . ويقال للإنسان إذا سَعَل : «عَنَّسَ بِكَدَدٍ» عنَّس : طال مُكْثُه أى طال مُكْثُ السُّعال عليه وقَوِىَ ، والكَدَدُ والكَدِيدُ : ما صَلُب من الأرض ، وقال أبو محمد اليزيدى يقال للإنسان إذا سَعَل : «وَتَدٌ عَسِيرٌ نَكِدٌ» . ويقال : «وَرْيًا وَزِيدَ بَرْيًا» ، الوَرْىُ : داء يكون فى الجوف فلا يزال حتى يَقْتُل ، وبَرْيًا أى يُبْرَى حتى يَذْهَب لحمُه وبدنه . قال ويقال للذى يَسْعُل : «أَشْمَتَ اللهُ عادِيَه» و «أشمت عَدُوَّه» . ويقال من الدعاء : «تَرَكَهُ الله حَتًّا بَتًّا فَتًّا لا يَمْلِكُ كَفًّا» . ويقال : «عبرٌ وسهرٌ» . «أحانَه اللهُ وأَذَاله وأَبَانَه» . «أَبْلَطَه الله» ، وإن فلانا لَمُبْلَطٌ أى لا شىء له . «أَلْزَقَه الله بالصَّلَّة» أى بالأرض . وإذا أَقْبَلَ الرجلُ وطَلْعَتُه تُكْرَه قيل : «حَدَادِ حُدِّيه» أى مَنَاعِ امْنَعِيه ، والحَدُّ : المَنْع . «صَرَافِ اصْرِفِيه» . «جَدَعَهُ الله جَدْعًا مُوعِبا» أى مُسْتَأْصِلا ، يقال : أَوْعَبَ بنو فلان إذا خرجوا من عِنْد آخرهم . «رماه الله بمُهْدِئِ الحركة» . «رماه الله بالْوَاهِنة» وهى وجع يأخذ فى المَنْكِب فلا يقدر الرجل أن يَرْمِىَ حَجرا . قال وقال الهلالىّ : «ماله وَبَدَ الله به» أى أبعده ، من تَأَبَّدَ إذا تَوَحَّش ، قال أبو الحسن : حقّ هذا على ما ذكر أن يكون أَبَدَ الله به ، وإثبات الواو جائز على بُعْد . ويقال للبعير والحمار : «لا حَمَلَ اللهُ عَلَيْكَ الا الرَّخَم» أى أماتك الله حتى تقع عليك فتأكل لحمك . «رماه الله بالأَنَّة» أى بالأنين . «أَبْدَى الله شُوَاره» أى مَذَاكيره . و«شَوَّرَ به» : أَبْدَى عورته . «تَرِبَتْ يداه» : افتقر ، قال الأصمعى : وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : "عَلَيْكَ بذات الدِّينِ تَرِبَتْ يداك" أراد به الاستحثاثَ كما تقول :

انْجُ نَكِلَتْكَ أُمُّكَ وأنت لا تريد أن يُثْكَل، قال أبو عمرو : أى أصابهما التراب ولم يَدْعُ عليهما بالفقر، ومنه قول عباس بن مِرْداس السُّلَمى رضى الله تعالى عنه :

فَأَيِّى ما وأَيُّكَ كان شَرًّا * فَقِيدَ الى المَقَامةِ لا يراها

ويروى : فَسِـيقَ . والمَقَامة : المجلس ، أى عَمِىَ فلا يبْصِر حتى يُقَاد . «ماله بُقِىَ بطْنُه» مثل بُعِى أى شُقَّ بطنه، وأنشد لمَعْقِل بن رَيْحان :

بَأَوْتُهـم وقد حَبِنُوا فَصَحُّوا * وقد يَشْفِى من الداء الطبيبُ

أى عالجتهم حتى انقادوا . «مالَهُ شِـيبَ غَبُوقه» أى قَلَّت ماشيته حتى يَقِلَّ لَبَنُه فيخلطه بالماء. «مالَهُ عُرِنَ فى أنفه» أى طُعِن . «مالَهُ مَسَحَهُ الله بَرَصا، واَسْتَخَفَّهُ[(١)] رَقصا» . و «لا تَرَكَ له خُفًّا يَتْبَع خُفًّا» . «عَبَلَتْه العَبُول» وَلَقَدْ عَبَلَتْ فلانا عنا دابلةٌ أى شَغَلتْه عنا شاغلة، قال الشاعر :

وما بِىَ ضَعْفَةٌ عن آل وَرْدٍ * ولا عُبِلَتْ يَدَاىَ ولا لسانى

وَرْدُ بن عوف بن ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب . وقال يونس تقول العرب إذا لقى الرجل شرا : «ثَبَتَ لِبْدُه» و «أثبت الله لِبْدَه» ،يدعون بذلك عليه،أى دام عليه البلاء . ويقال للذى يبكى : «دَمًا لا دَمْعًا» والقوم يُدْعَى عليهم فيقال: «قَطَعَ الله بُذَارتهم»، والبُذَارة من البَذْر، كأنه أراد النَّسْل. و «أَثِلَّ ثَلَّه» أى شُغِل عن بيته . «أَتْعَسَ الله جَدَّه وأَنْكَسَه» . قال وقال أبو مهدى : «ظنة ظانية» ، والظنة بضم الظاء : الحتف . ويقال : «ياحَرَّة يَدِك» ويا حَرَّة أيديكم من الشدّة لا تفعلوا كذا وكذا. و «ياحَرَّةَ صَدْرِى» ويا حَرَّة صُدُوركم بالغيظ. و«أَخَابَه اللهُ وأَهَابَه» : جَعَله يَتَهَيَّب . و «عَضَلَه الله» . ويقال : «قَلَّ قَلِيلُه» . و «قَلَّ خِيسُه» والخِيسُ : العَدَد . ويقال لمن شُمِتَ به : «لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ» . «بِهِ لا بِظَبْىٍ بالصَّرِيمة أَعْفَرَا» . و «تَعَسَه اللهُ ونَكَسَه وأَتْعَسَه وأَنْكَسَه» . التَّعْس : أن يَخِرَّ على وجهه والنَّكْس : أن يَخِرَّ على رأسه . وقال الكسائى : «قَبْحًا وشَقْحًا» أى كَسْرا،شَقَحَه : كَسَره . «أَزْقَ اللهُ به العَطَش والنَّطَش» و «أَزْقَ الله به الجُوع والنُّوع» . النُّوعُ : العطَش . و«القُـلَّ والذُّلَّ» . «مالَهُ سَبِدَ نَحْرُه ووَبِدَ» أى سَبِد من الوَجْد على المـال والكسب لا يَجِدُ شيئا، وقد سَبِدَ الرجل ووَبِد

(١) قوله واستخفه الخ كذا فى أصله ، وحرّر ضبطه ومعناه فإنا لم نعثر عليه .

إذا لم يكن عنده شيء ، وهو رجل سَبِدٌ،قاله ابو صاعد، وقال أبو الغمراء: إنما نعرفه من دعاء النساء «مالَها سَبِدَ نَحْرُها» . وقالت امرأة لأخرى : «خَفَّ حَجْرُكِ وطاب نَشْرُكِ» أى لا كان لك وَلَد ، والحَجْر : مُجْتَمع مُقَدَّم القميص . « رَماه اللهُ بسَهْمٍ لا يُشْوِيه ولا يُطْنِيه » أى لا يُمْرِضُــه ولا يُخْطِئ مَقْتله ولا يُلْبِثُه . و « رماه الله بنَيْطِه » أى بالموت . ويقال : « أَسْكَتَ الله نامَّته ورَنَّمته وزَأْمَتَه » أى كلامه . «هَبِلَتْه الهَبُول» و «ثَكِلَتْه الثَّكُول» و «عَبِلَتْه العَبُول» و «ثَكِلَتْه الرَّعْبَل» أى أُمُّه الحمقاء، قال وأنشدنا الباهلى واسمه غَيْث :

وقال ذو العَقْل لمن لا يَعقِل * اذْهَبْ إليك هَبِلَتْكَ الرَّعْبَل

يعنى أُمَّه الحمقاء . و « ثَكِلَتْه الجَثْــل » أى أمُّه . «لا تَرَكَ الله له واضِحــةً» أى ذَهَب الله بثَغْره . «أَرْقَأَ الله به الدَّمَ» أى ساق الى قومه حَيًّا يَطْلُبون بقتيل فيُقْتَل فيَرْقَأ دمُ غيره به . « أَرَانيه اللهُ أَغَرَّ مُحَجَّلا» أى مقتولا محلوق الرأس مقيدا، لأنهم يأخذون النواصى. «أطفأ الله نارَه» أى أعْمَى عينيه. «رأيتُه حاملًا جَنْبَه» أى مجروحا . «لا تَرَكَ الله له شامِتَةً» والشَّوامِت : القوائم . «خَلَعَ الله نَعْلَيْه» أى جعله مُقْعَدا . «أَسَكَّ اللهُ مَسامِعَه» أى أَصَمَّه . «لا دَرَّ دَرُّه» أى لا أَتَى بخير. «بَخَعَ الله به وَلُودًا وَدُودا» . «جَدَّه اللهُ جَدَّ الصِّلِّيَانِ» أى لا تَرَكَ منــه شيئا . قال أبو صاعد : «سَقاه الله دَم جَوْفه» لأنه إذا هُرِيق دَمُه هَلَكَ . قال أبو العباس ثعلب قال أبو صاعد : «سَبِدَ الرجل وَوَبِد» إذا لم يكن عنده شيء، وهو رَجُل سَبِدٌ، والسَّبَد: البلاء بعضه على بعض . ويقال : «نَعُوذ بالله من النار وصائرةِ إليها ومن السَّـيْل الجارِف والجَيْش الجائح» ، جَاحُوا أموالهم يَجُوحُونَهـا جَوْحًا و « مَصَائب الغرائب وجاهِدِ البلاء ومُعْضِلات الأدْواء» [١] . ويقال : «بِهِم اليومَ قَطْرة من البلاء» . و «نعوذ بالله من وَطْأة العدوّ وغَلَبة الرجال وضَلَع الدَّيْن» . و «نعوذ بالله من العَيْن اللَّامَّة» أى عين الحاسد من أَلَمَّ به يُلِمُّ إذا أتاه لينظر الى جميع ماله ويتأمَّله لا يخفى عليه منه شيء . ويقال : «نعوذ بالله من كلِ هامَّة وعينٍ لامَّة» الهامَّة: الحَيَّة، والهَوامّ : دوابُّ الأرض التى تَهُمُّ بالإنسان تَقْصِد له بما يكره، واللامَّة : العين الحاسدة تُلِمُّ بكل شيء تراه وتَتَفَقَّده حتى لا يفوتها شيء . ويقال : «نعوذ بالله من الهَيْبَة والخَيْبَة» . «نعوذ بالله من أَمْواج البلاء [١] وبوائِق الفِتَن وخيبة الرجاء وصَفَرِ الفِناء» .

---

(١) المعروف من الحديث جهد البلاء .

قال أبو على : هـذا آخر الأيمان والدعاء . ومن الدعاء ما هو خارج عن الكتاب، قال الباهلى : «وَصَفَ الله فى حاجَتِـك» أى لَطَف لك فيها . وقال أبو مهدى يقال : «تَأَوَّبك الله بالعافيـة وقُرَّةِ العَيْن» . وإذا وَعَدَك الرجل عِدَةً قلت : «عَهْدٌ ولا بَرْح» أى ليكن ذلك . قال : «ثَوَّبها اللهُ الجنةَ» أى جَعَلَها ثوَابَها . قال أبو مهدى : وَوَعَدْتُ(١) بعضَ الأعراب شيئا فقال لها : « سَبَّع الله خُطَاكِ » . ويقال : «نَشَر اللهُ حَجْرَتَك» أى كثر الله مالك وولدك ، والحَجْرة بفتح الحاء هاهنا : الناحية .

قال أبو محلم : ويقال : الظُّنُون : الوَشَل أو البئر التى تكون قليلة المـاء، وأنشد :

لَعَمْرُكَ إنّنى وطِلَابَ حُبِّى * لكالمُتَـبَرِّض الثَّمَدَ الظُّنُونا
يُطِيف به ويُعْجِبـه ثَرَاهُ * وضِيقُ مَجَمِّـه قَطَع العيُونا

يعنى عُيُون المـاء . والمتبرض : الذى يأخذ البَرْضَ وهو القليل من المـاء ومن كل شىء .

وأنشد للشَّمَرْدَلِ بن شريك اليَرْبُوعىّ يرثى أخاه :

وكُنْتُ أُعِيرُ الدمعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى * فأنْتَ على من مات بَعْدَك شاغِلُه
تَبَرَّضَ بعد الجَهْدِ من عَبَرَاتها * بَقِيَّـةَ دَمْعٍ شَجْوُها لك باذِلُه

وأنشدنا لرجل من بنى ضَبَّة :

لقـد عَلِمْتَ وإن قَطَّعْتِنى عَذَلا * ماذا تَفَاوت بين البُخْـل والجُود
إن لا أكن وَرَقًا تَغْنَى العُفاةُ به * لِلْمُعْتَفِين فإنّى لَيِّنُ العُـود

قال أبو الحسن : الأجود : إنْ لا يَكُنْ وَرَقٌ .

[مطلب ما قاله حاتم الطائى فى الصفح والاغتفار]

وأخبرنا أبو الحسن على بن سليمان النحوى قال أنشدنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى قال أنشدنى إبراهيم بن إسحاق المعمرى التيمى قال أنشدنى أبو البلاد التغلبى لحاتم طَيِّئٍ :

وعَوْراءَ جاءت من أخٍ فَرَدَدْتُها * بسالمةِ العَيْنَيْنِ طالبـةٍ عُذْرا
ولو أننى إذ قالهـا قلت مثلها * ولم أَعْفُ عنها أَوْرَثَتْ بيننا غِمْرا(٢)
فأعْرَضْتُ عنه وانْتَظَرْتُ به غَدًا * لَعَـلَّ غَدًا يُبْـدى لمنتظِرٍ أمرا

(١) لعل هنا كلمة سقطت من الناسخ، والأصل ووعدت امرأة بعض الأعراب الخ . (٢) الغمر : الحقد .

وقلت له عُــدْ للأُخُوَّةِ بيننا * ولم أَتَّخِـذْ ما كان من جَهْلِه قَمْرا
لأَنْزِعَ ضَــبًّا(١) كامِنًا فى فؤاده * وأَقْـلِمَ أظفارًا أطالَ بها الحَفْرا

[مطلب ما وقع لمجنون بنى عامر مع أخيه وابن عمه و إطلاقه ظبية قد قنصاها]

قال وقال المعمرى أخبرنى أبو مسلمة الكلابى قال : كان مجنون بنى عامر فى بعض مجالسه ، وكان يكثر الوَحْدَة والتوحش ، فَمَرَّ به أخوه وابن عمه قد قَنَصَا ظَبْيةً فهى معهما ، فقال :

يا أَخَوىَّ اللَّذَيْنِ اليومَ قد قَنَصَا * شِبْهًا لِلَيْــلَى بِحَبْــلٍ ثُمَّ غَلَّاها
إنى أَرَى اليوم فى أعطاف شاتِكُمَا * مَشَابِهًا أَشْبَهَتْ لَيْــلَى فَخُلَّاها

فامْتَنَعا بها فَهَمَّ بهما ، وكان نَجْدًا قبل ما أصيب ، فخافاه فدفعاها إليه ، فأرسلها فَوَلَّتْ تَفِرُّ ، ثم أقبلت تنظر إليه فقال :

أَيَا شِــبْهَ لَيْــلَى لا تُرَاعِى فإنَّنِى * لَكِ اليومَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
تَفِرُّ وقد أَطْلَقْتُها من وَثَاقِها * فأنت لِلَيْــلَى ما حَيِيتُ عَتِيقُ
فعيناكِ عَيْنَاها وجِيــدُكِ جِيدُها * ولكِنَّ عَظْمَ الساق منـك دَقِيق

[مطلب ما تعبر به العرب من أسماء الداهية]

وقال أبو العباس : الرَّقِمُ والرَّقْمة : الداهية ، وأنشد :

قالوا اسْتَقِدْها وأَعْطِ الحُكْمَ والِيَها * فإنَّهــا بَعْضُ ما تَزْبِى لك الرَّقِمُ

تَزْبِى : تَسُوق ، وأنشد :

وأَبِى حُجُرٌ أَتَتْـــه رَقْــةٌ * أَنْشَبَتْه فى شَبَا ظُفْر ونابْ

وعَلِقَتْه خَنْفَقِيقٌ وخَنْفَقِيقَةٌ وحَبَوْكَرَى : اسم للداهية ، وأُمُّ حَبَوْكَرَى أيضا . وحَبَوْكَرَى هى الرَّمْلة التى يُضَلُّ فيها ، ثم صارت آسما للداهية .

قال أبو على : وصِلُّ أَصْلالٍ أى داهية ، قال أبو العباس وأنشد الأصمعى :

وَيْلُمِّهِ صِــلَّ أَصْلالٍ إذا جَعَلُوا * يَرَوْنَ دُون مُضِىِّ القول مِغْلاقا
فات الرُّواةَ أبو البَيْــداء مُخْتَلِسا * ولم يُغَادِرْ له فى النـاس مِطْرَاقا

(١) الضب : الغيظ والحقد .

مِطْرَاقًا : مِثْلًا، يقال : هـذا طِرَاق هذا ومِطْرَاقُه أى مِثْلُه . ويقال : وَقَعَ فى أُغْوِيَّةٍ وفى وامِئَةٍ أى داهية . وجاءوا بالوامِئَةِ الوَمْآء والسِّبْد والقِرْطِيط، وأنشد عن أبى عمرو :

سألناهم أن يُرْفِدونا فأَجْبَلُوا * وجاءت بِقِرْطِيطٍ من الأمر زَيْنَبُ

والأَبَاجِير والأَزَامِعُ، الواحد أَزْمَع وهى الدواهى . وقال عبيد الله بن سمعان التغلبى :

وَعَدْتَ ولم تُنْجِز وقِدْمًا وَعَدْتَنِى * فأَخْلَفْتَنى وتِلْك إِحدى الأَزَامع

والتَّمَاسِى : الدواهى، وأنشد لِمرْدَاس :

أُدَاوِرُها كَيْمَا تلينَ وإنَّنِى * لَأَلْقَى على العِلَّاتِ منها التَّمَاسِيَا

وقال ابن الأعرابى يقال : جاء بذات الرَّعْد والصِّلِيل، أى جاء بداهية لا شىء بعدها، وأنشد للكميت :

كأَنَّ أَكُفَّ الناس إذ بِنْت عَطَّفَتْ * عليها جُثَاة القَبْر ذات الرَّواعِد

أى كأنما حَصَلَتْ فى أيديهم ذات الرَّواعد أى الرَّعْد . قال الأصمعى يقال : رماه بِأَحْقَافِ رأسه إذا رماه بالأمور العظام، وبِثَالِثَةِ الأَثَافِيِّ أى الداهية وهى القِطْعة من الجبل، وأنشد :

فلمَّا أن طَغَوْا وبَغَوْا علينا * رَمَيْنَاهم بثالثة الأَثَافِى

ويقال : جاء بِأُذُنَىْ عَنَاق أى بالداهية وهى عَنَاق الأرض . ويقال قَضَّتْهم القاضَّة مثل البَائِقة . والعَنَاق : الخَيْبة، والأَزْلَم والدَّآلِيل والفَاقِرة والعَنْقاء والخَنَاسِيرُ، واحدتها خِنْسِيرة . قال أبو على : وهى الدواهى . والقِنْطِر : الداهية، وأنشد أبو العباس :

وكنتُ إذا قومٌ رَمَوْنى رَمَيْتهم * بِمُسْقِطة الأَحْبالِ فَقْمَاء قِنْطِرِ

وأنشد لِمَعْن بن أوس :

إذِ النَّاسُ ناسٌ والعِبَاد بِغِرَّةٍ * وإذ نَحْنُ لم تَدْبِبْ الينا الشَّبَادِعُ

أى لم نكن فيما نكره . والشَّبَادِعُ : العَقَارِب، الواحدة شِبْدِع . ويقال : أُمُور دُبْسٌ ورُبْسٌ ودُلْمْسَاتٌ بضم الدال وفتح اللام والدَّغَاوِل والزَّبِير والزَّفِير والعَرَاهِيَة[(١)] . قال أبو العباس : الأَزْيَب هو الدَّعِىُّ، والأَزْيَب فى بيت الاعشى : الدَّنِىءُ، والأَزْيَب من الرياح : الجَنُوب . ويقال : رَجُلٌ عِضٌ وذِمِرٌ وذَمِيرٌ وذِمِرٌّ بتشديد الراء كله : الداهى . والحِبْل : الداهية من الرجال، وأنشد ابن الأعرابى :

(١) لعله سقط هنا ذكر الأزيب ليحسن قوله بعده : قال أبو العباس والازيب هو الدعى الخ، والازيب كما فى اللسان : الداهية .

عَجِبْتُ من الخَوْدِ الكَرِيم نِجَارُها * تُرَأْرِئُ بالعَيْنَيْنِ للرَّجُل الحِبْل
ولِلِّفْت لُفَّتْ فى الثياب فأُقعدت * تَذَبْذَبُ فى حَبْل البَجَابِجة القَصْل

الحِبْل : الداهية . واللِّفْتُ : العجوز التى لَفَتَها الدهرُ عن حالها وصَرَفَها . قال ويقال : خِنْثِر وخَنَاثِير، وأنشد :

أنا القُلَاخ بن جَنَاب بن جَلا * أبو خَنَاثِير أَقُود الجَمَلا

ويقال : جاء بالزِّعْنِفة وهى الداهية، ورجل زِعْنِفة وهو القصير القامة . وَدَبَلَتْهم الدَّبِيلة . وحَقَّتْهم الحاقَّة وأُمُّ الدُّهَيْم واللُّهَيم . اللُّهَيْم : الموت لأنه يَلْتَهِمُ كلَّ شىء . وأُمُّ الرَّقُوب : الداهية، وأنشد :

إنَّ كِسْرَى عَدَا على المَلِكِ النُّعْـ * ـمانِ حَتَّى سَقَاهُ أُمَّ الرَّقُوب

وقال اليزيدى أبو محمد : سقاه أُمَّ البَلِيل، قال أبو الحسن : هكذا حفظى . والرَّبِيس : الداهية وأنشد :

يكفيك عند الشدة الرَّبِيسا * العضُّ ذا المُرَانة الدَّحُوسا

ويروى : الدَّحِيسا . قال أبو الحسن : حِفْظِى عن الأحول : داهيةٌ رُبْسٌ ورَبِيس . قال أبو العباس ويقال : داهية هِتْرٌ ذِمْرٌ ونَآدٌ . وهو يتكلم بالهِتْرِ ويَهْتِكُ السِّتْر . وداهية حُولَةٌ وحَوْلاء . وداهيةٌ مَرْمَرِيسٌ أى شديدة . وقال جرير بن الخَطَفَى :

قَرَنْتُ الظالمين بمَرْمَرِيسٍ * يَذِلُّ له العَفَارِيَةُ المَرِيدُ

يريد شعرا هكذا وقع . والعَفَارِيَةُ : القوىُّ الشديد . والمَرِيد المُتَمَرِّد . ويقال : قافية مَرْمَرِيس من المَرَاسة وهى الشِّدة . ويقال للشيطان : عِفْرِية، وأنشد :

كأنّه كَوْكَبٌ فى إثْرِ عِفْرِيَةٍ * مُسَوَّمٌ فى سَوَاد الليل مُنْقَضِبُ[1]

ويقال : جاءوا بالعُلَق والفُلَق، وجاءوا بعُلَقَ وفُلَقَ يُجْرَى ولا يُجْرَى . وجاءوا بالفِلْقِ وأُسْرَتها أى بالداهية وأخواتها . وجاءوا بمُطْفِئة الرَّضْف أى أشدّ من الأولى . ويقال : داهية شَنْعاء مُتِمٌّ وصَلْعاء مُتِمٌّ أى بارزة بيِّنة وجاءوا ببَدِيدة، والجمع بَدَائد، أى كأنها تُفَرِّق من مَرَّت به . وجاءوا بالبَهَالِيل والبَآلِيل . وجِئْتُك بالداهية العَبْقَس والوامِئة الوَمْآء . ويقال : وَقَعَ فى هنْد الأَحَامس . ويقال : وَقَعَ فى التُّرَّه

(١) البيت لذى الرمة، كما فى ديوانه طبع أوربا ص ٢٧

والتِّيـه والسُّمَّهَى والسُّمَّيْهَى أى الباطل . ويقال : وَقَع فى دُؤْلُول أى فى أمر عظيم . ووقع فى تيه من الأَتَاوِيه . وَوَقَع فى السُّمَّه أى فى الباطل . وإنَّه لَدَاهٍ ودَهٍ ودَهِىٌّ . وإنه لَلُتَحَةٌ من اللُّتَح وهو الذى يَعْتُو فى الشِّعْر ويصيب فى الرمى، وأنشد :

* وجدوى لتحة من اللُّتَح *

ويقال : جاء بالسِّخْتِيت والسُّمَاق والبَحْت والصُّرَاح أى الكذب الذى لايَشُوبه شىء من الحقّ ، ومنـه سُمِّى الرجل سُمَـاقا ، كأنه أريد به المبالغة فى الكذب ، يقال : كَذَبَ وٱخْتَرَق وسَرَج وتَسَرَّج بالجيم ، كله بمعنى . قال أبو الحسن : يقال خَلَق وٱخْتَلَق وخَرَق إذا كَذَب . ويقال : فَرَشَه وَوَلَقه وإنَّه لَوَلُوق أى كَذُوب . والسَّهْوَق : الكَذَّاب . والتِّمْسَح والتِّمْسَاح : الكَذَّاب . ويقـال : كَذُوب مِمْزَج أى يَخْلِط حقا بباطل ، وأنشد :

لاتَقْبَلِى قَوْلَ كَذُوبٍ مِمْـزَج * أَطْلَسَ وَغْدٍ فى دَرِيسٍ مُنْهَج

قال : ومُنْهَج من أَنْهَج الثوبُ أيضا . ويقال : إنه أَضَبُّ تَلْعَة لا يُؤْخَذ مُذْنِبًا ولا يُدْرَك حَفْرا ، أى لا يؤخذ بذَنَبِـه ولا يُلْحَق أبْعَد حَفْره ولُبْعَد أُغْوِيَّة وهى الحُفْرة . ويقال : جاءنا بالكَذِب الفِلْقان والخِبْرِيت والسِّخْتِيت . ويقال : عَجَبٌ عاجِبٌ وعَجِيب وعُجَاب بمعنى مُعْجِب .

[اجتماع عمر بن أبى ربيعة وكثير وجميل بباب عبد الملك بن مروان وإنشادهم الشعر بين يديه]

قال وحدثنـا أبو الحسن وٱبن درستويه قالا حدثنـا السكرى قال حدثنى المعمرى قال: سمعت أبا مُسْهِر يحكى أن عُمَر بن أبى ربيعة وكُثَيِّر عَزَّة وجَمِيـل بن مَعْمَر، قال أبو على : وقرأت أنا هذا الخبر أيضا على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قالوا : اجتمع هؤلاء بباب عبد الملك بن مروان فأذن لهم فدخلوا ، فقال : أنشدونى أرقّ ما قلتم فى الغوانى، فأنشده جميل بن معمر :

حَلَفْتُ يمينًـا يابُثَيْنَـةُ صادقا * فإن كنتُ فيهـا كاذبا فَعَمِيتُ

إذا كان جِلْدٌ غير جِلْدِك مَسَّنِى * وباشَرَنِى دُونَ الشِّعَار شَرِيتُ (١)

ولو أن راقى الموت يَرْقِى جَنازَتى * بمَنْطِقِها فى الناطقيـن حَيِيتُ

(١) يقال : شرى جلده : خرج عليـه الشَّرَى وهو بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة واحدة غالبا وتشتد ليلا لبخار حارّ يثور فى البدن دفعة .

وأنشد كثير عزة :

بأبى وأمى أنت من مظلومة * طبن[١] العدو لها فغير حالها

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

وسعى الىّ بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نعالها

وأنشد ابن أبى ربيعة المخزومى القرشى :

ألا ليت قبرى يوم تقضى منيتى[٢] * بتلك التى من بين عينيك والفم

وليت طهورى كان ريقك كله * وليت حنوطى من مشاشك والدم

ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى * هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

فقال عبد الملك لحاجبه : أعط كل واحد منهم ألفين وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف .

* * *

قال وقال المعمرى : سمعت إبراهيم بن عبد الرحمن بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يقول : كان يعقوب بن سليمان بن يعقوب بن إبراهيم بن طلحه بن عبيد الله شاعرا، وكان يشبب بامرأة من قومه، فخالجه منها شىء فأرسل إليها :

وقد كنت لى حسبا من الناس كلهم * ترى بك نفسى مقنعا لو تملت

أرى عرض الدنيا وكل مصيبة * يسيرا إذا عنك الحوادث زلت

فأبليتنى ما لم أكن منك أهله * وأشكعت[٣] نفسا لم تكن عنك ملت

فقلت كما قد قال قبلى كثير * لعزة لما أعرضت وتولت

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

فإن سأل الواشون فيم صرمتها * فقل نفس حر سليت فتسلت

* * *

قال أبو الحسن وابن دستوريه قال المعمرى : لقيت أبا زيد الأشجعى، وكان والله فصيحا، فقلت له : كيف ولدك؟ قال : بشر لا بارك الله فيه، لقيته على فرس محملج اليدين، بعيد ما بين الفهدتين،

---

(١) طبن : فطن . (٢) المعروف : ألا ليت أنى يوم تقضى منيتى * لثمت الذى ما بين عينيك والفم

(٣) أشكعت : أغضبت .

أَعْنَق حديدِ النَّظر صَهَّال واسع المُنْخُرين مُقَلَّص الشاكلة ، لا بارك الله له فيه . فقلت له : يا أبا زيد، ألا تَضرِب على يده ! قال : وهل لى به طُوقَةٌ[1] . فقلت له : تقول طُوقَةٌ! قال : وأنت والله أيضا تقولها الا أنك تستثبت .

قال : وجئت أبا زيد وإذا شاة له مطروحة فى بُحْر، فقلت له : ما هذه الشاة ؟ قال : أخذها الذئب، فقلت له : فكيف لم تدفعه عنها؟ قال : إنه كان خُلُجًا مُلُجًا[2] مسطوح الذراعين يُعْجِبُنى والله أن أقول له هَجْ .

قال وقال المعمرى قال لى بعض من سألته من أهل البادية : قلت لأعرابى : أىَّ شىء تُحْسِن من القرآن؟ قال : إن معى مالا أحتاج معه الى أكثر منه : مِدْحةَ الرب وهِجَاءَ أبى لهب .

* * *

وقال المعمرى أخبرنى إسحاق قال رأيت أبا العتَاهية واقفا فى طرف المقابر وهو ينشد :

نُنَافِس فى الدنيا ونحن نَعِيبها * وقد حَذَّرَتْنَاها لَعَمْرى خُطوبُها
وما نَحْسَبُ الأيام تَنْقُص مدَّةً * بَلَى إنَّها فينا سَرِيعٌ دَبِيبُها
كأنِّى برَهْطِى يَحْمِلون جنازتى * الى حُفْرة يُحْثَى عليها كثيبُها
فَكَمْ ثَمَّ من مُسْترجِع متوجع * ونائحةٍ يعلو علَىَّ نحيبُها
وباكية تبكى علَىَّ وإننى * لَفِى غَفْلة عن صوتها ما أُجيبها
أيا هاذِمَ اللَّذات[3] ما مِنْكَ مَهْرَبٌ * تحاذر نفسى منك ما سَيُصيبها

* * *

قال : وكتب يحيى بن أحمد بن عبد الله بن يزيد بن أسد السلمى الى طاهر بن عبد الله :

أنا بالعَسْكَر وَقْفٌ * للتَّعازى والتَّهانى
ولتشييع فلان * والتَّلَقِّ لفلان
أو لِبَيْعٍ أو لرَهْنٍ * أو لِدَيْنٍ بالضمان

(١) فى هامش الأصل أنه بضم الطاء وسكون الواو ولم نجده فيا بيدنا من كتب اللغة . (٢) بهامش الأصل أنه بضم الأول والثانى من الكلمتين . (٣) هاذم اللذات : قاطعها .

[حديث فضل وفضيل المريين]

قال التيمى وحدّثنى رَكّاض بن فَرْوة المُرّى القتالى قال : كان فى بنى مرة فَضْل وفُضَيْل أَخَوان لأب وأم، ولا أعلم أنى رأيت تَبارَّهُما لأحدٍ قَطُّ، ولا رأيت أكمل منهما فى رجال الناس قط، أجمل جمالا ولا أفرس فُرُوسِيَّةً ولا أسخى ولا أشجع، فَرُمِىَ(١) فى جنازة أحدهما فمات، فخرجنا بجنازته وأخوه مَعَنا يُهَادَى حتى وَقَفْنا على قبره فَدَلَّيناه فيه وهو ينظر اليــه قد آحْنَوْنَى وآنْعَقَف حتى صار كأنه سِيَةٌ، فلما رَضَمْنا عليه لَبِنَه قال هذا البيت :

سأبكيك لا مُسْتَبْقِيًا فَيْضَ عَبْرة * ولا مُبْتَغٍ بالصَّبْر عاقِبــة الصَّبْر

ثم آنْكَبَّ لوجهه، فحملناه الى منزل أبيه فمات فى الثانى أو الثالث .

*
* *

وأنشدنا أبو البِلاد لحاتم الطائى

ذَرِينى ومالى إنـ مالَكِ وافِـرٌ * وإنَّ فَعَالِى تَحْمَدى غِبَّــه غدَا

ألم تعلمى أنى إذا الضيف أَمَّنِي * وَعَزَّ القِرَى أَقْرِى السَّدِيفَ(٢) المُسَرْهَدَا

سأحْبِس من مالى دِلَاصًا(٣) وسابحًا * وأسْمَــرَ خَطِّيًّا وعَضْبًا مُهَنَّــدا

[حديث أم الهيثم مع أبى عبيدة]

قال التيمى أخبرنى عُمَر بن خالد العثمانى قال : قَدِمَتْ علينا عجوزٌ من بنى مِنْقَر تُسَمَّى أم الهيثم، فغابت عنا، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا : إنها عليــلة، فقال : هل لكم أن نَعُودها؟ فجئنا فاستأذنّا، فقالت لِجُوا، فسلّمنا عليها، فإذا عليها أهدام وبُجُدٌ(٤) وقد طَرَحَتْها عليها، فقلنا : يا أم الهيثم كيف تجِدِينَكِ؟ قالت : كُنْتُ وَحْمَى بالدَّكَّة، فَشَهِدْتُ مأْدُبة، فأَكَلْتُ جُبْجُبة، من صَفِيف هِلَّعة، فآعْتَرَتْنِي زُلَّخة . فقلنا : يا أم الهيثم، أىَّ شىء تقولين؟ فقالت : أَوَلِلناس كلامان! والله ما كلمتكم إلا بالعربى الفصيح .

*
* *

قال التيمى حدّثنى القَحْذَمى قال : قيل لأعرابى : إنّ فلانا شَتَمَك، قال : المَطْلِيُّ باللُّؤم وجها، الزَّلِق عن المَجْد رِجْلا، قد يَنْبَح الكَلبُ القَمَر .

(١) فى اللسان : تقول العرب اذا أخبرت عن موت انسان : رمى فى جنازته . (٢) السديف : شحم السنام. والمسرهد : السمين . (٣) الدلاص : الدرع الملساء اللينة . (٤) البجد : جمع بجاد وهو كساء مخطط .

قال وحدّثنى أبو هفان عن إسحاق قال : سمعت يحيى بن جعفر البرمكى يقول لرجل اعتذر اليه : يا هذا، أحتجّ عليك بغالب القضاء، وأعتذر إليك بصادق النية .

وحدّثنى ٱبن حبيب عن ٱبن الكلبى قال حدّثنى رجل من طيِّئ يقال له ٱبن زُرَيْق من بنى لام عن أبيه قال : كان منا رجل يقال له عُرَام بن المُنذِر بن زبيد بن قيس بن حارثة بن لام قد أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، فدخل على عمر ليُزَمَّنَ ، فقال له عمر : ما زَمَانَتُك ؟ فقال :

ووالله ما أدرِى أأدرَكْتُ أُمَّةً * على عهد ذى القرنين أم كنت أقْدَما

متَى تَنْزِعا عَنِّى القَمِيص تَبيَّنا * جَنَاجِنَ لم يُكْسَيْنَ لَحماً ولا دَمَا

الجَنَاجِنُ : عِظَام الصدر . فقال عمر : ويحكم ! دَعُوا هذا وزمِّنُوه فإنه لا يدرى متَى مِيلادُه .

قال أبو هَفَّان أنشدنى إسحاق لنفسه فى خزيمة بن خازم وكان يدّعى ولاءهم :

إذا كانت الأحرار أصْلِى ومَنْصِبِى * ودافِعُ ضَيْمِى خازمٌ وٱبن خازم

عَطَسْتُ بأنْفٍ شامخ وتناولتْ * يَدَاىَ الثُّرَيَّا قاعدا غير قائم

قال وأنشدنا أبو هفان عن إسحاق لامرأة :

قُصَارُكَ مِنِّى النُّصْحُ مادُمْتُ حَيَّةً * وَوُدٌّ كماء المُزْنِ غيرُ مَشُوبِ

وآخِرُ شىءٍ أنت فى كلِّ مَرْقَدِى * وأوّلُ شىءٍ أنتَ عند هُبُوبى

قال ٱبن حبيب : قُرِع بابُ ٱبن الرِّقاع الشاعر، فخرجت بُنَيَّة له صغيرة، فقالت : مَنْ هاهنا ؟ قالوا : نحن الشعراء، قالت : وما تريدون؟ قالوا : نُهَاجِى أباك، فقالت :

تَجَمَّعْتُمْ من كل أَوْبٍ وبَلْدةٍ * على واحدٍ لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحد

فاسْتَحْيَوْا ورجعوا .

قال وحدّثنا ٱبن حبيب عن هشام قال : سأل معاوية رضى الله تعالى عنه النَّخَّار العُذْرِىّ عن قُضَاعة ، فقال : كَلْبٌ ساداتُها وأوتادُها ، والقَيْنُ فُرْسَانُها وأَسِنَّتُها ، وعُذْرة شُعَرَاؤها وفِتْيانُها، وجُهَيْنة خَيْرُها نَبَأً فى الإسلام . ويقال : نثًا .

قال وقال إبراهيم بن إسحاق التيمى : كتب الىّ أخى يعقوب بن إسحـاق : يا أخى ، إن كنت تَصَدَّقْتَ بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر فتَصَدَّق بما بقى على الآخرة وهو الأقل .

وقال إسحاق قيل لعُقَيْبة المَدينى : ألا تَغْزُو وقد أقدرك الله عليه ! فقال : والله إنى لأَبْغِض الموتَ على فراشى فكيف إليه أَمضى رَكْضًا .

وقال إسحاق : جاور ٱبْنُ سَيابة قوما فأزعجوه ، فقال لِمَ تُخْرِجُوننى من جواركم؟ قالوا : أنت مُرِيب ، قال : فَمَنْ أَذَلُّ من مُرِيبٍ وأَخَسُّ جِوَارًا منكم .

[كتاب الحجاج الى عبد الملك بن مروان فى أمر قطرى بن الفجاءة ورده عليه يوصيه بالجد فى قتاله]

قال وقال أبو سعيد قال حدّثنا محمد بن عمران قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم المؤدب قال : كتب الحجـاج الى عبد الملك بن مروان يُعَظِّم أمر قَطَرِىّ بن الفُجَاءة المـازنى ، فكتب اليه عبد الملك . أوصيك بما أوصى به البَكْرِىُّ زيدا ، فقال الحجاج لحاجبه : نادِ فى الناس : من أخبر الأميرَ بما أوصى به البكرى زيدا فله عشرة آلاف درهم ، فقال رجل للحاجب : أنا أخبره ، فأدخله عليه ، فقال له : ماقال البكرى لزيد؟ قال : قال لٱبن عمه زيد : — والشعر لموسى بن جابر الحنفى —

أقــول لزيد لا تُتَرْتِرْ[1] فإنَّهــم * يَرَوْنَ المَنايا دونـــ قتلك أو قتـلى
فإن وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعْها وإن أَبَوْا * فَشُبَّ وَقُودَ الحرب بالحَطَب الجَزْل
فإن عَضَّتِ الحَرْبُ الضَّروس بنابها * فَعُرْضَــةُ نارِ الحَرْب مِثْلُكَ أو مثلى

فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين ، عُرْضة نار الحرب مِثْلِى أو مثله .

* * *

قال وقال أنشدنا أبو جعفر لِلمُحَان :

وأبيضَ مُجْتابٍ إذا اللَّيْــلُ جَنَّه * رَعَى حَذَر النـار النُّجومَ الطَّوالعا
اذا ٱسْتُثْقِل الأقوامُ نَوْمًا رأيتَــه * حِـــذَارَ عِقاب الله لله ضـارعا

المُجْتاب : الذى يَخْتَرِق الدُّور والظلمات .

(١) الترترة : إكثار الكلام ، قال فى اللسان مادة ترتر : وقد روى : «لا تترتر» ، و «لا تهربر» وكل ذلك كثرة الكلام .

قال أبو على وأنشدنا أبو الحسن لأبى كريمة فى صفة الخمر — وهو بصرى — :

كأنّها عَرَضٌ فى كَفِّ شاربها * تخالُها فارغا والكأسُ مَلْآن

وأنشدنا لعمرو القُضَاعى — وهو تميمى بصرى — يصف نوقا :

خُوصٌ نَوَاجٍ إذا صاح الحُدَاةُ بها * رأيت أَرْجُلَها قُدّام أَيْدِيها

ولعبد الله بن عبد الرحمن أبى الأنوار المُهَلَّبى البصرى :

قوم إذا أَكَلُوا أَخْفَوْا كلامَهُمُ * واسْتَوْثَقُوا من رِتاج الباب والدار

لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِم * ولا تَكُفُّ يَدٌ عن حُرْمَة الجار

ولِلْمُمَزِّق الحضرمى البصرى :

إذا وَلَدَتْ حَليلةُ باهِلِيٍّ * غُلاما زِيدَ فى عَدَدِ اللئام

ولو كان الخليفة باهليا * لَقَصَّر عن مُساماةِ الكِرام

ولبعض اليشكريين البصريين :

كُنَّا نُداريها فقد مُزِّقَتْ * واتَّسع الخَرْقُ على الراقع

كالثوب إذ أَنْهَجَ فيه البِلَى * أَعْيَا على ذى الحيلة الصانع

[قصيدة سيار بن هبيرة فى عتاب أخويه خالد و زياد ومدح أخيه منخل]

قال أبو على وقرأنا على أبى الحسن عن جعفر، وذكر جعفر انه سمع ذلك من أبى جعفر محمد بن على بن الحسين، وسمع ذلك مع أبيه أيضا من ابى محلم، وقال أبو محلم : أنشدنى مَكْوَزَة وأبو مَحْضَة وجماعة من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مَنَاة لسَيَّار بن هُبَيرة بن ربيعة بن المنحوّ أحد بنى ربيعة (١) الجوع بن مالك بن زيد مناة يعاتب خالدا أو زيادا أخويه ويمدح أخاه مُنَخَّلا :

تَنَاسَ هَوَى عَصْماء إمّا نَأَيْتَها * وكيف تَنَاسِيكَ الذى لَسْتَ ناسيا

لعمرى لَئِن عَصْماءُ شَطَّ مَزارُها * لقد زَوَّدت زادا وإن قَلَّ باقيا

وما هِيَ من عَصْماء إلا تَحِيَّةٌ * تُوَدِّعُنِيها إذ أَحَمَّ ٱرتِحاليا

(١) فى بعض النسخ بن نبطى بن المجر أحد بنى ربيعة الخ وليحرر النسب .

لَيَالِىَ حَلَّتْ بالقَرِيَّيْن حَـلَّةً * وذى مَرَخ ياحَبَّـذَا لك واديا
خَليـلَىَّ مِنْ دون الأخِلَّاء لا تكن * حِبَالُـكما أُنْشُـوطةً مِنْ حِبَالِيَـا
ولا تَشْـقَيَا قبل الممـات بصُحْبَتى * ولا تُأْيِسانى لِبْسَ من عاش قاليـا
فان فراق عـبرة تُخْلِفَنْكُمَا * وَشِـيكًا وإن صاحبتمانى لياليـا
أرى أَخَوَىَّ اليـوم شَحَّا كلاهما * عَلَىَّ وهَمَّـا أن يَقُولا الدَّواهيـا
يُؤَذِّنُنِى هـذا ويَمْنَعُ فضـله * وهـذا كَمَعْنٍ أو أشَـدُّ تقاضيا

يُؤَذِّنُنِى : يَحْرِمُنِى، وأنشد :

أَذَّنَنَـا شُرابِثٌ رَأْسُ الدَّيْر * شَيْخًا وصِبْيانًا كَنِغْران الطَّيْر

قال أبو محلم : ومَعْنٌ : رجل كان كَلَّاءً بالبادية يَبِيع بالكَالِئ أى بالنسيئة ، وكان يُضرب به المثل فى شدة التقاضى، وفيه يقول القائل : — قال أبو الحسين أنْشَدَناه المبرد للفرزدق —

لعمرك ما مَعْنٌ بتارك حقِّه * ولا مُنْسِئٌ معن ولا مُتَيَسِّر

والقَرِيَّان وذُو مَرَخٍ : ببلاد بنى حَنْظَلة، وهى مَسَايِلُ المـاء .

لقد كان فى أيديكم ذو حُوَاشَةٍ * فَآلَيْتَ لا تُعْطِيـه إلا مُفَاديا
تَحَلَّلْ هـداك الله ربى ألا تَرَى * تَخَاذُل إخـوانى وقِلَّةَ ماليـا
وعَضَّ زمانٍ عَضَّ بالناس لم يَدَعْ * شَرِيدًا من الأموال إلا عَنَاصِـيا

قال أبو على : عَنَاصِيا : بقايا ، وعَنَاصِى الشَّعَر : بقاياه ، واحدتها عُنْصُوَةٌ، وذو حُوَاشَةٍ : ذو ذمة وقرابة، ويقال : تَحَوَّشْتُ من فلان أى تَذَمَّمْت منه .

فألْحِق أقواما كِرَامًا فأصبحوا * شَرِيدين بالأمصار مُلْقًى وعاريا
كَفَى حَزَنًا عن لا تَحِنُّ جِمَـالكم * الىَّ وقـد شَفَّ الحَنِينُ جِمَـاليا
وعَنْ لا أرى شوقا الىَّ يَصُورُكُم * ولا حاجةً مِن تَرْكِ بَيْتِىَ خاليـا
وإنى لَعَفُّ الفقر مُشْـتَرَكُ الغِنى * سَرِيعٌ إذا لم أرض دارى آحْتِمَالِيا
كِلَانا غَنِىٌّ عن أخيـه حَيَـاتَه * ونحن إذا مُتْنا أَشَـدُّ تَغَانِيـا

أَخالِدُ فأمنع فَضْــلَ رِفْدِك إنَّما * أجاعَ وأعْرَى اللهُ مَنْ كُنْتَ كاسيا

رأيتُــك تُقْفِينى بكل عظيمة * عَرَتْكَ وتُقْفِى باللِّبان ســوائيا

قال أبو الحسن : الصواب تَقْفُونى بكل عظيمة . قال أبو محلم : تُقْفِى : تُكْرِم وهى القَفِيَّة . قال أبو على : تَقْفُو : تكرم أيضا وهى القفية، والصواب عندى ما قال أبو الحسن . وعَرَتْكَ : نَزَلَتْ بك .

وتُؤْثِرُ مَنْ لو أنَّه مُتَّ لم يَجِــدْ * كَوَجْدِى ولا يُبْلِيك مِثْلَ بَلائيا

وأَهْوَنَنَــا أن مات فَقْــدًا عليكم * وأَهْوَنَ دَفْعًا عنك أن كنتَ جانيا

ولو مُتُّ سالت بَعْضُ نفسى حَسْرَةً * عليك وأُمْسِى عنك فى الحى لاهيا

إذا نَحْنُ داوانا المُؤَسُّون بالأَسَى * شَفَوْهُ ولا يَشْفِى المُؤَسُّون ما بيا

المُؤَسُّــون هاهنا : المُعَزُّون ، يقول : إذا عَزَّوْنا سَلَا ذاك عنك ، ولا يَشْفِى المؤسون وَجْدِى عنك ، يقال : أَسَّاه أى عَزَّاه ، ويقال : هَلُمَّ نُؤَسِّى فلانا أى نُعَزِّيه ، والأُسَى : السُّلُوُّ والصبر .

جَزَى الله رَبُّ الناس عَنِّى مُنَخَّلا * وإن بان عنى خَيْرَ ما كان جازيا

أخاكَ الذى إن زَلَّتِ النَّعْلُ لم يَقُلْ * تَعِسْتَ ولكنْ عَلِّ نَعْلُك عاليــا

عَلِّ : يقول أَعْلِ ، أى رَفَعَك الله .

وعَوْراءَ قــد قيلت فلم أستمع لها * ولا مِثْلِها مِنْ مِثْل مَنْ قالها لِيا

فأعْرَضْتُ عنها أن أقول بقيلها * جوابا وما أكْثَرْتُ عنها سؤاليا

وإنى لَأَسْتَحْيِي لنفسىَ أنْ أَرَى * أُفَتُّ دِثار النِّيب فَوْقَ بَنَانيا

أُفَتُّ الدِّثار، يعنى بعر الإبل على خِلْف الناقة إذا صُرَّتْ .

وإنى لَأَسْــتَحْيِيك والخَرْقُ بيننا * من الأرض أن تُلْفَى أَخًا لِىَ قاليا

وإنى لأستحيي أخى أن أرَى له * عَلَىَّ من الحَقِّ الذى لا يَرَى لِيا

ولكِنَّنى قد كُنْتُ مِمَّــا أَشُدُّها * بأَنْساع مَيْسٍ ثم تَعْلُو الفَيافيا

عليهــا فَتًى لا يَجْعَل النوم هَمَّــه * دَلِيلٌ إذا ما الليل أَلْقَى المَرَاسِــيا

[رثاء حكيم بن معية فى أخيه عطية بن معية]

وأنشد لحكيم بن مُعَيَّة أحد بنى ربيعة الجوع يرثى أخاه عطية بن معية :

لو لم يُفارِقْنِى (١) عَطِيَّــة لم أهُنْ * ولم أُعْطِ أعدائى الذى كُنْتُ أَمْنَع

شجــاعٌ إذا لاقَى ورامٍ إذا رَمَى * وهادٍ إذا ما ٱدْلَمَّس الليلُ مِصْدَع

سأبكيك حَتى تُنْفِد العينُ ماءها * ويَشْفِىَ منِّى الدَّمْــعُ ما أتوجع

*
* *

وأنشد ليزيد بن المنتشر من بنى قشير : — وكان غاويا فأخذه ثور أخوه فحَلَق رأسه —

أقول لثَــوْرٍ وهْوَ يَحْلِق لِمَّتى * بعَقْفاءَ مَرْدُودٍ عليهـا نِصابُهـا

تَرَفَّقْ بهـا ياثور ليس ثوابُهـا * بهــذا ولكن عند رَبِّى ثوابُهـا

فَراح بهـا ثَوْرٌ تَرِفُّ كأنَّها * سَلاسِــلُ دِرْعٍ لِينُها وٱنسكابُها

خُدَارِيَّة كالشَّرْيةِ الفَرْد جادَها * من الصيــف أنواء رِوَاءٌ سَحَابُها

فأصبح رأسى كالصُّخَيْرةِ أشْرَفَتْ * عليهـا عُقابٌ ثم طارت عُقابُها

أَلَا رُبَّمـا ياثَوْرُ قد غَلَّ وَسْطَها * أنامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضَابُها

قوله : خُدَارِيَّة أى سوداء . والشَّرْية : شجرة الحنظل تُشَبَّه اللِّمَمُ بها لحسنها، لأنها غَطِشَةٌ جَعْدة .

وأنشد ليزيد بن الطَّثَرِيَّة :

ألا طَرَقَتْ لَيْــلَى فأحزن ذِكْرُها * وكم قد طَرانا طَيْفُ ليلى فأحْزَنا

ومُعْتَرِض فوق القُتُــود تَخَــالُه * مَتاعًا مُعَــلًّى أو قَتِيــلًا مُكَفَّنا

جَلَوْتُ الكَرَى عنه بذِكْرِكِ بعدما * دَنَا الليــل وٱلْتَجَّ الظلامُ فأَغْدَنا

ألا عَلَّ لَيْلَى إنْ تَشَكَّيْتُ عندها * تَبــارِيحَ لَوْعاتِ الهوى أن تَلَيَّنا

على أنها خاست بعهدى وحاذَرَتْ * عُيونَ الأعادى والصَّبِىَّ المُلَحَّنا

المُلَحَّن : الذى يُومِئُ إليك بمـا يريد ولا يُصَرِّح به . والطَّثْر : أنْ يَغْلِىَ اللَّبَن فيُكَثِّع فى رأس اللبن ثِخَنٌ، يقال : قد طَثَرَ اللَّبن إذا عَلَا ذلك فَوْقَه .

---

(١) هذا البيت دخله الخرم وتقدم مثله غير مرة .

[حديث الحجاج مع الفرزدق لما حمل حاجب بن خشينة على أهل العراق]

قال أبو محلم: لمَّا كان يومٌ من أيام دَيْرِ الجَمَاجم حَمَل حاجب بن خُشَيْنة العَبْشَمِيّ أحد بنى الخَطَّاب ٱبن الأعور بن عوف بن كعب بن عبد شمس فى الخيل على أهل العراق مع الحَجَّاج فأزال صُفُوفَهم، فقال الحجاج للفرزدق وهو عنده : ألا ترى ما أكرم حَمْلة ٱبْن عَمِّك؟ فقال : أيها الأمير، إنه رجل جَوَاد، وقد سَفَرَ مالَه فَحَمَل حَمْلةَ مُفْلِس، فقال له الحجاج : فهل لك أن تَحْمِل كما حمل وأُلْحِق عطاءك بعطائه؟ فقال : إنى أخاف إذا حَمَلْت أن ينقطع أصل العطاء .

قال أبو محلم يقال : سَفَرَ الرجلُ ماله أى مَزَّقه . وسَفَر الرجل شَعْره وجَلْمَطه وجَلَطَه وسَحَفَه أى حَلَقه . قال ثعلب : كان ٱبن الأعرابى ينشد :

مُولَعَات بِهَاتِ هاتِ وإن شَفَّـ * ـر مالٌ طَلَبْن مِنْـكَ الخلَاعا

فجعل المـال هو الفاعل ، ولا يُنْكَر أن يكون أبو محلم لم يسمع البيت ، فجعـل الرجل فاعلا . قال أبو الحسن : حفظى بالسين غير المعجمة مخففا ومثقلا والشين منكرة،(١) فإما أن يكون ٱبن الأعرابى سها أو سها الحاكى عنه . قال أبو على : سَفَر من سَفَرْت البيت أى كَنَسْته، فكأنه لما مَزَّق ماله كَنَسه . وشَفَّر بالشين يجوز على وجه بعيـد ، كأنه أنفق مالَه فبقى المـال على شَفِير . ويمكن أن تكون الشين بدلا من السين كما قالوا : الجِحَاس والجِحَاش . وأنشد لرجل من عُكْل يقال له السَّمْهَرِىُّ بن أسد :

أقـول لأدنى صاحِبَيَّ نَصِيحةً * ولِلأَسْمَـر المِغْوارِ ماتَرَيانِ

الأسمر هنا : رجل من طَيِّئ :

فقال الذى أبدى لِىَ النُّصح منهما * أَرَى الرَّأْى أن تَجْتَازَ نَحْوَ عُمَان
فإن لا تَكُنْ فى حاجِبٍ وبِلاده * نَجَاةٌ فقد زَلَّتْ بك القَدَمان
فَتًى من بنى الخَطَّاب يَهْتَزُّ للنَّدَى * كما ٱهْتَزَّ عَضْبُ الشَّفْرَتَيْن يمـان
هو السيف إن لا يَنْتَه لان مَتْنُه * وغَرْباه إن خاشَنْتَه خَشِنان

حاجب هذا هو حاجب بن خُشَيْنة العبشمى .

---

(١) أورد البيت صاحب المحكم فى مادة شفر بالمعجمة وخلع ، وحكى أن تشفير المـال قلته .

[كتاب الفرزدق الى تميم بن زيد عامل الحجاج فى رجل كان معه فى البعث يقال له خنيس]

قال أبو محلم : كان تَمِيم بن زيد القَيْنِى — والقين بن جَسْر من قُضَاعة — عاملا للحجاج على السِّنْد ، وكان معه فى البعث رَجُلٌ من بكر بن وائل يقال له خُنَيْس ، وكانت أُمُّه رَقُوبا لم يكن لها ولد غيره ، فطال تَجْمِيرُهم إيَّاه — قوله رَقُوبا ، الرَّقُوب : التى لاتلد إلا واحدا . والتجمير : أن يَطُول مُقَامه فى البَعْث ، يقال : جُمِّر فلان أى حُبِس عن أهله — فاشتاقت إليه أمه ، فَدُلَّتْ على قبر غالب ابن صَعْصَعة أبى الفَرَزْدَق ، فعاذت بقبره — وقَبْرُه بكاظمة وهو موضع بين اليمامة والبصرة على البحر وفيه رباط — فَوَجَّه الفرزدق الى تميم رجلا وكتب معه :

تَمِيمَ بن زَيْدٍ لا تكُونَنَّ حاجتى * بظَهْرٍ ولا يَعْيَا علىَّ جوابُها

قال أبو على وأنا أقول : ولا يُعْيِي أجود .

نَخَلِّ خُنَيْسا واتَّخِذْ فيه مِنَّةً * لِحَوْبَةِ أُمٍّ ما يَسُوغُ شَرَابُها

أتتنى فعاذت يا تَمِيمُ بغالبٍ * وبالحُفْرة السافى عليها تُرَابُها

فنطر تميم فلم يَعْلَم : أَسمُ الرجل خُنَيْس أم حُبَيْش ، فقال له كاتبه : تراجعه ، فقال بعد قوله ولا يَعْيَا علىَّ جوابها : ولكن خَلِّ كلَّ من فى الجيش من خنيس وحبيش ، فخلَّاهم فرجعوا الى أهليهم .

* * *

وأنشدنا أيضا لعُوَيف يمدح طلحة بن عبد الله بن عوف أخى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما :

فقَدْتُ حَيَاةً بعد طَلْحة حُلْوَةً * إذا شَعَبَتْه أن يُجِيب شَعُوبُ

يَصَمُّ رجالٌ حين يُدْعَوْن للنَّدَى * ويُدْعَى ٱبنُ عوف للندى فيجيب

وذاك آمرؤ من أىِّ عِطْفَيْه يلتفت * الى المَجْد يَحْوِ المَجْدَ وهْوَ قريب

قال أبو محلم : أنشد جرير قول الأخطل :

وإنِّى لَقَوَّامٌ مَقاوِمَ لم يكن * جَرِيرٌ ولا مَوْلَى جَرِيرٍ يقُومها

يعنى الفرزدق ، فلما بلغ جريرا ذلك قال : صَدَق ، يَقُوم عند آسْت القَسِّ يأخذ القُرْبان .

وقال أبو محلم قال أبو الخنساء العنبرى للفرزدق : قد كَفَاكَهُ جِرْوُ هِرَاشٍ ، يعنى جريرا لم يَكِلْه الى هجائك ، فقال له الفرزدق : قد علمتُ فى طُول عُنُقك أنك أحمق .

وأنشد لمسعود بن وكيع أحد بنى عبد شمس :

لَيْتَ[(١)] شَبابِى عادَ لِى الأَوَّلِّ * وعَيْش عَصْرٍ قد مَضَى أَغْرَلِّ

هَفْهَفَة أَظْلالُه مُظِلِّ * إذ ذاك لم يُقْلَ ولم يُمَلِّ

ومَأْدُ غَيْسانِىَ مُتْمَهِلِّ * أَرُوح قد أُرْخِى لِىَ الطِّوَلِّ

قال أبو على يقال : عَيش أغرل وأرغل أى تام لم ينقص منه شىء . والأغرل من الرجال : الأقلف . ومُتْمَهِلٌّ : تامٌّ . والغَيْسان : الشباب والنشاط ، قال أبو على وقال غيره : الغيسان : أوّل الشباب . ومَأْدُه : تَثَنِّيه .

ولم يُحِرْنى الْكِبَرُ الهِذْمِلِّ * ويَلْتَفِـعْ بالشَّمَط المِسْحَلِّ

ولم يَبِنْ غَيْدانِىَ المُضِلِّ * كأنَّمـا بى من نُحُولِى سُلِّ

أو مِنْ نَطاة خَيْبَرٍ بِى مَلِّ * وما تَرُدُّ لَيْتَ أولَعَـلِّ

قال أبو على : الهِذْمِلُّ : الذى انتهى عُمُرُه . والمِسْحَلان : جانبا الرأس . ويَلْتَفِـعْ : يَلْتَحِفْ . والغَيْدان : الشباب والنشاط . وخَيْبَر : مَحَمَّة ، وإليها تنسب الحُمّى وهى قريتان : نَطَاة والشِّقُّ . ومَلٌّ : حَرٌّ .

ولَيْلَة طَخْياءَ يَرْمَعِلِّ * فيها على السارى سَدًا مُخْضَلِّ

لهـا مِنَ اَثْناء الظَّلام جُلِّ * كأنمـا طَعْمُ سُرَاها الخَلِّ

أسْأَدْتُها إذا الضِّعَافُ كَلُّوا * وسَئِموا دُلْجَتَهَـا ومَـلُّوا

قال أبو على : طَخْياء : مظلمة . والسَّدَا : ما سقط من السماء من النَّدى . وأثناءُ الظلام : المتراكمة قد تَثَنَّى بعضُها على بعض . وأسْأَدْتُها : سِرْتُ فيها .

وهابَهـا الخَتَّامَة الهِـوَلُّ * إن جارَ هادِيها ولم يَنْدَلِّ

أو ضَلَّ فى المَوْماة لم أَضِلّ * ماض على ماهَوَّلَتْ مُدِلُّ

* كما تَقَضَّى إذ غدا الأَجْدَلُّ *

(١) كذا وقعت هـذه الأرجوزة فى الأصل مضبوطا رويها بالرفع تارة والجر أخرى ومرة بهما معا كما ترى ، هـذا الضبط بقلم الشيخ محمد الشنقيطى فى نسخته .

قال أبو على : الجَثّامة : الذى يَجْثِم فى مكانه . والهِوَلّ : الذى يَهُوله الشىءُ . والأَجْدَل : الصَّقْر. وتَقَضَّى : انْقَضَّ . قال أبو محلم : النَّدَى : ما كان من نَدَى الأرض . والسَّدَى : ما كان من ندى السماء . وقال حكيم بن مُعَيَّة الراجز :

قد أغْتَدِى والطَّيْرُ ما يطير * وللنَّـدَى من السَّدَى غَدِير

قال أبو محـلم يقال فى بعض أمثال العرب : « إنَّ تَحْتَ طِرِّيقَتِه عِنْدَأْوَةً» ، طِرِّيقته : إطراقه وسكونه . وعِنْدَأْوَة : داهية .

وأنشد أبو محلم للبَرْدَخْت على بن خالد الضَّبِّى أحدِ بنى السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعْد بن ضَبَّة :

إذا كان الزمانُ زمان عُكْلٍ * وتَيْم فالسَّلامُ على الزمانِ

زمانٌ صار فيه العِزُّ ذُلًّا * وصار الزُّجُّ(١) قُـدَّام السِّـنان

قال أبو الحسن : حفظى : قادمة السِّنان

لعـلّ زمانَنـا سَيَعُود يوما * كما عاد الزمان على بِطَـان

بِطَان بن بِشْر الضَّبِّى :

أبَعْـدَ مُحَمَّـد وأبى حصين * وبعـد القَرْمِ عَتَّاب الطِّعان

وبعــد أبى سليمان إذا ما * تَرَوَّح للندى سَبِطَ البَنَان

تُرَجِّى الخيرَ أو تَرْجُو تُرَاءً * إذا شَنِجَت(٢) بنـائلها اليَدَانِ

فما ضَرَبَتْ ضِرَارُ فيك عِرْقًا * متى جَرَتِ الكَوَادِنُ(٣) فى الرِّهان

محمد بن عُمَيْر بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة . وأبو حصين : زيد بن حصين الضَّبِّى أحد بنى السِّيد وكان على أصبهان . وعَتَّاب بن وَرْقاء الرِّياحى . وأبو سليمان : خالد بن عَتَّاب بن ورقاء .

وأنشد أبو محلم للمَغْلُوط السَّعْدِىّ :

نَعَرَ الخَلِيطُ نَوًى عليك شَطُونا(٤) * وأراد يوم عُنَـيْزَةٍ لِيَبِينـا

غَيْرَان شَمَّصَه(٥) الوُشَاةُ فنَفَّرُوا * وَحْشًا عليك عَهِدْتَهُنَّ سُكُونا

---

(١) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح . (٢) شنجت : تقبضت . (٣) الكوادن من الخيـل : الهجان .

(٤) نوى شطون : بعيدة . (٥) التشميص فى الأصل : نخس الدابة لتسرع فى السير، والمراد هنا أن الوشاة ذعروه حتى فعل فعل الدابة الشموص .

إن الظَّعائن يَوْمَ حَزْم عُنَيْزة * أَبْكَيْن يوم فراقهن عُيُونا
غَيَّضْن من عَبَراتهنَّ وقُلْنَ لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا
أَعُصِيتَ يَوْم لِوَى الْغُمَيْر فإننا * يوم الْجُبَيْمِر مِثْلَ ذاك عُصِينا
لولا الخليلُ يخاف لَوْمَ خليله * لا تُزْمِعَنَّ لنا المَلامةَ حِينا
إن الليالى يالَهُنَّ لَيالِيًا * قَرَّتْ بهنَّ عُيونُنا ورَضِينا
كنّا قُبَيْلَ فَنائهن بغِبْطَة * ياليتهُنَّ بذى السَّلام بَقِينا
ما بال قولك قد غُبِنْتَ ولم أَكن * عند المواطن فى الأمور غَبِينا
أَفَلَمْ تَرَيْنى للكِرام مُكَرِّما * وبَنِى اللِّئام وللسَّوَام مُهِينا

*
* *

قال أبو محلم يقال : جمل دِلْعَوْسٌ ومُجَاحٌ ودُخَامِس وجَلْفَزِيز إذا كان عظيما ضخما، وأنشد :

يارُبَّ خالٍ لكَ بالحَزِيز[1] * خَبٌّ على لُقْمَتِه جَرُوز[2]
مُهْتَضِم فى ليلة الأزِيز * كلِّ كثير اللحم جَلْفَزِيز
* بين سُمَيْراء وبين تُوزِ *

قال أبو على : كذا أملى علينا الأزيز بزايين ، وهو عندى الأرِيز براء وزاى وهو شدة البرد . ومُهْتَضِم : يأخذ الناقة فيَسْرِقُها ويُصَيِّرها فى أَهْضام الوادى وهى ما خفى منه .

[عبد الملك بن مروان وحسن استماعه للحديث]

قال أبو على قال أبو الحسن الأخفش : قرأت على أبى جعفر محمد بن على بن الحسين رحمه الله تعالى، وذكر أبو جعفر أنه سمع ذلك مع أبيه من أبى محلِّم، قال أبو محلم حدثنى أبو نُعَيم الفَضْل ابن دُكَيْن عن زكرياء بن أبى زائدة عن الشَّعْبى قال : ربما حَدَّثْت أمير المؤمنين عبد الملك بن مَرْوان رحمه الله تعالى وقد هيأ اللقمةَ، فيُمْسِكها فى يده مُقْبِلا علىّ، فأقول : أَجِزْها يا أمير المؤمنين، فإن الحديث من ورائها، فيقول : الحديث أشهى الىّ منها . أجزها أى ازْدَرِدْها .

قال : وكان من كلامهم : مارأيت أحدا أَطَرَّ ضِرْسا ولا أَسْرَع إحارةً للرغيف منه . أَطَرّ : أَحَدّ .

(١) الحزيز : موضع . (٢) الجروز : السريع الأكل .

[شعر حريث بن سلمة]

قال وأنشدنا أبو محلم لحريث بن سلمة بن مُرَارة بن مُحَفِّض أحد بنى خزاعىّ بن مازن هذه الأبيات :

ألم ترَ قومى إذ دعاهم أخوهم * أجابوا وإن يَرْكَبْ الى الحرب يَركبوا

هُمُ حَلَفُوا عند الحُلَيْس ومُدرِك * وعند بلال لا أسيرُ ويَشْرَبُوا

قال : هؤلاء سلاطين كلهم ، يقول : إنى إن سُيِّرت أى حُلِّئت عن الماء لم يشربوا هم .

وهم حَفِظوا غَيْبى كما كنت حافظا * لهم غَيْبَ أخرى مثلها لو تَغَيَّبوا

بَنُو الحرب لم تَقْعُدْ بهم أُمَّهاتهم * وآباؤهم آباء صِدْقٍ فأَنْجَبوا

وإنّى لأَجْلُو عن فَوَارِسِىَ العَمى * إذا ضَنَّ بالنفس الجَبان المُوَجَّب

المُوَجَّب : الذى يَجِبُ قلبُه من الجُبْن :

أجود إذا نفسُ البخيل تَطَلَّعَتْ * وأَصْبِر نفسى والجماجم تُضْرَب

وأنشدنا أيضا لحريث بن سلمة :

إنْ تَكُ دِرْعى يوم صَحْراء كُلْية * أُصيبت فما ذا كم عَلَىَّ بِعار

ألم تَكُ من أَسْلابكم قبل هذه * على الْوَقَبَى يوما ويومَ سَفَار

يوم صَحْراء كُلْية ، وهى موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل . والوَقَبى وكذلك سَفَار : ماء لبنى مازن .

فتلك سَرَابِيلُ آبنِ داودَ بَيْنَنا * عَوَارِىَّ والأيام غيرُ قِصار

قال أبو على : السَّرَابيل : الدروع لداود ، جعلها لسليمان .

وكائنْ أَخَذْنا منكم مِنْ أَخيذة * مِنَ البِيض شَنْباء اللِّثات نَوَار

ومن سَيِّدٍ ضَخْمٍ كأن مَجَرَّه * بحيث تلاقَيْنا مَجَرُّ حُوَار

وسابغةٍ زَغْفٍ[1] ونَهْدٍ مُقَلِّص[2] * وأَدْماءَ من سِرِّ الهِجَان حِضَار

ونحن طَرَدْنا الحَىَّ بَكْرَ بن وائل * الى سَنَةٍ مثل السِّنان ونار

(١) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويوصف بها المفرد والجمع .

(٢) مقلص : وثاب .

قال أبو على : سَنَة ، أراد أَسْكَّاهم السواد وهو بلد وباء .

وحُمَّى وطاعُونٍ ومُوم وحَصْبَةٍ * وذى لِبَدٍ يَغْشَى المُهَجْهِج ضارى[1]

وحُكْمِ عَدُوٍّ لا هَوَادَةَ عنده * ومَـنْزِلِ ذُلٍّ فى الحيـاة وعار

فإنَّ تميما لم تَدَعْ بطن تَلْعَةٍ * لكم بَيْنَ ذى قار وبين وَبَار

قال أبو على : وقع فى الكتاب وِبار بكسر الواو، والصواب وَبَار بفتحها .

أزاحتكُمُ عنهـا الرِّماحُ وفِتْيـةٌ * مَسَاعِيرُ حَرْبٍ كلَّ يومِ غِوَار

فأَقْعُـوا على أذنابكم وتَنَكَّبُوا * مُهَادَاتَنَـا فى كل يوم نِفَـار

وطاعنتُ جَمْعَ القوم حتى رأيتهم * على قُلُصٍ تَعْـدُو بهم وبِكَار

فأَضْحَوْا بِدُرْنَى[2] والوجوهُ كأنهـا * وجوه كلاب يَهْـتَرِشْنَ حِرار[3]

وكانت يمينا قبل ذاك جَعَلْتُها * علىَّ فقـد أوقَعْتُهـا بقَـرَار

لأَلْتَمِسَنْ منكم كَمِيًّا بضَرْبةٍ * إذا ما أنا شَاهَـدْتُ يَوْمَ ذِمار

فإن هى نالت نَفْسَـه لم أُبَالِها * وإن يَنْجُ منها فَهْى ذاتُ حِبار[4]

قوله : أوقعتها بقَرَار أى أوقعتها مَوْقِعَها .

وقال أبو محلم يقال : وَقَعَ هذا الأمر بِقُرِّه وبِقُرٍّ، أى وَقَع مَوْقِعَه ، وأنشد :

* فتناهيتُ وقد صابت بِقُرّْ *

قال : وأنشد للفرزدق :

هل تَذْكُرِين إذ الرِّكاب مُنَاخة * بِرِحالهـا لِرَوَاح أهـل المَوْسِم

إذ نحن نَسْتَرِقُ الحديثَ وفَوْقَنـا * مِثْـلُ العجاج من الغُبَـار الأَقْتَم

وكذاك نُخْبِر بالحواجب بيننـا * ما فى النفوس ونحن لم نَتَكَلَّم

وأنشدنا أبو محلم لربيعة بن مالك بن سعد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم — وهو جاهلى — يتفجع على قومه :

ألا إنّمـا هذا المَلَال الذى تَرَى * وإدبار جسمى رَدَّى العَبَرات

وكم من كريم قد تَجَلَّدْتُ بعده * تَقَطَّـعُ نفسى إثْرَه حَسَرات

---

(١) يقال : هجهج بالسبع إذا صاح به ليكف . (٢) درنى : موضع باليمامة . (٣) الاهتراش : تحرش الكلاب بعضها ببعض . (٤) ذات حبار : ذات أثر فيه وإن لم تقتله .

قال أبو محلم : أنشدنى يونس لرجل من قدماء الشعراء فى الجاهلية :

إن يَغْدِرُوا أو يكْذِبُوا * أو يَخْتِرُوا لا يَحْفِلوا[1]

يَغْدُوا عليك مُرَجَّلِيـ * ـن كأنهم لم يفعلوا

كأبى بَرَاقِش كُلَّ لَوْ * نٍ لَوْنُهُ يَتَحوَّل

أبو براقش : دُوَيبَّة مثل العَظَاية تراها مَرَّة خضراء ومرة حمراء ومرة صفراء فى وقت واحد .

قال : وأنشد لسنان بن مُحَرّش السَّعْدى :

وبِتُّ بالِحصْنَيْن غيرَ راض * يَمْنَع مِنِّى أَرَقِى تَغَاضِى

كأنما أُغْضِى على مَضَاض * من الحَلُوء صادق الإمْضاض

* فى العين لا يَذْهَب بالتَّرْحاض *

الحَلُوء : شىء يُكْحَل به الصبيان يُجْعَل فيه زيت ويُحَكُّ على شىء ويُصَيَّر فى خرْقة . والتَّرْحاض : الغَسْل، يقال : رَحَضْت الشىء إذا غسلته .

قال : وأنشدنا أبو محلم للحَطِيم بن نُوَيْرة العُكْلى :

ألا يا لقومى للشَّباب الذى مضى * حَمِيدا وأخْدَانِ الصِّبا والكَوَاعب[2]

وللعُصُر الخالى وللعيش بَهْجةً * وللقلب إذ يَهْوَى هَوَى ابنة ناشب

وجاراتها اللاتى كأنّ عيونها * عُيُون المَهَا يَفْقَهْننا بالحواجب

قال أبو الحسن الأخفش : معناه يَقْبِضْنَها .

حديثًا مُسَدًّى من نَسِيج يُنِرْنَهُ * من الوُدِّ قد يُلْحِمْنَه بالمَعَاتب

وأنشد لمُدْرِك :

ومَدَّدَ عينيه وبَلَّتْ دموعُه * ضَمَارِيطَ وَجْه قد تَثَنَّت غُضُونُها

قال أبو محلم : الضماريط : الغُضون ، واحدها ضُمْرُوط . والضُّمْروط أيضا : الغامض من الأرض، قال جرير :

إن عَرِينًا وبَنِى سَلِيط * مُخَلَّفون كَنَفَ الضُّمْروط

(١) الختر : الغدر والخديعة أو أقبح الغدر . (٢) أخدان الصبا : رفاق الصبا .

عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبُوع رهط واقد بن عبد الله صاحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان بدريا وأوّل من قَتَل فى الإسلام رجلا من المشركين . قال أبو محلِّم : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن واقدا قَتَل عمرو بن الحضرمى ، فقال عليه الصلاه والسلام : "وَاقِدٌ وَقَدَت الحربُ عليهم والحَضْرَمىُّ حَضَرت الحرب" وتفاءل بذلك صلوات الله عليه .

وقال أبو الحسن أنشدنا أبو محلم :

هَجَرْتُكِ أياما بذى الغَمْرِ إننى * على هَجْرِ أيَّامِ بذى الغَمْر نادم

فلما ٱنقضت أيام ذى الغَمْر وٱرْتَمَى * بنا الدهر لامتنى عليك اللوائم

هَجَرْتُك أخشى أن تُلَامِى وإننى * كعازبةٍ عن طِفْلِها وهى رائم

وليس علينا أن تَجُود بِك النَّوَى * سوانا ولا مِنْ عَنْ تَمُوت النمائم

ولكنَّما بِى أن تَجُودِى بنائل * سواى وتبقى لى عليك الذَّمائم

قال : وأنشدنا أبو محلم لرجل من بنى العنبر، وقيل إنها لبعض شعراء طيِّئ :

إنِّى وإن كان ٱبن عَمِّىَ كاشحا * لَمُزَاحِمٌ من دونه وورائه

ومُعِيرُه نَصْرِى وإن كان ٱمرأً * مترحزحا فى أرضه وسمائه

وإذا تَخَرَّقَ فى غِناه وفَرْته * وإذا تَصَعْلَكَ كُنْتُ من قُرَنائه

وإذا تَجَلَّفتِ الحَوالفُ مالَه * عَطَفَتْ صَحِيحَتُنا على جَرْبائه

وإذا غدا يوما لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا * صَعْبًا قَعَدْتُ له على سِيسَائه

سيساؤه : مَتْنُه وظهره، ويقال : ما بين الكتفين وهو مُلْتَقَى العُنُق والظهر .

وإذا ٱكْتَسَى ثوبا قَشِيبا لم أقل * يا ليت أنَّ عَلَىَّ فَضْلَ ردائه

*
* *

قال أبو العباس أنشدنى ٱبن الأعرابى :

أأُخَىَّ[(١)] أخبرنى ولستَ بصادق * وأخوكَ يَنْفَعُك الذى لا يَكْذِب

أمن القَضِيَّة أن إذا ٱستغنيتمُ * وأَمِنْتُمُ فأنا الغَرِيب الأَجْنَب

(١) قائل هذه الابيات : هُنَىّ بن أحمر الكنانى ، وقيل : إنها لزُرَافَة الباهلى ، كذا باللسان مادة «حيس» .

وإذا الشدائد بالشدائد مَرَّةً * أَشْجَيْنَكم فأنا المُحِبُّ الأقرب [1]

وإذا تكون كريهةٌ أُدْعَى لها * وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَب

ولِجُنْدَبٍ سَهْلُ البلاد وعَذْبُها * ولِيَ المِلاحُ وحَزْنُهُنَّ المُجْدِب

عَجَبًا لتلك قَضِيَّةً، وإقامتى * فيكم على تلك القضية أعجب

تلك الظُّلَامَة قد عرفتُ مَكانَها * لا أُمَّ لى إن كان ذاك ولا أَب

[مساءلة الحجاج لأعرابى كلمه فوجده فصيحا]

قال أبو محلم قال الحجاج لأعرابى كَلَّمه فوجده فصيحا : كيف تَرَكْتَ الناسَ وراءك؟ فقال : تركتهم أصلح الله الأمير حين تَفَرَّقوا فى الغيطان، وأخمدوا النيران، وتَشَكَّت النساء، وعَرُض الشَّاء، ومات الكَلْب . فقال الحجاج لجلسائه : أَخِصْبًا نَعَتَ أم جَدْبا؟ قالوا : بل جدبا . قال : بل خِصْبا . قوله : تفرقوا فى الغيطان معناه أنها أَعْشَبَت فإبلُهم وغنمهم تَرْعَى . وأَخْمَدوا النيران معناه ٱسْتَغْنَوْا باللبن عن أن يَشْتَوُوا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها . وتَشَكَّتِ النساء أَعْضَادَهُنَّ من كثرة ما يَمْخَضْن الألبانَ . وعَرُض الشاء : اسْتَنَّ من كثرة العُشْب والمرعى . قال أبو على : الصواب عَرَضَ الشاء وليس عَرُض بشىء . ومات الكَلْب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فيأكُلَ جِيفَهَا . ومن أمثال العرب : «نَعِمَ كَلْبٌ فى بُؤْس أهله» ، لأنه إنما يَنْعَم فى القَحْط ويَمُوت فى الخِصْب .

*
* *

قال أبو على حدّثنا أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة البرمكى قال حدّثنا حرمى قال قال لى أبو الحسن موسى بن هارون حدّثنى يعقوب بن بشر قال : كنت مع إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى نُزْهة لنا، فمرّ بنا أعرابىٌّ فوَجَّه إسحاقُ خلفَه بغلامه زياد الذى يقول فيه إسحاق :

وقُولَا لساقينا زِيادٍ أَرِقَّها * فَقَدْ هَرَّ بعضُ القوم سَقْىَ زياد

ومعنى هَرَّ كَرِه، قال الشاعر :

أَحِينَ بَلَغْتُ من كِبَرِى أَشُدِّى * وهَرَّ لقائِىَ الأَسَدُ الهَصُور

(1) الذى باللسان فى مادة حيس :

وإذا الكتائب بالشدائد مرة * جَحَرتْكُمُ فأنا الحبيب الأقرب

قال : فوافانا الاعرابى، فلما شرب وسمع حَنين الدواليب قال :

باتت تَحِنُّ وما بها وَجْـدِى * وأَحِنُّ من وَجْـدٍ الى نَجْـد
فدموعُها تُحْيا الرياضُ بهـا * ودموعُ عينى أحرقت خَدِّى
وبساكِنِى نَجْـدٍ كَلِفتُ وما * يُغْـنِى لهم كَلَفى ولا وَجْدى
لوقِيسَ وَجْدُ العاشـقين الى * وجدى لزاد عليه ما عنـدى

قال : فما مضى إسحاق الى منزله إلا محمولا سُكْرًا .

[مطلب دخول المأمون على أم الفضل بن سهل بعد قتل ابنها وما قاله يعزيها وما أجابت به]

قال وحدّثنى أبو الحسن قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : لمـا قُتِلَ الفضـل بن سهل دَخَلَ المأمون على أمه فوجدها تَبْكِي، فقال لهـا : أنا ٱبْنُـكِ مَكانَه فَدَعِى البكاءَ، فقالت : إنّ ٱبنا تَرَكَ لى ابنا مثلك لَجَدِيرٌ أن يُبكَى عليه .

[بنـان وفضـــل الشـاعرة]

وحدّثنا أبو الحسن قال حدّثنى على بن يحيى قال : كان بَنَـانٌ يَتَعَشَّق فَضْـلَ الشاعرةَ وكانت تَتَعَشَّقه، فبلغه عنها ما يكره، فتجنّبها، فصارت الىَّ مُسْتَعْتِبةً له، وسألتنى أن أجمع بينهما لتحلِف له، فَفَعَلْتُ . فلما حَلَفَتْ له قَبِل وأقام عندى، فلما دار النبيذ بينهما دَعَتْ بالدواة فكتبت :

يا فَضْـلُ صَـبْرًا إنّها مِيتَةٌ * يَجْرَعُها الكاذب والصادق
ظَنَّ بَنَانٌ أنّنى خُنْتُـه * رُوحِى إذًا من بَدَنِى طالِقُ

***

قال أبو على قال لى أبو الحسن جحظة قالت حَبَشِيَّة : بات عندى المتوكلُ ليلةً وخرج من عندى نصفَ الليل، فغلبتنى عينى، فرأيت قائلا يقول لى فى النوم : ياحبشية، حَمَلْتِ الليلة بأشأمِ خَلْقِ الله، فكان المنتصر، فجلس يوما على البساط الذى بُسِط له على البِركْة المربعـة بعد قتل أبيـه، فرأى على البساط صورة مكتوبة عند رأسها بالفارسية، فدعا ببعض الفُرْس فقرأها، فكانت هذه صورة بابك ابن بابكان الذى قتَلَ أباه، فما عاش بعده إلا ستة أشهر، وكذلك اتّفق للمنتصر .

قال وأنشدنا أبو الحسن قال أنشدنا حماد عن أبيه :

جَفَانا أبو صالح بعــد ما * أقام زمانا لنــا واصــلَا
يَرُوح ويَغْــدُو بالواحــه * الى الباب مسترشدا سائلا
فلمــا تَرَأّس فى نفســه * وليس لذلك مُسْـتَاهِلا
تَنَبَّــلَ عنّــا فــلم يأتنــا * وما كنت أحسبه فاعلا
فعاد كَحَيْرانَ فى جهله * كما كان مِنْ قبــلِهِ جاهلا

قال فأجابه :

بَخِلْتَ وَأَعْقَبْتَ الجَفاءَ وإنمــا * يُؤاخَى من الفتيان كلُّ فَتًى سَمْحِ
واستَ بسَمْح لا ولا فى أُرُومةٍ * ولكنَّ مطبوعا على اللؤم والشحِّ

قال : وأنشدنا أبو الحسن قال أنشدنا أبو هَفَّان لبعض المحدَثين :

تَعَوَّذْ إذا أصبحتَ من دَوْلة الغِنى * أبا حَسَنٍ وادْعُو إلهَــكَ بالفقــر
رأيناك ما آستغنيتَ لا تَحْمِل الغِنى * وتَلْبَسُ جِلْبابًا من التِّيه والكِبْر
وأنتَ إذا أعْسَــرْتَ خِلٌّ موافق * تَبَرُّ وتَلْــقَى بالمــودّة والبِشــر
فَلَيْتَــكَ ما أعسرت فينا مُخَــلَّد * وليتك ما أَيْسَرْتَ فى ظُلْمة القــبر

قال أبو على : أنشدنا جَحْظة لنفسه :

فلا تَيْأَسْ وإن صَحَّتْ * عَزِيمتُهــم على الدَّلَج
فإنّ الى غَداة غَــدٍ * يَجِىءُ الله بالفَــرَج

قال : وغَنّى ثَمَرَةُ لمستعين بالله هذين البيتين :

وما أَنْسَ لا أنْسَ ذاك الخُضوع * وفَيْضَ الدموع وغَمْزَ اليــد
وخَدِّى مُضــافٌ الى خــدها * قيــاما الى الصبح لم نَرْقُــد

قال : وأنشدنا أبو العِبَر لنفسه :

وفى ساعدى مِمَّنْ تَعَلَّقْتُ عَضَّةٌ * تُذَكِّرُنى ذاك الشَّنِيبَ المُفَــلَّجا
وآثارُ خَدْش فى يَدَىَّ مليحــةٌ * أقام عليهــا القلبُ منّى وعَرَّجا
أما والذى أمسيتُ أرجو ثوابه * لقد حَلَّ ما أخشاه وآنقطع الرجا

قال : وأنشدنا قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

دَبَّ المَشيبُ الى الشبا * ب دَبِيبَ ذى خَتْلٍ مُسَارِقْ

إن المَشيب طليعةٌ * للموت فى كل الخلائق

وأيضا :

زَعَمُوا أن حُبَّها كان سِحْرًا * ظَلَمُوها وسُورةِ الأنفالِ

مارأت بابِلًا ولا تُحسن السحـ * ـرَ سُلَيْمَى إلا بحسن الدلالِ

قال : وأنشدنا عبد الله بن طاهر لنفسه :

يَزِيدُنِىَ البُعْدُ شوقا إليك * وطُولُ صُدودك حِرْصًا عليك

ولو كنت أملِك ما تَمْلِكين * من الصبر ماطال شوقى إليك

قال : وأنشدنا أبو هفان :

أمِثْلى يُرَوَّع بالنائبات * ويَخْشَى بَوَائق صَرْفِ الزمن

أذاقنِىَ اللهُ مُرَّ الهوان * وأدخلنى فى حِرَامِى إذَنْ

قال : وأنشدنا الناشئ لنفسه :

وكان لنا أصدقاء حُمَاة * وأعداءُ سوءٍ فلم يَخْلُدوا

تَساقَوْا جميعا كئوس الحِمَام * فمات الصَّديق ومات العَدُو

[مطلب أن إسحاق الموصلى كان لكثرة علومه وفنونه أول داخل على المأمون مع أهل العطاء على اختلافهم لقبض عطائه]

قال وحدّثنى أبو الحسن قال : سمعت ميمون بن هارون يقول قال حُمَيْد الطُّوسى : كنت حاضرا دهليز المأمون، فدعا بالناس لقبض أرزاقهم، فكان أوّل من دخل إسحاق الموصلى مع الوزراء، ثم دعا بالقُوّاد فكان أوّل من دخل إسحاق الموصلى، ثم دعا بالقضاة فكان أوّل من دخل إسحاق، ثم دعا بالفقهاء والمُعَدِّلين فكان أوّل من دخل هو، ثم دعا بالشعراء فكان أوّل من دخل هو ، ثم دعا بالمُغَنِّين فكان أوّل من دخل هو، ثم دعا بالرُّماة فى الهَدَف فكان أوّل من دخل هو، فعجبت من كثرة علمه وفنونه .

*
* *

قال : وحدّثنا أبو الحسن قال أنشدنى خالد الكاتب لنفسه :

كتبتُ اليك بماء الجفون * وقلبى بماء الهوى مُشْرَب

فكَفِّى تَخُطُّ وقلبى يُمِلّ * وعيناى تمحو الذى أ كتب

فليس يتم كتابى إليك * لشوق فَمَنْ ها هُنا أعجب

*
* *

قال أبو على حدّثنا أبو بكر محمد بن مزيد أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى أبو غَزِيَّة الأنصارى ثم أحد بنى مازن بن النجار قال حدّثنى مجمع بن يعقوب الأنصارى قال : أدركت حَسَّان بنَ الغَدير شيخا كبيرا من أجمل الشيوخ وأحسنهم ، فحدّثنى قال : سارت علينا سائرة من بنى جُشَمَ بنِ بكر ، فرأيت فيهم فتاةً ما رأيت فى نساء العرب مثلها حسنا ، فكنت أخطبها ، فلم يُقَدَّر لى تزويجُها ، فضرب الدهرُ بيننا ، فإنى بعد ذلك بأربعين سنة لَفى بلادى إذ أهلوها قد ساروا ، وإذا بها عجوز تسأل عنى ، فلما دَفَعَتْ الى ورأت كِبَرى قالت : أأنت ابن الغدير؟ فقلت : نعم ، قالت : لقد أَكَل الدهرُ عليك وشَرِبَ! قال : فذلك قولى فيها وقد كَبِرت أيضا وتغيرت :

قالت أُمامة يوم بُرْقَةِ واسط * يا ابن الغَدير لقد جَعَلْتَ تَنَكَّرُ

أصبحتَ بعد شبابك الغَضِّ الذى * وَأَتَ شَبِيبَتُه وغُصْنُكَ أخضر

شيخا دِعَامَتُك العَصا ومُشَيَّعًا * لا تَبْتَغِى خَبَرًا ولا تُسْتَخْبَر

فأجبتُها أنْ مَنْ يُعمَّر يَعْتَرِف * ما تزعمين وَيَنْبُ عنه المَنْظَر

ولقد رأيتُ شبيةَ ما عَيَّرْتِنِى * يَسْرى علىَّ به الزمانُ ويُبْكِر

وجعلتُ يُغْضِبُنِى اليسيرُ ومَلَّنِى * أهلى وكنت مكرَّما لا أُكْهَر (١)

وشَرِبْت فى القَعْب الصغير وقادنى * نحوَ الجماعة من بَنِىَّ الأصْغَرُ

قال أبو على : أخبرنا أبو بكر محمد بن مزيد أبى الأزهر قال حدثنا الزبير قال : أنشدنى أبى لحكيم ابن عِكْرِمة :

---

(١) لا أكهر : لا أنهر .

تقـــول بُثَيْنَـةُ إذ أَنكَرتْ * قُنُوءا من الشَّعَر الأحمر
برأسي كَبِرْتَ وأَوْدَى الشباب * فقلت مجيبا لها أَقْصِرى
أما كنتِ أبْصَرْتِني مَرَّةً * لياليَ نحن بذى جَوْهَر
ليـالِيَ أنـتم لنـا جِـيرةٌ * ألا تذكرين! بلى فاذكرى
واذ أنا أَغْيَدُ غَضُّ الشباب * أَجُرُّ الرِّداء مـع المِـئْزَر

أنشدنيه الزبير بطرح الواو، وأصحاب العروض يُسَمُّونه المخزوم .

وإذ لِمَّتى كجَنَاح الغُـراب * تُرَجَّل بالمسـك والعنـبر
فَغَـيَّرَ ذلك ما تعلمين * تَغَـيُّرَ ذا الزمن المُنْـكَر
وأنتِ كلؤلؤة المَـرْزُبان * بمـاء شـبابكِ لم يُعْصَر
وقد كان مضمارنا واحدا * فأنَّى كَبِرْتِ ولم تَكْبَرى

[إنشاد الحجاج شعر مالك بن أسماء]

قال أبو علي وحدثني أبو بكر بن أبي الأزهر قال أخبرنا الزبير بن بكار في صفر سنة ست وأربعين ومائتين قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثنا سعيد بن سليم : كان الحجاج بن يوسف ينشد قول مالك بن أسماء :

يا مُنْزِلَ الغَيْث بعد ما قَنِطُوا * ويا وَلِيَّ النَّعماء والمِنَن
يكون ما شئتَ أن يكون وما * قَدَّرْتَ أن لا يكون لم يكنِ
لو شِئْتَ إذ كان حُبُّها عَرَضًا * لم تُرِنِي وَجْهَهـا ولم تَرَنِي
ياجارة الحَيِّ كُنْتِ لى سَكَنًا * إذ ليس بعضُ الجيران بالسَّكَن
أَذْكُرُ من جارتى ومجلسها * طَرَائِفًا من حَديثها الحَسَن
ومن حَديثٍ يَزِيدُنى مِقَـةً * ما لِحَديث المَوْمُوق من ثَمَن

ثم يقول : أَحْسَنَ! فَضَّ الله فاه ! (١)

(١) هذه الجملة إن لم تكن لا فيها سقطت من الناسخ فهى جملة مراد بها التعجب لا الدعاء كقولهم : قاتله الله ما أحسنه .

[مطلب ما وقع لجابر الرزامى مع أوفى بن مطر الخزاعى وآنسلال جابر من قومه آستحياء من كذبته]

قال وحدثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدثنى محمد بن يزيد قال حدثنى التوزى عن أبى عبيد قال: خرج ثلاثة نفر من بنى مازن وهم أَوْفَى بن مطر الخُزاعى وجابر ومالك الرِّزَاميَّان ليُغِيروا على بنى أسد آبن خزيمة، فَلَقُوا أعداءهم، فَقُتِل مالك وآرْتُثَّ(١) أوفى جريحا، فقال أوفى لجابر: احملنى، قال: إن بنى أسد قريب وأنت مَيِّتٌ لا محالة، وأن يُقْتَل واحد خير من أن يُقْتَل آثنان، قال: وَيْحَكَ! فازْحَفْ بى الى عَمَايَةَ، قال: عماية أرضٌ فَضَاءٌ ولا يَسْتُرُك منها شىء، قال: فآنهض بى الى قُسَاس، قال: ماقساس إلا حَرْمَلة لبنى أسد، قال: فَمَاوانَ، قال: إنما ذلك تحت أقدامهم، ونجا. فأتى الحَىَّ فأخبرهم أن أوفى ومالكا قد قُتِلا، وتَحَامَل أَوْفَى الى بعض هذه المياه فتَعالج به حتى بَرَأ، ثم أَقْبل. فقال رجل من القوم وجابرٌ فيهم: لولا أن المَوْتَى لم يَئِنْ بَعْثُها لأنبأتكم أن هذا أوفى! قال أبو عبيدة: فآنْسَلَّ جابر من القوم فما يُدْرَى أين وَقَع ولا وَلَدُه الى الساعة اسْتِحْياءً من القوم من كَذْبته التى كَذَبها، وخُبِّر أوفى بما قال جابر، ففى ذلك يقول:

ألا أَبْلِغَا خُلَّتى جابرا * بأن خَلِيلَكَ لم يُقْتَلِ
تَخَطَّأَتِ النَّبْلُ أحشاءَه * وأَخَّر يومِى فلم يَعْجَلِ
تجاوَزْت مَاوانَ عن ساعة * وقُلْتَ قُسَاسٌ من الحَرْمَلِ
وقُلْتَ عَمايةُ أرضٌ فَضَاءٌ * فَلأْيًا أَؤُوبُ الى مَعْقِلِ
فَلَيْتَك لم تَكُ من مازنٍ * ولَيْتَكَ فى الرِّحْم لم تُحْمَلِ
ولَيْتَ سِنَانَك صِنَّارةٌ * وليتَ رُمَيْحك من مِغْزَلِ
ولَيْتَ بِحَقْوَيْك ذا زَرْنَبٍ * جَمِيشًا يُرَكَّل بالفَيْشَلِ

قال أبو على: الزَّرْنَب: لحم الفرج من خارج. والكَيْنُ: لحمه من داخل.

* * *

قال أبو على وأنشدنا قال آنشد أحمد بن يحيى لوزير بن عبد الرحمن الأسدى:

أيا كَبِدا ماذا أُلَاقِى من الهوى * إذا الرَّسُّ فى آل السَّراب بَدَا لِيَا
ضَمِنْتُ الهوى للرَّسِّ فى مُضْمَرِ الحَشا * ولم يَضْمَنِ الرَّسُّ الغَدَاة الهوى ليَا
أَعُدُّ الليالى لَيْلَةً بعد ليلة * لِلُقْيَان لاهٍ ما يَعُدُّ اللياليا

(١) ارتث: حمل من المعركة رثيثا أى جريحا.

قال أبو على: وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال أنشدنى أحمد بن يحيى لنُمَير بن كُهَيْل الأسدى:

ذَكَرْتُكِ والحَجِيجُ لهم ضَجِيجٌ * بمكّةَ والقلوبُ لها وَجِيبُ

فقلت ونحن فى بَلَدٍ حرام * به لله أُخْلِصَتِ القلوب

أتوب اليكَ يارَحْمنُ مما * عَمِلْتُ فقد تظاهَرت الذُّنُوب

وأمّا مِنْ هَوَى سُعْدَى وحُبِّى * زِيارَتِها فإنى لا أتوب

وكيف وعندها قلبى رَهِينٌ * أَتوب اليكَ منها أَوْ أُنِيب

قال: وأنشدنا أيضا قال أنشدنى أحمد بن يحيى لبعض الأعراب:

تَمُرُّ الصَّبا صَفْحًا بساكن ذِى الغَضَا * ويَصْدَع قلبى أن تَهُبَّ هُبُوبُها

قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما * هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حيث كان حَبِيبُها

قال وحدّثنا أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة البرمكى قال: من عجيب ما أنشدنا أبو العباس ثعلب:

وإنى لَمَطْوِىّ الضُّلوع على هَوًى * هو المَثَل الأعْلَى بما يَغْلِب المُرْدِى

ولو أن خَلْقًا كان يكتُم نَفْسَه * هَوَاها لما أَطْلَعْت نَفْسِى على وجدى

قال وحدّثنا قال: ومن عجيب الأخبار أن جعفر بن يحيى البرمكى سأل المنجِّمين: متى يَرْكَبُ الى داره التى بناها على الشَّطِّ؟ فأشاروا عليه بيوم، فركب فيه فأَخَذَه من الرَّعْد والبرق والمطر ما لم يَرَ مِثْلَه فى سالف دهره، فركبَ على كل حال، فمرَّ بسكرانَ قد ٱرْتَطَم(١) وهو يقول:

ويَعْمَل بالنُّجوم وليس يَدْرِى * ورَبُّ النَّجْمِ يفعل ما يشاء

فقال: ما خاطبنى هذا السكران إلا بلسان غيره، ورجع.

قال وأنشدنا جحظة قال أنشدنى ٱبن العَطَوِىّ عن أبيه أبى عبد الرحمن:

أَحْسَنُ مِنْ غَفْلة الرَّقيب * ولَحْظةِ الوَعْد من حبيب

والنَّقْر والنَّغْم من كَعَاب * مُصِيبة القَوْل والقَضِيب

(١) ارتطم السكران: تخبّط وتعثّر.

ومن بنَـاتِ الكُرُوم راحت * فى راحَتَىْ شادنٍ رَبِيب
كُتْبُ أديبٍ الى أديب * طالت به مُدَّة المَغيب
فَنَمَّقَتْ كَفُّه سطورا * تَمَـلَّقَ الصَّفْو فى القلوب
يا بادئًا بالكتاب فَضْلًا * والفضل من شيمة الأديب
تَحْنُ على الوُدِّ، أىُّ شىءٍ * أقْبَحُ من غادرٍ أريب
مَنَحْت ضَيْفِى عُبوسَ وجهى * وسائلى شِـدَّة القُطوب
وعشت فى النـاس مستهاما * يا أطْوَعَ النـاس للرقيب
إن كان ودّى لأهـل ودى * قَصَّرَ مِنْ باعِه الرَّحيب
وأنت منهـم فكن قريبـا * أو نائيـا وافـر النصيب
وأَبِلْ ما شئتَ صَفْوَ وِدِّى * تَجِـدْه فى ثوبه القَشِيب

⁂

قال وحدّثنا جحظة قال حدّثنا ميمون بن هارون بن مَخْلَد بن أبَان قال : كان عندنا بالبصرة رجل يُتْعِب دَوابَّه وغلمانَه فى قضاء حوائج الناس بغـير مَرْزِيَة (١) ، فسألته عن ذلك ، فقال : يا أبا عثمان ، سَمِعْت تغريد الأطيار بالأسحار، فى أعالى الأشجار، وتَمَتَّعْتُ بمخزونة الدِّنان ، على سَمَاع القِيَان، فما طَرِبْت طَرَبِى على ثناء رجل أَحْسَنَ اليه رَجُل .

[شهادة أبى العتاهية فى شعر أبى نواس]

قال وأنشدنى جحظة قال أنشدنى حماد لأبى نواس :

إذا آمْتَحَن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ * له عن عدوّ فى ثيـاب صـديق

فلما سمع هذا البيت أبو العَتَاهية قال : لو نَطَقَت الدنيا لَمَـا وَصَفَتْ نفسها بفوق هذا الوصف .

ولمـا قال أبو نواس :

جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجُموح * وهانَ عَلَىَّ مأثورُ القبيح
وإنِّى عالمٌ أنْ سوف تَنْأَى * مَسَافَةُ بينِ جُثْمانى ورُوحى

قال أبو العتاهية : لقد جَمَعَ فى هذين البيتين خَلَاعةً ومُجُونا وإحْسانا وعِظَةً .

(١) أى بغير أن يرزأ أحدا من الناس شيئا أى يأخذ منهم أجرا على قضاء حوائجهم .

* * *

قال أبو على حدّثنا أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنا حماد بن إسحاق الموصلى قال حدّثنى أبى قال: رايت ثلاثةً يَذُوبون إذا رأوا ثلاثة : الهَيْثَم بن عَدِىٍّ اذا رأى آبن الكلبىّ، وعَلُّوية إذا رأى مُخَارقا، وأبا نُوَاس إذا رأى أبا العَتَاهية .

[المفاضلة بين أبى تمام والبحترى]

قال أبو على وحدّثنا جحظة قال تَحَادَثْنا يوما فى الطائى والبُحْتُرى أيُّهما أشعر، فقال بعض من حَضَرَ مَجْلِسَنا : هل يُحْسِنُ الطائى أن يقول :

تَسَرَّع حَتَّى قال مَنْ شَهِدَ الوَغَى * لِقَـاء عَدُوٍّ أم لِقَـاء حَبِيب

فقلت من الطائى سرقه حيث يقول :

حَنَّ الى المَوْتِ حتى قال جاهِلُهُ * بأنه حَنَّ مُشْتاقا الى وَطَن

* * *

قال وأنشدنى أبو بكر بن أبى الأزهر قال أنشدنى أحمد بن الحارث الخَزَّاز صاحب المدائنى لعبد الله بن عاصم :

إذا أنت لم تَعْمَلْ بأمرٍ تَخَـافُه * عليك حَسِبْتَ المـاء إن ذُقْتَه دَمَا
وسَدَّ عليـك الخَوْفُ أمْرَكَ كُلَّه * وصِرْتَ قُعُودًا حَيْثُمَا سِـيقَ يَمَّمَا

قال وحدّثنا قال حدّثنى الزُّبَيْر قال : كان الزبير إذا جاءه من ناحية وَلَدِ عَلِىٍّ أَذًى وجاءه مثله من ناحية آل عمر، قال : لَأَنْ يَظْلِمَنى والله آلُ عَلِىٍّ أحَبُّ الىَّ، وينشد :

فإن كنتُ مَقْتُولًا فكُنْ أنتَ قاتلى * فبَعْضُ مَنَايا القوم أكْرَمُ من بَعْضِ

قال أبو على : وأنشدنا جحظة لنفسه :

أرَى الأعيادَ تَتْرُكُنى وتَمْضِى * وأَوْشَكَ أنهـا تَبْقَى وأَمْضِى
علامةُ ذاكَ شَيْبٌ قد علانى * وضَعْفِى عند إبرامى ونَقْضِى
وما كَذَبَ الذى قد قال قَبْلِى * إذا ما مَرَّ يومٌ مَرَّ بَعْضِى
أرَى الايام قد خَتَمَتْ كتابى * وأحْسَـبُهَا ستُعْقِبُه بفَضِّ

قال أبو على وأنشدنا جحظة قال أنشدنى أبو هفان قال: كَتَبْتُ الى مؤاجَرٍ بالبصرة وكنت آلفُه:

يا حَسَنًا وجهُه ومِئْزَرُهُ * ومن يَرُوق العبادَ مَنْظَرُهُ

زُرْنا لِتَحْيا بك النفوسُ فما * يَطيب عيشٌ ولستَ تَحْضَره

قال فكَتَب الىّ:

دَعْنِي من المدح والهجاء وما * أصبحتَ تَطْوِيهِ لى وتَنْشُره

لو ضُرِب الدرهمُ الصحيح على الـ * فؤاد عندى لذاب أَكْثَرُه

قال وحدّثنا جحظة قال حدّثنى أبو بكر بن الأعرابى قال حدّثنى أبو على البصير أن خُشَاخِشًا المدينى نظر إليه يوم عيد الفطر وهو فوق تل يصيح صياحا شديدا، فقيل له: ما هذا؟ قال: أَنْعِرُ فى قفا شهر رمضان، فغاب عنّى أبو على البصير أياما، ثم جاءنى فأنشدنى:

أقول لصاحِبَيَّ وقد رأينا * هلال الفطر من خَلَل الغَمام

غَدًا نَغْدُو الى ما قد ظَمِئْنا * إليه من الملاهى والمُدام

ونَسْكَرُ سَكْرَةً شَنْعاء جهرا * ونَنْعِرُ فى قفا شهر الصيام

قال جحظة: ومن بديع ما أنشدَنَاه خالد الكاتب لنفسه:

قد قلتُ لما أن بدا مُتَبَخْتِرا * والرِّدْف يَجْذب خَصْرَه مِنْ خَلْفه

يا من يُسَلِّم خَصْرَه من ردفه * سَلِّمْ فؤاد مُحِبِّه من طَرْفه

قال: وأنشدنا جحظة قال أنشدنا دِعْبِل لنفسه:

أذْكُرْ أبا جعفر حَقًّا أَمُتُّ به * أنّى وإيّاك مَشْغُوفانِ بالأدب

وأننا قد رَضَعْنا الكأس دِرَّتَها * والكأسُ دِرَّتُها حَظٌّ من النَّسَب

قال وحدّثنى جحظة قال حدّثنى أبو العَيْناء قال: تَعَشَّقَتْنى آمرأةٌ قبلَ أن ترانى، فلما رأتنى استقبحتنى فأنشدتها:

وفاتِنَةٍ لما رَأَتْنى تَنَكَّرَتْ * وقالت دَمِيمٌ أَحْوَلٌ ما له جسم

فإن تُنْكِرى منّى آحْوِلَالًا فإننى * أديبٌ أريبٌ لا عَيِيٌّ ولا فَدْم

فقالت لى: يا هذا، لم أُرِدْك لتَوْلِية ديوان الزِّمام.

قال أبو على : وأنشدنا جحظة قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

أبَتْ ظبيــةُ الإحرام أن تَتَنقَّبا * فأبْصَرت وَجْهًا كان عنّى مُغَيَّبا
وعارَضْتُها حتى رأتنى أمامَهـا * فقلت لها أهلا وسهلا ومرحبا
ولَسْتُ بناسيها غَــداةَ رأيتُهـا * وقد وَقَفَتْ تَرْمِى الجمار المُحَصَّبا
فيا حَصَياتٍ كُنَّ فى لَمْسِ كَفِّها * رُزِقْتُنَّ رَيًّا مِنْ نَشَا المِسك أطْيبا

قال : وقال أنشدنى آبن المنجم :

ومُسْتَطِيلٍ على الصَّهْباء باكَرَها * فى فِتْيَة باصطِباح الراح حُذَّاق
فكلُّ كَفٍّ رآها ظَنَّها قَــدَحا * وكلُّ شخص رآه ظَنَّــه الساقى

[أبو سعيد المخزومى وعلى بن جبلة العكوك]

قال أبو على وحدّثنـا جحظة قال حدّثنى المروانى قال قال لى أبو سـعيد المخزومى : دَخَلْتُ يوما على حُمَيْد الطُّوسى وإلى جنبــه رَجُل ضَرِيرٌ، فأنشدته البائية، وجعَل الضرير كلما ذَكَرْتُ بيتا يقول: أحْسَن الخبيثُ! فأمر لى بخِلْعة وخمسة آلاف درهم، فلما خرجت قام الىَّ البوَّابون، فقلت: لا أَهَبُ لكم شيئا أو تقولوا لى مَنْ هذا الضرير؟ فقالوا: هذا عَلِيُّ بن جَبَلة العَكَوَّك، فآرْفَضَضْتُ والله عَرَقًا .

قال جحظة : وعلى بن جبلة الذى يقول فى حميد الطوسى :

دَجْلَةُ تَسْـــقى وأبو غانم * يُطْعِم من تَسْــقِى من الناس
والناسُ جِسْمٌ وإمامُ الهـدى * رأسٌ وأنت العين فى الراس

قال وحدّثنا قال : اعْتَلَّ أبو هَفَّان فى منزل آبن أبى طاهر فأبطئوا عليه يوما بالغداء ، فقال :

أنا فى مَنْزِل خِـــلٍّ * مُشْــفِقٍ بَرٍّ رفيــق
رجُلٍ أعْمَـــرُ من منـــ * ـزله ظَهْـــرُ الطريق
ليس لى أُكْلٌ سوى لَحْـــ * ـمِى وشُرْبٌ غير ريقى

قال أبو على قال أبو الحسن جحظة أنشدنا أبو هفان يفتخر وهو أجود ما قيل فى الآفتخار :

فإن تسألى فى النــاس عنا فإننا * حُلِيُّ العُلَى والأَرْضِ ذاتِ المَناكب
وليس بنا عَيْبٌ ســوى أن جُودَنا * أضَرَّ بنـا والبَأْسِ من كلِّ جانب

فأفـنَى الرَّدَى أعمـارَنا غيرَ ظالم * وأفنَى النَّـدَى أموالَنا غـير عائب
أبُونا أبٌ لو كان للناس كُلِّهـم * أبًا واحـدا أغْناهمُ بالمَنـاقب

[جحظة وعبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات]

قال وحدّثنى جَحْظة قال : كتب الىَّ عبد الله بن محمد بن عبـد الملك الزيات وهو مقيم بالمَطِيرة (١) وعنده جاريته شَمُولُ ، وكانت من المُحْسِنات ، وكان الناس يقصدونها لسماعها :

شَرِبْنا بالمَطِـيرة ألْفَ يوم * صَبُوحا قبـل أن يبدو النهار
وأفنينا العُقَار بهـا جِهـارا * فـلم يُصْبِحْ بحانتها عُقَار
وضَجَّ البائعون بها وقالوا * أُناسٌ يَشْرَبون أم البحار
هُمُ ناسٌ ولكنْ أىُّ ناسٍ * لصُحْبة مثلهم خُلِعَ العِذَار

قال : فصنعته هزجا ، فلما سمعه بدر — يعنى الأستاذ — وصلنى فى دفعتين بأربعمائة دينار ، قال : فكتبت الى عبد الله بن محمد جواب شعره :

لِى منْ تَذَكُّرِىَ المَطِـيره * عَيْنٌ مُسَهَّدة مَطِـيره
سَخِنَت لفـقد مَوَاطِنٍ * كانت بها قِـدْما قَرِيره
أيامَ لِلأيَّامِ إحـ * ـسانٌ وأفعالٌ نَضِـيره
أيام نَحْـوِى حَيْثُ كُنْـ * ـتُ لعاشقٍ كَفٌّ مشيره
فى فِتْيـة لم يَعْـرِفوا * لدوام نيلهـم ذَخِـيره

فغلبت عليه .

[قصيدة لدعبل الخزاعى]

قال أبو على وأنشدنا جحظة قال أنشدنا ثعلب لدعبل :

بانت سليمى وأمسَى حَبْلُها انْقَضَبا * وزَوَّدُوك ولم يَرْثُوا لك الوَصَـبا
قالت سـلامةُ أيْنَ المـالُ قلت لها * المـال وَيْحَكِ لاقى الحمْدَ فاصْطَحَبا
الحَمْـدُ فرّق مالى فى الحُقوق فـما * أبْقَيْن ذَمًّا ولا أبْقَيْن لى نَشَبا

---

(١) قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد وسامراء ، قال البلاذرى إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون .

قالت سلامةُ دَعْ هذى اللَّبُون لنا * لِصِبْيةٍ مثلِ أفراخ القَطا زُغُبا
قلت ٱحْبِسيها ففيها مُتْعةٌ لهمُ * إن لم يُنِخْ طارقٌ يَبْغِى القِرَى سَغِبا
لمّا ٱحْتَبَى الضَّيفُ وٱعْتَلَّت حَلُوبَتُها * بكى العيالُ وغَنَّتْ قِدْرُنا طَرَبا
هٰذى سبيلى وهذا فٱعلمى خُلُقى * فٱرْضَىْ به أو فكُونِى بَعْضَ من غَضِبا
ما لا يَفُوت وما قد فات مَطْلَبُه * فلن يَفُوتَنِىَ الرزقُ الذى كُتِبا
أَسْعَى لأطلبَه والرزقُ يَطْلُبُنِى * والرزق أكثرُ لى مِنِّى له طَلَبا
هل أنت واجدُ شىء لو عُنِيتَ به * كالأجر والحمد مُرْتَادا ومُكْتَسَبا
قوم جَوَادُهمُ فَرْدٌ وفارسهم * فرد وشاعِرُهم فرد إذا نُسِبا

* * *

قال وأنشدنى ثعلب :

الجَهْلُ بعد الأَرْبعين قَبِيحُ * فَزَعِ الفؤادَ وإن ثَنَاه جُموح
وَبِعِ السَّفاهة بالوقار وبالنُّهَى * ثَمَنٌ لَعَمْرُكَ إن عَقَلْتَ رَبيح
فلقد حَدَا بك حادِيَانِ الى البِلَى * ودَعاكَ داعٍ للرَّحيل فَصِيح

قال ميمون بن إبراهيم : أُنْشِد المأمون هذه الأبيات، فقال : مالى وما لهذا المعنى من الشعر! قال اليزيدى فقلت :

يَسْعَى اليك بها غُلامٌ أَهْيَفٌ * من جَيْبِه رَيَّا العَبِير تَفُوح
مَيْسَانُ أمّا دَلُّه فمُخَنَّثٌ * غَنِجٌ وأمّا وَجْهُه فَصَبِيح

قال جحظة : أنشدتُ هذه الأبيات عبيدَ الله بن عبد الله، فقال : والله لو سمعها دِعْبِلٌ لَحَسَدك عليها، وهى هذه :

مَدَدْتُ يَدِى يوما الى فَرْخِ باخِلٍ * كما يَفْعَل الخِلُّ الصديقُ المؤانِسُ
فأوما الى غلمانه فَتَواثَبوا * الىَّ ووجهُ النَّذْل إذ ذاك عابس.
فهذا لِبَطْنِى حين أَسْقُط دائس * وذاك لِجَنْبِى حين أَنْهَضُ رافس
فأَنْشَدْت بيتا قاله ذو صَرامةٍ * وقد نَاوَشَتْه بالرِّماح الفوارس
ومَنْ يَطْلُب المَالَ المُمَنَّع بالقَنا * يَعِشْ مُثْرِيًا أو يُودِ فيمن يُمارِس

* * *

قال أبو على وحدّثنى جحظة قال حدّثنى الأمير عبيد الله بن عبد الله قال حدّثنى الزبير قال : كنت أؤدّب المعتزّ، فهوِى جاريةً لأُمّه قبيحةَ، فصبرَ فنحَل جِسْمُه وحُمَّ؛ فسألته عن خبره، فأنشدنى :

جَزِعْتُ للحُبِّ والحُمّى صَبَرْتُ لها * إنّى لأعجب من صَبْرى ومن جَزَعى

وخَبَّرَنى فيما بينى وبينه بعشقه للجارية ، قال : فأخبرت قبيحة بالقِصّة ، فوهَبَتْها له فَعُوفِى . قال جحظة : فحدّثنى عبد الله بن المعتز أنها أُمُّه .

[اسحاق الموصلى والفضل بن يحيى]

قال وحدّثنى جحظة قال حدّثنى حماد بن الموصلى قال قال أحمد بن عبيد لأبى : يا أبا محمد، لو ذَهَبْتَ الى إخوانك وتَرَكْتَ التِّيهَ! فقال : لا والله لا أدخل الى واحد منهم إلا بخمسين ألْفَ درهم وفَرَس وخِلْعة، فوالله لقد دخلت على الفضل بن يحيى فأجلسنى معه على مُصَلّاه، وخرج خادمٌ فقال: لقد رَزَق الله الأميرَ وَلَدًا، فقلت :

ويَفرح بالمولود من آل بَرْمك * بُغاةُ النَّدَى والرُّمْحِ والسَّيْفِ والنَّصْل
وتَنْبسِطُ الآمال فيه لفضله * ولا سيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضل

فقال : ياصالح، ادفع لأبى محمد مائة ألف درهم، فَصَنَعْتُ له لحْنًا، فلما غَنَّيْته به أَمَرَ لى بمائة ألف درهم أخرى، أفترى لى أن أُغَنِّىَ بعد هؤلاء!

* * *

قال أبو على وأنشدنا جحظة لنفسه :

أنا ابن أُناسٍ مَوَّلَ الناسَ جُودُهم * فأضْحَوْا حديثا بالنوال المُشَهَّر
فلم يَخْلُ من إحسانهم لَفْظُ مُخْبِرٍ * ولم يخل من تقريظهم بَطْنُ دَفْتَر

* * *

قال وحدّثنى جحظة قال : دخل رجل على عمر بن فرج ، فتَنَصَّل إليه من ذَنْب له فَرَضِى عنه، فلما خرج قال : يا غلام، خذ الشَّمْعة بين يديه ، فقال : دَعْنِى أَمْشِ فى ضَوْءِ رضاك، فاستحسن ذلك منه وأمر له بِصِلةٍ حَسَنة .

[الحزين الكنانى وسليمان بن نوفل بن مساحق]

قال أبو على وحدّثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير قال : كان الحزين سأله سليمان آبن نوفل بن مُسَاحِق أن يرثى أباه نَوْفَلا، ففعل فلم يُثِبْه شيئا . قال الزبير : أخبرنى بذلك مصعب آبن عثمان، فقال الحزين :

فما كان من شأنى وشأن آبن نوفل * وشأن بكائى نَوْفَلَ بنَ مُسَاحِقِ

بَلَى إنّها كانت سوابقَ عَبْرة * على نَوْفل من كاذبٍ غيْرِ صادق

فَهَلَّا على قبر الوليد بَكَيْتُها * وقبر سليمان الذى دون دَابِق (١)

وقَبْر أبى حَفْصٍ أخى وأخيكما * بَكَيْت بحُزْنٍ فى الجوانح لاصق

قال الزبير : يعنى بالوليد وسليمان ابْنَىْ عبد الملك . وقال مصعب : يريد بأبى حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، ويريد بقوله أخى وأخيكما يَزِيدَ بن عبد الملك . قال الزبير قال لى يونس بن عبد الله آبن سالم : أراد بأبى حفص سَهْلَ بن عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل العامرى .

***

قال أبو بكر قال الزبير قال الحزين لثابت بن سباع بن عبد العزى حليف بنى زهرة :

كلُّ قُرَيْشٍ قد حَبَانى بِنِعْمةٍ * وأَحْسَنَ إلّا ثابتَ بْنَ سِباع

هَجِينٌ لئيمٌ لا يقوم بِبَيْتِه * وليس بذى فضل ولا بِشُجاع

قال وأنشدنا أحمد قال أنشدنى محمد بن يزيد لأعرابى :

لا تَعْجَبِى يا سَلْمَ من نُحُولى * وَوَضَحٍ أَوْفَى على خَصِيلى

فإن نَعْتَ الفَرَس الرَّجِيل * يَتِمُّ بالغُرَّة والتَّحْجِيل

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لوَضَّاح اليمن :

صَبَا قلبى ومالَ إليك مَيْلا * وأَرَّقَنِى خَيالُك يا أُثَيْلا

يَمَانيَةٌ تُلِمُّ بنا فتُبْدِى * دَقِيقَ محاسنٍ وتُكِنُّ غَيْلا

الغَيْل : الذِّراع الممتلئة لحما .

(١) دابق بكسر الباء وقد روى بفتحها : قرية قرب حلب من أعمال عزاز بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة، وبه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان .

وأنشدنا قال أنشدنى أحمد بن يحيى لأعرابى :

تَبِعْتُ الهوى يا طَيْب حَتَّى كأننى * مِنَ آجْلِك مَضْرُوسُ الجَرِيرِ(١) قَئُود
تَعَجْرَفَ دَهْرًا ثم طاوَعَ قَلْبَــه * فصــرَّفه الرُّوَاض حيث تريد
وان ذِيَادَ الحُبِّ عَنْـكِ وقد بَدَتْ * لعيــنَيَّ آياتُ الهــوى لشــديد
وما كلُّ ما فى النفس يا طَيْب مُظْهَرٌ * ولا كلُّ ما لا تَسْـتَطِيع تَذُود
وانى لأرجو الوصــل منك كما رجا * صَدَى الجَوْف مِنْ بادٍ صَدَاه صَلُود
وكيف طِلَابِى وصلَ مَنْ لو سألتُه * قَذَى العين لم يُطْلِبْ(٢) وذاك زَهِيــد
ومن لو رأى نفسى تَسِيلُ لقال لى * أَرَاكَ صحيحا والفــؤادُ جَلِيــد
فيأَيُّهــا الرِّئْم المُحَــلَّى لَبَانُه * بِكَرْمَيْنِ كَرْمَىْ فِضَّــةٍ وفَــرِيد
أَجَــدَّك لا أَمْشِى بِرَمَّانَ(٣) خاليا * وغَضْــوَرَ(٤) إلَّا قيــل أين تريد

[شىء من أمثال العرب]

قال وحدّثنى محمد بن يزيد قال: من أمثال العرب : «أَرَاكَ بَشَرٌ ما أَحَارَ مِشْفَرٌ» يريد : إذا رأيت جسمه أغناك عن طَعْمِه . ومثله من أمثالهم : «الجَوَادُ عَيْنُه فِرَارُه» يعنى الفرس اذا رأيتــه كَفَاك أن تَفُرَّه . قال وقال أبو إسحاق الأحول : إنمـا هو فُرَاره بضم الفاء، ولم أسمعها أنا إلا بالكسر من محمد بن يزيد .

*
* *

وأنشدنى محمد بن يزيد أيضا لأعرابى :

سَــقْيًا لأيَّامٍ ذَهَبْنَ من الصِّبا * ولَيْــلٍ لنــا بالأَبْرَقَيْن قَصِــير
وتكذيبِ لَيْــلَى الكاشحين وسَيْرِنا * بنَجْــد مَطايانا لغــير مَسِــير
وإذ نَلْبَس الحَوْكَ(٥) الرقيــق وإذ لنــا * جمــامٌ تُرِى المكروه كُلَّ غَيُــور

(١) الجرير: حبل من أدم يخطم به البعير . قال فى اللسان : اذا أرادوا أن يذللوا الجمل الصعب لاثوا على ما يقع على خطمه قِدًّا ، فاذا يبس حزوا على خطم الجمل حزا ليقع ذلك القد عليه اذا يبس فيؤلمه فيذل ، فذلك القد هو الضرس وقد ضَرسته وضرّسته اهـ .
(٢) أطلبه : أعطاه ما طلب .
(٣) رمان : جبل فى بلاد طىء فى غربى سَلْمَى وهو أحد جبــلى طيء .
(٤) غضور : ماء على يسار رمان .
(٥) الحوك : الثياب .

فلما عَلَا الشَّيْبُ الشبابَ وبَشَّرَتْ * ذُرَى الحِلْمِ أعلى لِمَّتِي بِقَتِير
وخِفْتُ انقلابَ الدهرِ أن يَصْدَعَ العصا * وأن تَغْدِرَ الأيامُ غيرَ غَدُور
رَجَعْتُ الى الأولى وفكَّرْتُ فى التى * إليها أو الأخرى يكون مَصِيرى
وليس امْرُؤٌ لاقٍ بَلاءً بيائس * من الله أن يَنْتَاشَه بِجَدِير (١)

قال أبو على قال أبو بكر محمد بن أبى الأزهر أنشدنا الرياشى لرجل من بنى الحارث هذين البيتين :
مُنًى إنْ تكن حَقًّا تَكُنْ أحسنَ المُنَى * وإلا فقد عِشْنَا بها زَمَنًا رَغْدَا
أمانِىُّ من سُعْدَى حِسَانٌ كأنما * سَقَتْكَ بها سُعْدَى على ظَمَإٍ بَرْدَا

[شعر لجران العود]

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى لِجِرَانِ العَوْد :
وَجَدْتُ بَشَاشَةً لَمَّا الْتَقَيْنَا * لأقْضِىَ ما عَلَىَّ من النُّذُور
فلستُ بعائدٍ لَمَّا التقينا * بِرَوْضٍ بين مَحْنِيَةٍ وقُور
إذا قَبَّلْتُها كَرَعَتْ بفيها * كُرُوع العَسْجَدِيَّةِ فى الغَدِير
فيأخذنى العِنَاقُ وبَرْدُ فيها * بِمَوْتٍ فى عِظَامِى أو فُتُور
فنَحْيا تارةً ونموت أخرى * ونَخْلِط ما نُمَوِّت بالنُّشُور
وأَحْتَلُّ (٢) حين أَدْخُل فى حَشَاها * تَحُولَ القِدِّ فى عُنُق الأسير

⁂

قال وحدّثنا الرياشى قال حدّثنا الأصمعى قال : كان معاوية رحمه الله تعالى يقول : أنا للأَنَاة وعَمْرٌو للبَدِيهة، وزياد للصِّغَار والكِبَار، والمُغِيرة للأمر العظيم .

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى لأعرابى من بنى عبد الله بن غَطَفَان، وأنشدنيه بُنْدار بن لُدَّة الكَرْخى لجَمِيل بن مَعْمَر :
ومما شَجَانِى أنها يَوْمَ أَعْرَضَتْ * تَوَلَّتْ وماءُ العين فى الجفن حائر

(١) كذا فى الأصل بالجيم والدال المهملة ولعلها محرفة عن جرير بالراء، وقد تقدّم شرحه فى الصفحة السابقة .
(٢) أحَلَّ : أيبس يريد أنه حين يحضنها يلتصق بها حتى يصير كالقد اليابس اذا دار بعنق الأسير .

فلما أعادت من بعيد بنَظْرة * إلىَّ ٱلْتفاتاً أسْلَمَتْه المَحاجر
يقولون لا تَنْظُرْ وتلك بَلِيَّة * بَلَى كلُّ ذى عينين لا بُدَّ ناظِرُ
أُلَام إذا حَنَّتْ قَلُوصِى من الهوى * ولا ذَنْبَ لى فى أن تَحِن الأباعر

قال وأنشدنا بندار :

أيا حُبَّ لَيْلَى عافِنِي منك مَرَّةً * وكيف تُعَافِينِى وأنت تزيد
ويا حُبَّ ليلى أعطنى الحكم وٱحتكم * عَلَىَّ فما يُبْغَى علىَّ شهود

قال وأنشدنى أحمد بن يحيى لبعض الأعراب :

وفى الموت لى من لَوْعة الحُبِّ راحةٌ * ولَكِنَّنى أخْشَى نَدامَتَها بَعْدِى
أقول لها بُقْيا عليها من الهوى * وَقَاكِ إلَهُ الناس أن تَجِدِى وَجْدِى

قال وأنشدنا :

فَحَتَّى مَتَى أهْوَى أما يَنْفَد الهوى * وحتى متى كَفِّى على موضع القلب
فها أنا للعُشَّاق يا عَزَّ قائدٌ * وبى تُضْرَبُ الأمثال فى الشرق والغرب

قال : وأنشدنا للأقرع بن مُعَاذ القُشَيرى :

ألا أَيُّها الواشى بلَيْلَى ألا ترى * الى مَنْ تَشِى أَوْ مَنْ به جئتَ واشيا
لَعَمْرُ الذى لم يَرْضَ حَتَّى أُطِيعَه * بِلَيْلَى إذًا لا يُصْبِح الدهرَ راضيا
إذا نحن رُمْنا هَجْرها ضَمَّ حُبَّها * حَمِيمُ الحَشا ضَمَّ الجَنَاح الخَوَافِيا

قال وأنشدنا أيضا لنافذ بن عُطَارد العَبْشمى :

ويُذْكى الشَّوقَ حين أقول يَخْبُو * بكاءُ حمامة فَيَلِجّ حِينا
مُطَرَّقة[1] الجَناح إذا ٱسْتَقلَّت * على فَنَنٍ سَمِعْت لها رنينا
يميل بها ويرفعها مرارا * ويَشْغَف صَوْتُها قلبًا حزينا

(١) يقال : طرق جناح الطائر : لبس الريش الأعلى الريش الأسفل ، يريد أن ريش جناحها طراق يعضها فوق بعض .

[قصيدة ليزيد بن الطثرية]

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى ليزيد بن الطَّثَرِيَّة : — وفى هذه القصيدة بيتان ذكر الرِّيَاشى أنهما لجميل بن معمر فى قصيدته —

ألا ياصَبَا نَجدٍ لقد هِجتِ من نَجْد * فَهَيَّجَ لى مَسْرَاكِ وَجْدًا على وجدى

ألا هَلْ من البَيْن المُفرِّق منْ بُدِّ * وهل لليالى قد تَسلَّفْنَ من رَدِّ

وهل مثْلُ أيَّامى بنَعْف سُوَيْقَة(١) * رَوَاجِع أيَّام كما كُنَّ بالسَّعْد

وهل أخْوَاىَ اليوم إن قلت عَرِّجا * على الأَثْل منْ وَدَّانَ(٢) والمَشْرَب البَرْد

مقيمان حَتَّى يَقْضِيَا لى لُبانَةً * فيستوجبا أجرى ويستكملا حمدى

وإلَّا فَرُوحَا والسَّلامُ عليكما * فما لكُما غَيِّى وما لكُما رشدى

وما بيَدَىَّ اليومَ منْ حَبْلِىَ الذى * أُنَازع من إرْخائه لا ولا شَدِّ

ولكن بِكَفِّى أُمِّ عَمْرٍو فليتها * اذا وَلِيَتْ رَهْنًا تَلِى الرَّهْن بالقَصْد

ويا ليت شعرى ما الذى تُحدِثَنَّ لى * نَوَى غُربة بَعْدَ المشقة والبُعْد

نوى أم عمرو حيث تَغْتَرِب النوى * بها ثم يخلو الكاشِحُون بها بَعْدِى

أتَصْرِمُ لِلائى الَّذِينَ هُمُ(٣) العِدَا * لِتُشْمِتَهم بى أم تَدُوم على الوُدِّ

وظَنِّى بها والله أن لن يَضِيرنى * وُشاةٌ لديها لا يَضِيرونها عندى

وقد زعموا أن المُحِبَّ إذا دَنا * يَمَلُّ وأن النَّأْى يَشْفِى من الوَجْد

بكُلٍّ تَدَاوَيْنا فلم يُشْفَ ما بنا * على أن قُرْبَ الدار خيرٌ من البُعْد

هَوَاىَ بهذا الغوْرِ غَوْرِ تِهامةٍ * وليس بهذا الجَلْسِ(٤) من مُسْتَوَى نَجْد

فوالله رَبِّ البيت لا تَجِدِينَنى * تَطَلَّبْتُ قَطْعَ الحَبْل منك على عَمْد

ولا أشترى أمرا يكون قَطيعة * لما بيننا حَتَّى أُغَيَّب فى لَحْدى

(١) نعف سويقة : موضع ذكره ياقوت ولم يبينه ، وقد ورد فى قول الأحوص :

وما تركت أيام نعف سويقة * لقلبك من سلماك صبرا ولا عزما

(٢) قال أبو زيد : ودان من الجحفة على مرحلة بينها وبين الأبواء على طريق الحاج فى غربيها ستة أميال .

(٣) هكذا فى الأصل ، ولعل الثانى بدل من الأول وإن اختلف المدلول كما لا يخفى . (٤) الجلس : الغليظ من الأرض .

فمن حُبِّها أحببت من ليس عنده * يَدٌ بِيَدٍ تُجْزَى ولا مِنَّة عندى
ألا رُبَّما أَهْدَى لى الشوقُ والجوَى * على النأى منها ذُكْرةٌ قلَّما تُجْدى

[رواة الشعر ورواة الحديث]

قال وحدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنى يحيى بن سعيد القطان قال : رُواة الشِّعرِ أعقل من رواة الحديث، لأن رواة الحديث يروون مصنوعا كثيرا ، ورواة الشعر ساعةَ يُنْشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع .

* * *

قال وحدثنى محمد بن يزيد قال : كنت بِسُرَّ مَنْ رَأى أيام المتوكل، وكانت الجيوش متكاثفة، فما كان أحد من مُرَّار الطريق يَعْدَم حَصاة تتلقاه من خَذْف حوافر الخيل، فأنشدنى بعضهم :

لا تَقْعُدَنَّ بِسامَرًّا على الطُّرُق * إن كنتَ يوما على عينيك ذا شَفَق
حَوافِرُ الخيل أقْواسٌ وأَسْهُمُها * صُمُّ الحجارة والأغْراضُ فى الحَدَق

ويروى : مُلْسُ الحجارة .

قال وقال لنا الرياشى قال العتبى قال رجل من محارب يُعزِّى ابن عم له على ولده :

وإنَّ أخاك الكارِهَ الوِرْدِ وَارِدٌ * وإنك مَرْأى من أَخيك ومَسْمَعُ
وإنك لا تَدْرِى بأَيَّةِ بَلْدة * صَدَاك ولا عن أىّ جَنْبَيْك تُصْرَع
أَتَجْزَع إن نَفْسٌ أتاها حِمامُها * فهَلَّا التى عن بينَ جَنْبيك تَدْفَعُ [1]

قال وقال الرياشى : أنشدنى العتبى لرجل من بنى دارم لابن عم له [2] يعاتب قريبه :

تَطَلَّعُ منه بِغضةٌ ما يُجِنُّها * الىَّ ودُونى غَمْرة ما يَخُوضُها
وَجَدْتَ أباك شانِئًا فشَنِئْتَنى * شَبِيهٌ بفَرْخٍ بَيْضةٍ من يَبِيضُها

---

(١) ذكر ابن هشام فى المغنى من أوجه عن أن تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة ، واستشهد بقوله : أتجزع ان نفس البيت ، ثم قال قال ابن جنى : أراد فهلا تدفع عن التى بين جنبيك ، فحذفت عن من أول الموصول وزيدت بعده .

(٢) المراد أن الشاعر وهو رجل من بنى دارم يعاتب بهذا الشعر ابن عم له .

[رؤيا إسحاق الموصلى أن جريرا يدس فى فمه كبة شعر]

قال وحدّثنا حمـاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصـلى قال حدّثنى أبى إسحاق قال : رأيت فى منامى كأنَّ شيخا دَخَل علىَّ وفى يده كُبَّة شَـعَر فجعل يَدُسُّها فى فىّ ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا جَرِير ، فقَصَصْت الرؤيا على أبى ، فقال : إنْ صدقت رؤياك زِلْتَ من الشِّعر حاجتك ، قال حماد قال أبى : فرأيت رجلا أشبه الناس بذلك الشيخ ، فسألته عن نسبه ، فإذا هو عمارة بن عُقَيل بن بلال بن جرير .

*
* *

وقرأت عليه قال حدّثنى أبى قال : قيل لعَقِيل بن عُلَّفة وأراد سفرا : أين غَيْرتُك على من تُخَلِّف أهْلَك ؟ قال : أُخَلِّف معهم الحافِظَيْن : الجُوعَ والعُرْىَ ، أُجيعهُنّ فلا يَمْرَحْنَ ، وأُعْرِيهنّ فلا يَبْرَحْنَ .

وأنشدنا حَمَّاد قال أنشدنى أبى إسحاق :

لا يَمْنَعَنَّك من بِغَا * ءِ الخَيْر تَعْقادُ التَّمَائمْ (١)
ولا التَّشَاؤم بالعُطَا * س ولا التَّقَسُّم بالأزالم
ولقد غَدَوْتُ وكُنْتُ لا * أَغْدُو علَى واقٍ (٢) وحاتم (٣)
فإذا الأشـائم كالأيا * من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خَيْرٌ ولا * شَرٌّ على أحـد بدائم
قد خُطَّ ذلك فى الزُّبُو * ر الأَوَّلِيَّات القَدائم

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لأعرابى :

إن الضُّيوف تَحَامَوْنِى وحَقَّ لهم * ما مِنْهُـم لإبِلى يوما ولا شائى
إذا الضَّرِيكُ (٤) عَرَانا بات ليلتَـه * دون البيـوت بلا خُبْزٍ ولا ماء

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

وكُلُّ لَذاذةٍ سَتُمَـلُّ إلا * مُحادَثَةَ الرجال ذوى العقول
وقـد كنّا نَعُدُّهم قليـلا * فقد صاروا أقلَّ من القليل

(١) الشعر لمرقش السدوسى وقيل هو لخُزَز بن لَوْذان كما فى اللسان مادة حتم . (٢) الواق : الصرد ، قال أبو الهيثم : قيل للصرد واق لأنه لا ينبسط فى مشيه فشبه بالواقى من الدواب اذا حفى . (٣) الحاتم : الغراب الأسود أو غراب البين وهو أحمر المنقار والرجلين . (٤) الضريك : الفقير السيئ الحال .

قال وقال المِسْمَعى أنشدنى دماذ : — والشعر لبَشّار بن بُرْد —

شَطَّ بسَلْمَى عاجلُ البَيْنِ * وجاورتْ أَسْدَ بنى القَيْنِ
وحَنَّتِ النَّفس لها حَنّةً * كادت لها تَنْقَدُّ نصفين
يابنة من لا أشتهى ذكره * أَخْشَى عليك عُلَق الشَّيْن
طالَبَها قلبى فَرَاغَتْ به * وأَمْسَكَتْ قلبى مع الدَّيْن
فكنتُ كالهِقْلِ[1] غدا يَبْتَغِى * قَرْنًا فلم يَرْجِعْ بأُذْنَيْن

[حديث ٱبنة الخس مع أبيها]

قال أبو على وحدّثنا أبو بكر محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمر بن إبراهيم السعدى ثم الغُوَيْثى قال : قال لابنة الخُسّ أبوها يوما : أىُّ شىء فى بطنك؟ أخبرينى به وإلا ضربت رأسك ، فقالت : أرأيتك إن أخبرتك بما فى بطنى أَيَكُفُّ ذاك عنى عَذَابَك اليوم ؟ قال : نعم ، قالت : أَسْفَلُه طعام، وأعلاه غلام؛ فاسأل عما شئت . قال : أىُّ المال خير؟ قالت : النَّخْل، الراسخاتُ فى الوَحْل، المُطْعِمات فى المَحْل؛ قال : وأىُّ شىء ؟ قالت : الضأن قَرْيةٌ لاوَبَاءَ بها، تُنْتِجها رُخَالًا[2]، وتَحْلُبها عُلالا، وتَجُزُّ لها جُفَالًا[3]، ولا أرى مثلها مالا؛ قال : فالإبلُ مالَكِ تُؤَخِّرينها ؟ قالت : هى أذكار الرجال، وأرقاء الدماء، ومُهُور النساء، قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خَيْرُ الرجال المُرْهَقُون كما * خير تِلَاع الأرض أَوْطَؤُها[4]

قال : أيُّهم ؟ قالت : الذى يُسْئَل ولا يَسْأل، ويُضِيف ولا يُضَاف، ويُصْلِح ولا يُصْلَح ، قال : فأَىُّ الرجال شر؟ قالت : الثُّطَيْط النُّطَيْط ، الذى معه سُوَيْط؛ الذى يقول : أدركونى من عبد بنى فلان فإنى قاتله أو هو قاتلى . قال : فأى النساء خير؟ قالت : التى فى بطنها غلام ، تحمل على وركها غلام[5]، يمشى وراءها غلام . قال : فأى الجمال خير ؟ قالت: السِّبَحْل الرِّبَحْل، الراحلة الفَحْل؛ قال : أرأيتَك الجَذَع؟ قالت : لايَضْرِب ولا يَدَع . قال : أرأيتك الثَّنِي؟ قالت : يَضْرِب وضِرَابُهُ

(١) الهقل : الفتىّ من النعام . (٢) الرخال : جمع رخل بالكسر وبهاء وككتف : الأنثى من ولد الضأن .
(٣) أى تجز مرة وذلك أن الضائنة إذا جزت لم يسقط من صوفها شىء الى الأرض حتى يؤتى عليه . (٤) فى اللسان مادة رهق أنه لابن هرمة ، وقد رواه : * خير تلاع البلاد أكلؤها * وهو الذى يستقيم به الوزن . (٥) كذا بالأصل والإعراب يقتضى النصب ولعله وقف عليها بالسكون .

وَفِىّ — قال أبو على : الصواب أَنِىٌّ أى بطىء — قال : أرأيتَـك السَّدَس؟ قالت : ذاك العَرَس .
قال أبو عبد الله : الثُّطَيْط : الذى لا لحية له . والنُّطَيْط : الهِذْريان وهو الكثير الكلام يأتى بالخطإ والصواب عن غير معرفة . والسِّبَحْل والرِّبَحْل : البَجيل الكثير اللحم .

[خروج كلاب بن أمية فى البعث وما دار بين أبيه و بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه]

قال وقال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك قال حدّثنى عبد العزيز بن محمد عن هشام ابن عروة عن أبيه : أن كِلَاب بن أُمَيَّة بن الأسكر خرج فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وأمية يومئذ شيخ كبير، وخرج معه أخ له آخر، فانبعث أمية يقول :

يا أم هَيْـثَم ماذا قلت أبلانى * رَيبُ المَنون وهـذان الجديدان
إمّا ترَىْ حَجَرى قد رَكَّ[1] جانبُـه * فقـد يسُرُّك صُلْباً غيرَ كَذّان[2]
إمّا ترَيْنِىَ لا أَمضِى الى سَـفَر * إلّا معى واحدٌ منكم أو اثنـان
ولست أهدى بلادا كنت أسكنها * قد كنت أهدى بها نفسى وصُحبانى[3]
يا ابنَىْ أُمَيَّـة إنى عنكما غانى * وما الغِنَى غيرَ أنّى مُرْعَشٌ فانى
يا ابنى أمية إن لا تَشْهَدَا كِبَرى * فإن نَأْيَكما والثُّكْل مِثْلان .
إذ يَحمِل الفَرَسُ الأَحْوَى ثلاثَتنا * واذ فِـراقُكما والموتُ سِيّان
أصبحتُ هُزْءًا لراعى الضّأن أُعجِبُه * ماذا يَرِيبُـك منّى راعِىَ الضان
انْعَقْ بضأنِك فى نَجْـمٍ تُحَفِّره * من الأباطح واحْبِسْها بجُـدْدان
إن تَرْعَ ضأنا فإنّى قـد رَعَيْتُهم * بِيضَ الوُجوه بَنِى عَمّى وإخوانى

وقال أيضا :

لِمَنْ شَيْخان قد نَشَدَا كِلابا * كِتابَ الله إن رَقَبَ الكِتابا
تُنَفِّضُ مَهْـدَه شَفَقًا عليه * وتَجْنُبُه أبا عِرَنا الصِّـعابا
اذا هَتَفَتْ حَمامةُ بطن واد * على بَيْضاتهـا دَعَوَا كِلابا

(١) رك : ضعف وانهار . (٢) الكذان : الرخو . (٣) كذا فى الأصل بالدال المهملة فى هذين الفعلين ولتحرر الرواية .

تَرَكْتَ أباك مُرْعَشَةً يداه * وأُمَّكَ ما تُسيغ لهـا شرابا
أُناديــه وَيَولّانى قَفَـاه * فلا وأبى كلاب ما أصابا
فانَّ مُهاجِرَيْن تَكَنَّفاه * لَيَـتْرُكَ شَيْخه خَطِئا وخابا
وإن أباك حَيْثُ عَلِمْتُماه * يُطـارِد أَيْنُقاً شُسُباً[١] طِرَابا
إذا بَلَغ الرَّسِيم فكان شَـدًّا * يَخِرُّ تَخَالَط الذَّقَنُ الـترابا

فلما أنشدها عمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنه ، كتب الى سـعد بن أبى وقاص : أن رَحِّلْ كِلَاب بن أُمَيَّة بن الأسكر، فَرَحَّله . فقدم على عمر بن الخطاب فأمر به فأُدْخِل، ثم أرسل الى أمية فتحدّث معه ساعة، ثم قال : ياأبا كلاب، ما أَحَبُّ الأشياء اليك اليوم؟ قال : ما أحب اليوم شيئا، ما أَفْرَح بخير، ولا يَسُوءُنى شر، فقال عمر رضى الله عنه : بلى علىّ ذلك، قال : بلى، كِلَابٌ أُحِبُّ أنه عندى فأَشُمّــه ، فأمر بكلاب فأخرج اليه، فلما رآه الشيخ وثب إليه فجعل يشمه ويبكى، وجعل عمر رضى الله تعالى عنه أيضا يبكى .

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى لعبد الله بن حسن أو لبعض الهاشميين :

لا خير فى الوُدِّ مِمَّن لا تَزَالُ له * مُسْتَشْعِرًا أبدا من خِيفةٍ وَجَلا
إذا تَغَيَّب لم تَــبْرَح تُسِيء به * ظَنًّا وتسأل عمــا قال أو فعــلا

[حديث الأصمعى فى تطوافه مع رجل من ولد حاتم وامرأة من ولد ابن هرمة]

قال أبو على : وقرأت عليه قال حدّثنى أبو العباس محمــد بن يزيد الأزدى قال حدّثنى أبو عثمان المـازنى عن الأصمعىّ قال : سرت فى تَطْوَافى فى العرب بِجَبَلَىْ طيِّئ ، فَدَفَعْتُ الى قوم منهم يَحْتَلِبون اللّبن ثم يَصيحون : الضَّيْفَ الضيف، فإن جاء من يَضِيفُهم وإلا أراقوه فلا يَذُوقون منه شيئا دون الضيف الا أن يَجْهَدَهم الجوع، ثم دَفَعْتُ الى رجل من ولد حاتم بن عبـد الله فسألته القِرَى، فقال: القرى والله كثير، ولكن لاسبيل اليه . فقلت : ما أحسب عندك شيئا ، فأَمَرَ بالجِفَان فأُخْرِجت مُكَرَّمة بالثريد عليها وَذَرُ[٢] اللحم ، وإذا هو جادٌّ فى المنع ، فقلت : والله ما أشبهت أباك حيث يقول :

(١) شسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس من الضمر . (٢) وذر : جمع وذرة وهى قطعة اللحم الصغيرة لاعظم فيها أو ماقطع منه مجتمعا عرضا .

وأُبرِزُ قِدرى بالفِناء قليلُها * يُرَى غيرَ مَضْنون به وكثيرُها

فقال : إلّا أُشْبِهْهُ فى هذا فقد أشبهته فى قوله :

أَمَاوِىَّ إمّا مانعٌ فَمُبِينٌ * وإمّا عطاء لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْر

فانا والله مانع مبيّن، فرحلت عنه ودَفَعْت الى آمرأة من ولد آبن هَرْمة فسألتها القِرَى، فقالت : إنى والله مُرْمِلة مُسْنِتَة ما عندى شيء، فقالت : أَمَا عِندَكِ جَزُور؟ فقالت : والله ولا شاة ولا دَجاجة ولا بَيْضة، فقلت : أَمَا آبن هَرْمة أبوكِ؟ فقالت : بلى، والله إنّى لَمِنْ صَميمهم ،قلت : قاتل الله أباك! ما كان أكذبه حيث يقول :

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصَال ولا * أَبْتَاع إلّا قَرِيبةَ الأَجَل

إنى إذا ما البخيل آمَنَهَا * باتت ضَمُوزًا منّى على وَجَل

وَوَلَّيْت، فنادت : اِرْبَعْ أيها الراكب، فعلُه والله ذلك أَقَلَّه عندنا، فقلت : إلّا تكونى أَوْسَعْتِينا قِرًى فقد أوسعتينا جوابا .

يقال : ضَموز[(١)] بالفتح للواحدة، وضُمُوز بالضم للجماعة .

⁂

وحدّثنا قال قال الزبير حدثنى آبن يحيى بن محمد قال حدثنى عمى عن إبراهيم بن محمد قال : نزلت بأبيات آبن هرمة بعد أن هلك، فرأيت حالهم سيئة، فقلت لبعض بناته : قد كان أبوكنّ حسن الحال فما ترك لكن شيئا؟ قالت : كيف وهو الذى يقول :

لا غَنَمِى مُدّ فى البقاء لها * إلّا دِراكَ القرى ولا إبلى

ذاك أفناها ذاك أفناها .

قال وأنشدنى محمد بن يزيد لعبد الصمد بن المُعَذَّل :

هى النفس تَجزِى الوُدَّ بالودّ أهلَه * وان سُمْتَها الهِجْرانَ فالهجرُ دِينُها

إذا ما قَرِينٌ بَتَّ منها حِبَالَه * فأَهْوَنُ مَفْقودٍ عليها قَرِينُها

لَبِئْس مُعَارُ الوُدّ مَنْ لا يَرُبُّه * ومُسْتَوْدَعُ الأسرار من لا يَصُونها

(١) يقال : ناقة ضامز وضموز : تضم فاها لا تسمع لها رغاء .

وقال وحدثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدثنا أبو العباس قال حدثنى آبن عائشة فى إسناد ذكره قال قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : مِنْ أعجز الناس مَنْ عَجَز عن آكتساب الإخوان ، وأَعْجَزُ منه مَنْ ضيع من ظَفِرَ به منهم .

وقال معاوية رحمه الله تعالى : الرَّجُلُ بلا إخوان كيمين بغير شمال .

قال وأنشدنا أبو العباس :

وكنتُ إذا الصَّديقُ أراد غَيْظى * وأشْرَقَنى على حَنَقٍ بِرِيقى

غَفَرْتُ ذُنوبَه وصَفَحْتُ عنه * مَخافةَ أن أعِيش بلا صديق

قال وأخبرنا آبن أبى الأزهر قال أخبرنا أبو عبد الله قال : دعا مالك بن أسماء بن خارجة جاريةً له لتَخْضِبَه ، فقالت : كَمْ أَرْقَع خَلَقَك؟ فقال :

عَيَّرْتِنِى خَلَقًا أَبْلَيتُ جِدَّتَه * وهل رأيتِ جديدا لم يَعُدْ خَلَقًا

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لدعبل بن على الخزاعى :

نَعَوْنِى ولَمَّا يَنْعَنِى غيرُ شامتٍ * وغيرُ عَدُوٍّ قد أُصِيبت مَقاتِلُهْ

يقولون إن ذاق الردى مات شعْرُه * وهيهات عُمْرُ الشِّعر طالت طوائله

سأَقْضِى ببيتٍ يَحْمَدُ الناسُ أمرَه * ويكثر من أهل الرواية حامِلُهْ

يموت ردىء الشِّعْر مِنْ قبل أهله * وجَيِّدُه يَبْقَى وإن مات قائله

قال أبو العباس : وأخذ هذا المعنى أيضا من نفسه ، فقال فى قصيدة أولها هذه الأبيات :

إذا غَزَوْنا فَغَزانا بأَنْقِرَةٍ * وأهلُ سَلْمَى بِسِيفِ البحر من جُرُتِ[1]

هَيْهَاتَ هيهات بين المَنْزِلَيْن لقد * أَنْضَيْتُ شوقى وقد طَوَّلْتُ مُلْتَفَتِى

أحببتُ أهلى ولم أَظْلِم بحُبِّهم * قالوا تَعَصَّب جَهْلا قولَ ذى بَهَت

لَهُمْ لسانى بتقريظى ومُمْتَدَحِى * نَعَمْ وقلبى وما تحويه مَقْدُرَتى

دَعْنى أَصِلْ رَحِمى إن كنتَ قاطعَها * لابُدَّ للرَّحِم الدُّنيا من الصِّلة

فاحفظ عشيرتك الأَدْنَيْن إنَّ لهم * حَقًّا يُفرِّق بين الزَّوْج والمَرَت

(١) جُرُت بضم فسكون قرية من قرى صنعاء باليمن وقد حرك لضرورة الشعر .

قَوْمِى بَنُو حِمْيَرٍ والأَزْدُ إخوتُهم * وآلُ كِنْدة والأحْياءُ من عُلَت
ثُبْتُ الحُلوم فإن سُلَّتْ حَفَائظهم * سَلُّوا السيوفَ فأَرْدَوْا كلَّ ذى عَنَت
نَفْسِى تُنَافِسُنِى فى كلّ مَكْرُمة * الى المعالى ولو خالفْتُها أبتِ
وكم زَحَمْتُ طريق الموت مُعْتَرِضا * بالسيف ضَيقًا فأدّانى الى السَّعَت
قال العواذل أَوْدَى المالُ قلت لهم * ما بين أجْرٍ ونَفْرٍلى ومَحْمَدت
أَفْسَدْتَ مالَك قلت المالُ يُفْسِدنى * إذا بَخِلْتُ به والجود مَصْلحتى
لاتعْرِضَنَّ بمَزْحٍ لامرئ طَبِنٍ[1] * ماراضَه قلبه أَجْراه فى الشَّفَت
فرُبَّ قافيةٍ بالمَزْح قاتلة * مَشْئُومةٍ لم يُرَدْ إنماؤُها نَمَت
رَدُّ السَّلَى مُنْتَتًّا بعد قطعته * كَرَدِّ قافيةٍ من بعد ما مَضَت
إنّى إذا قلت بيتا مات قائله * ومَن يُقال له والبَيْتُ لم يَمُت

قال وقال أنشدنى الرياشى لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل

غَدَرَ ٱبن جُرْمُوزٍ بفارس بُهْمةٍ * يومَ اللقاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ[2]
يا عمرو لو نَبَّهتَه لوجدتَه * لاطائشا رَعِشَ الجَنَان ولا اليد
ثَكِلَتْك أُمُّك إن قتلتَ لَمُسْلِما * وَجَبَتْ عليك عُقوبةُ المُتَعَمِّد

قال وقال حدّثنى الرياشى قال حدّثنا الأصمعىّ عن ٱبن عون قال : رأيت قاتل الزبير وقد حَمَل عليه الزبير، فقال له : أَنْشُدك اللهَ، قال : ثم حمل عليه الزبير، فقال : أَنْشُدك الله ثلاثا، فلما ٱنصرف عنه حمل على الزبير، فقال الزبير : قاتله الله! يُذَكِّر بالله ويَنْساه! .

قال وقال حدّثنى الرياشى عن الأصمعىّ عن ٱبن أبى الزناد قال أُنْشِد ابن عمر قولَ حسان بن ثابت الأنصارى :

يَأْبَى لِيَ السَّيفُ واللسانُ وقَوْ * م لم يُضَامُوا كَلِبْدةِ الأَسَد

فقال ٱبن عمر : أفلا قال : يأبى لى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) فى نسخة راده بدال مهملة وكلاهما له معنى صحيح لحرر الرواية . (٢) يقال : عرد الرجل عن قرنه إذا أحجم عنه ونكل .

قال وقال أنشدنا الرياشي قال أنشدني مؤرج لنفسه :

فُزِّعْتُ بالبَيْنِ حتى ما يُفَزِّعني * وبالمصائب في أهلي وجيراني

لم يترك الدهرُ لي عِلْقًا أَضَنُّ به * إلا اصْطفاه بموت أو بهجران

قال ثم قتل[1] أمير المؤمنين الزبير، فقمت فما التقينا .

قال وأخبرنا الزبير قال حدثني أخي هارون عن عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المُسَاحِقي عن ابيه عن وهب بن مسلم عن أبيه قال : دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق، فمررنا بسعيد بن المسيب فسلمنا عليه فردّ، ثم قال : ياأبا سعيد، مَنْ أشعَرُ أصاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرُّقَيَّات، فقال له ابن مساحق : حين يقولان ماذا؟ قال : حين يقول صاحبنا :

خليلَيَّ ما بالُ المَطَايا كأننا * نَرَاها على الأدبار بالقوم تَنْكُص

وقد أَتْعَبَ الحادي سُرَاهنّ وانْتَحَى * بهنّ فما يألو عَجُولٌ مُقَلِّص

يَزِدْنَ بنا قُرْبًا فيَزْداد شَوْقُنَا * إذا زاد قربُ الدار والبُعْدُ يَنْقُص

وقد قُطِّعَتْ أعناقُهن صَبابةً * فأَنْفُسُها مما تُكَلَّف شُخَّص

ويقول صاحبكم ما شاء، فقال له نوفل : صاحبُكم أشْعَر بالغَزَل وصاحبُنا أكثر أفانينَ شِعْر ، فلما انقضى ما بينهما استغفر الله سعيد مائة مرة يَعُدُّ بالخَمْس .

قال أبو علي أنشدني أبو بكر محمد بن أبي الأزهر قال أنشدني أحمد بن إسحاق أبو المُدَوَّر قال أنشدني ابن الاعرابي : — واسمه محمد بن زياد —

ولئن سَأَلْتَ بني سُلَيْم أيّنا[2] * أَدْنَى لكل أُرُومة وفَعَال

لَيُنَبِّئَنَّك رَهْط مَعْنٍ أنهم * بالعلم للأَنْقَوْنَ من سِمَّال[3]

(١) هكذا في الأصل ولا ارتباط بين هذه العبارة وما قبلها، فلعل هنا كلاما سقط من الناسخ. (٢) الأبيات للفرزدق، راجع كتاب النقائض طبع مدينة ليدن ص ٢٧٨ (٣) هو سمال بن عوف جد لمجاشع بن مسعود الصحابي وهو أبو قبيلة، سمي بذلك لأنه لطم رجلا فسمل عينه .

إن السماء لنا عليك نجومها * والشَّمْس مُشْرقةٌ وكلُّ هلال

تبْكى المَرَاغة بالرِّغام على أبنها * والنائحات يَهِجنَ بالأعوال

سُوقى النَّواهِق ماتَ مَنْ يَبْكِينه * وتَعرَّضى لِمُصَعِّد القُفَّال

قال محمد : رأيته فى شعر الفرزدق : مصاعد ، ورأيت فى شرح البيت : النواهق والناهقات : ذُكْران الحمير، يقول : مات من يبكيه إلا الحَمِير .

وسَرَتْ مَدَامعُها تنوح على ابنها * بالرَّمْل قاعدةً على جَلَّال[1]

قال محمد : ولم يأت هذا البيت فى القصيدة .

قالوا لها احْتَسِبِى جَرِيرًا إنه * أوْدَى الهِزَبْرُ به أبو الأشْبَال

ألقى عليه يَدَيْه ذو قُومِيَّةٍ[2] * وَرْدٌ فَدَقَّ مَجَامِعَ الأوصال

قد كنتُ لو نَفَع النَّذِيرُ نَهيتُهُ * ألّا يكون فَريسة الرِّئْبال[3]

انّى رأيتك اذ أَبَقْتَ فلم تَئِلْ * خَيَّرْتَ نفسَك من ثلاث خِلَال

بين الرُّجوع الىَّ وهى بَغِيضةٌ * فى فيك مُدْنيةٌ من الآجال

أو بين حَىِّ أبى نَعَامةَ هاربا * أو باللَّحاق بِطَيِّئٍ الأجبال

يريد بِحَىِّ أبى نَعامة : اذ هو حَىٌّ، يقال : فَعَلْتُ ذلك فى حَىِّ فلان أى وفُلان حَىٌّ . وأبو نَعامة : قَطَرِىُّ بن الفُجاءة من بنى مازن .

فاسأل فإنَّك من كُلَيْبٍ واتَّبِعْ * بالعسكرين بَقِيَّةَ الأطلال

واسأل بقومك ياجَرِيرُ ودارِمٍ * مَنْ ضَمَّ بطنُ مِنًى من النُّزَّال

النُّزَّال ها هنا : الحُجَّاج، قال عامر بن الطُّفيل :

أنازلةٌ أسْمَاءُ أم غير نازله * أبِينِى لنا يا أسْمَ ما أنتِ فاعلهْ

تَجِد المَكارم والعَدِيدَ كِلَيْهما * فى مالك ورَغائبَ الآكال

---

(١) جلال كشداد : طريق نجد الى مكة . (٢) القومية : القوام . (٣) الرئبال : الأسد .

*
* *

قال وقال: وأنشدنى أبو على أحمد بن إسحاق:

وأَبْيَضَ يَغْشَى المُعْتَفُونَ فِناءه * له حَسَبٌ زاكٍ ومَجْدٌ مُؤَثَّل

ولا تَكْرَه الجاراتُ أن يَعْتَفِينَه * اذا قام بالعبد الأسيرُ المُرَجَّل

قال: الأسير المُرَجَّل: الزِّق، يريد أن يشترى زِقًّا بعبد.

[تفسير قوله تعالى (وأنتم سامدون)]

قال ابن الأعرابى فى قول الله عز وجل: (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) قال: السامد: المُنْتَصِب هَمًّا وحزنا، وأنشد للكُمَيت بن معروف الأسدى:

رَمَى(١) المِقْدَار نِسْوَةَ آلِ حَرْب * بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ له سُمُودا

فَرَدَّ شعورَهُنَّ السُّود بيضا * وردَّ خُدودَهُنَّ البِيضَ سُودا

فانك لو شَهِدْت بكاءَ هِنْد * ورَمْلَة اذ تَصُكَّانِ(٢) الخدودا

بَكَيْتَ بكاءَ مُعْوِلَة حَزِين * أصاب الدهرُ واحدها الفقيدا

*
* *

قال أبو على قال أبو بكر: وأنشدنى محمد بن يزيد:

اذا لم تَصُنْ عِرْضا ولم تَخْشَ خالقا * وتَسْتَحْيِ مخلوقا فما شِئْتَ فاصنع

قال: وأنشدنى مسعود بن بشر لقريف الكلبي:

أنّى امرؤ نَبَهٌ وان عَشِيرتى * كَرَمٌ وان سماءهم تُسْتَمْطَرُ

حَدِبُوا عَلَىَّ كما حَدِبْتُ عليهم * فلئن نَخَرْتُ بهم لَنِعْمَ المَفْخَر

قال قال: وأنشدنى محمد بن يزيد قال: أنشدنى دعبل لرجل من أهل الكوفة فى امرأته وقد(٣) تزوجت غيره:

اذا ما نَكَحْتِ فَلَا بالرِّفاء * وإمَّا ابْتَنَيْتِ فلا بالبَنِينا

---

(١) المشهور فى كتب اللغة وغيرها رمى الحدثان الخ، ولعلهما روايتان. (٢) تصكان الخدود: تلطانها.

(٣) ذكر فى اللسان فى مادة حرم عن ابن برى أن الشعر لرجل خطب امرأة من قومه فردّته.

تَزَوَّجتِ أَصْلَعَ فى غُرْبَةٍ * تُجَنُّ الحَلِيلَةُ منه جُنُونا
اذا ما نُقِلْتِ الى بَيْتِه * أَعَدَّ لجنبيك سَوْطا مَتِينا
يُشَمِّك أخبثَ أعراضِه (١) * اذا ما دَنَوْت لِتَسْتَنْشِقِينا
كأنَّ المَساوِيكَ فى شِدْقِه * اذا هُنَّ أُكْرِهْنَ يَقْلَعْنَ طِينا

قال أبو على : وأنشدنا قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال أنشدنى العتبى فى السَّرِىّ بن عبد الله ابن الحارث :

كأنَّ الذى يأتى السَّرِىَّ لحاجة * أناخ اليه بالذى كان يَطْلُب
اذا ما ابنُ عبد الله خَلَّى مَكانَه * فقد حَلَّقَتْ بالجُود عَنْقاءُ مُغْرِب

قال وقال لى محمود بن يزيد : ما سمعت أهجى من هذا البيت ، وأنشدنيه لأخى دعبل بن على الخزاعى

قَوْمٌ اذا ذُعِرُوا أو نابهم فَزَعٌ * كانت حُصُونَهُمُ الأعراضُ والحُرَم

قال : وأنشدنى محمد بن يزيد قال : أنشدنى بلال بن هانئ بن عُقَيل بن بلال بن جرير لجَمَاهِر ابن عبد الحكيم الكلبى :

قَضَى كلُّ ذى دَيْنٍ ووَفَّى غَرِيمَه * ودَيْنُك عند الزاهرية ما يُقْضَى
أُكاتِم فى حُبِّى ظريفة بالتى * اذا استبصر الواشون ظَنُّوا به بُغْضا
صُدُودا عن الحىِّ الذين أوَدُّهم * كأنى عَدُوٌّ لا يَطُور (٢) لهم أرضا
ولم يَدْعُ باسم الزاهرية ذاكرٌ * على آلةٍ الا ظَلِلْنا لها مَرْضَى
وما نَقَع الهَيْمان بالشرب بعدهم * ولا ذاقت العينان مذ فارقوا غُمْضا
فلا وَصْلَ الا أن تُقَرِّب بيننا * غُرَيْرِيَّة تشكو الأخِشَّة (٣) والغَرْضا (٤)

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد قال أنشدنى التوّزى عن الأصمعى لنافع بن خليفة الغَنَوِى :

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالعمائم لُؤْمَها * وكيف يُغَطِّى اللؤمَ طَىُّ العمائم
فان تَضْربونا بالسِّيَاط فاننا * ضَرَبْناكُم بالمُرْهَفات الصوارم

(١) أعراض : جمع عرض وهو الجسد ومنه الحديث (يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك) . (٢) لا يطور لهم أرضا : لا يحوم حولها . (٣) الأخشة : جمع خشاش بالكسر وهو ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب .
(٤) الغرض للرحل كالحزام للسرج .

وان تَحْلِقُوا منا الرءوس فاننا * حَلَقْنا رءوسا باللِّحى والغَلاصم
وان تَمْنَعوا منا السلاح فعندنا * سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدراهم
جَلاميد أَمْلاءُ الأَكفّ كأنها * رءوس رجالٍ حُلِّقَتْ فى المَوَاسم

قال وقال أنشدنا محمد بن يزيد :

فلا هَجْرَ القِلَى هَجَرْتُكَ نفسى * ولا هَجَرَتْكَ هِجْران الدَّلال
ولكنّ المَلال سَمَا اليها * فعاذَتْ بالصُّدود من الملال
وشَجَّعنى على الهِجْران أنى * رأيتك حين أهجُرُ لا تبالى
فَدَيْتُك لا أبالى سوء حالى * اذا ما كُنْتَ أنت بخير حال
سأَمْنَحُ بعدك الإخوان هجرا * وأَقْلِى الوصل غابرةَ الليالى

[إنشاد حسان بن ثابت شيئا من شعره للنابغة وثناؤه عليه وعلى الخنساء]

قال أبو على : قرأت على أبى بكر محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزومى عن رجل من الأنصار نسى اسْمَه قال : جاء حسان بن ثابت رضى الله عنه الى النابغة، فوجد الخنساءَ حين قامت من عنده، فأنشده قوله :

أولاد جَفْنَةَ حَوْلَ قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المُفْضِل
يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهم * بَرَدَى يُصَفَّق بالرَّحيق السَّلْسَل
يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابهم * لا يسألون عن السَّواد المُقْبِل

... الأبيات، فقال : إنك لشاعر، وان أخت بنى سليم لبَكَّاءة .

***

قال قال وأنشدنا الرياشى :

ليس الكَرِيم بمن يُدَنِّسُ عِرْضَه * ويرى مُرُوءته تكون بمن مَضَى
حتى يَشِيد بناءَهم ببنائه * ويَزِينَ صالحَ ما أَتَوْهُ بما أَتَى

قال قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

لَسْنَا وان كَرُمَتْ أوائلُنا * يومًا على الأحساب نَتَّكِل
نَبْنِي كما كانت أوائلنا * تَبْنِى ونَفْعَل كالذى فَعَلوا

قال : وأنشدنا أيضا محمد :

إنّى وإنْ كُنتُ[(١)] ابنَ فارس عامر * وفى السِّرِّ منها والصَّريح المُهَذَّب

فما سَوَّدَتْنى عامرٌ عن وراثة * أَبَى اللهُ أن أسمو بأمّ ولا أب

ولكنّنى أَحمِى حِماها وأَتَّقِى * أذاها وأَرمِى مَنْ رماها بمَنْكِب

قال أبو على : وقرأت على أبى بكر محمد بن أبى الأزهر قال : أنشدنا أبو العباس لعبد الله رحمه الله[(٢)] :

سَبَّبْت لى من حاجتى سَبَبًا * بجميل رأيك يا أبا الفضل

حتى اذا قَرَّبْتَ أَبْعَدَها * وَوَقَفْتَها فى المَوْقف السَّهْل

أَرْجَأْتَها فكأنّما سَقَطتْ * مكسورةَ الرِّجْلَيْن فى الوَحْل

قال : وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد للعباس بن الأحنف

ألا كَتَبَتْ تَنْهَى وتأمر بالهجر * فقلت لها لو أنَّ قَلْبَك فى صدرى

سأَصْبِر كى تَرْضَىْ وأَهْلِكُ حَسْرةً * وحَسْبِى بأن ترضىْ ويُهْلِكنى صبرى

قال : وأنشدنا الرياشى :

اذا ما خليلى ساءنى سُوءُ فعله * ولم يك عمّا ساءنى بمُفِيق

صَبَرْت على ما كان من سُوء فعله * مخافة أن أَبْقَى بغير صديق

قال : وأنشدنا أيضا محمد بن يزيد :

بيَدِ الذى شَغَفَ الفؤادَ بكم * فَرَجُ الذى يَلْقَى من الهَمِّ

فاسْتَيْقِنِى أن قد كَلِفْتُ بكم * ثُمَّ افعلى ما شئتِ عن علم

قال : وأنشدنى أبو العباس محمد بن يزيد قال : أنشدنى دعبل لرجل من أهل الكوفة :

بَكَتْ دارُ بِشْرٍ شَجْوَها أن تَبَدَّلَتْ * هلالَ بنَ قَعْقَاعٍ ببشر بن غالب

وما هِيَ الا كالعروس تَنَقَّلَتْ * على رَغْمِها من هاشم فى محارب

قال وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو زيد قال حدّثنا ابن عائشة قال حدّثنى دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال لى عمر : يا أحنف ، من كثر ضحكه

(١) هذا بيت دخله الخرم وقد تقدّم له نظائر . (٢) هكذا فى جميع النسخ ، وانظر من هو من العبادلة .

قلت هيبته، ومَنْ مَزَح اسْتُخِفَّ به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كَثُر كلامُه كثر سَقَطُه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه مات قلبه .

قال وحدّثنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن سلّام قال حدّثنى يونس بن حبيب قال : صَنَع رجل لأعرابى ثَرِيدة ليأكلها، فقال له : لا تَسْقَعْها ولا تَشْرِمها ولا تقْعَرْها . قال له : فَمِنْ أين آكل لا أبالك؟ معنى تسقعها تقشر أعلاها، وتشرمها : تخرقها، وتقعرها : تأكل من أسفلها .

[مطلب سؤال بعض الأعراب لأبنة الخس]

قال وحدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا داود بن إبراهيم الجعفرى عن رجل من أهل البادية قال : قيل لابنة الخُسّ : أى الرجال أحبُّ اليك ؟ قالت : السَّهْل النَّجيب، السَّمْح الحسيب، النَّدْب الأريب، السيد المَهِيب؛ قيل لها : فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم، الأهْيَف الهَفْهاف، الأَنِف العَيَّاف، المُفيد المِتْلاف، الذى يُخِيف ولا يَخَاف؛ قيل لها : فأىُّ الرجال أبغض اليك ؟ قالت الأَوْرَه(١) النَّئُوم، الوَكَل(٢) السَّئُوم، الضعيف الحَيْزُوم(٣)، اللَّئيم المَلُوم؛ قيل لها : فهل بقى أحد شر من هذا؟ قالت : نعم، الأحْمَق النَّزَّاع، الضائع المُضَاع، الذى لا يُهاب ولا يطاع؛ قالوا : فأى النساء أحب اليك؟ قالت : البَيْضاء العَطِرة، كأنها ليلةٌ قَمِرة؛ قيل : فأى النساء أبغض اليك؟ قالت العِنْفِص(٤) القصيرة، التى ان اسْتَنْطَقْتَها سكتت، وان سَكَتَّ عنها نطقت .

[الفرزدق وكثير عزة]

قال أبو على قال لنا أبو بكر يروى عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال : لَقِىَ الفرزدقُ كُثَيِّرًا بقارعة البَلَاط وأنا معه، فقال : أنت يا أبا صخر أنسبُ العرب حيث تقول :

أريد لِأَنْسَى ذِكْرَها فكأنما * تَمَثَّل لى لَيْلَى بكل سبيل

فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرون خَلْفَنا * وان نَحْنُ أَوْمأنا الى الناس وَقَفُوا

(١) الأوره : الأحمق . (٢) الوكل : العاجز . (٣) الحيزوم وسط الصدر أو ما يشدّ عليه الحزام .
(٤) العنفص : المرأة البذية القليلة الحياء .

وهـذان البيتان لجميل سرق أحدهما كثير والآخر الفرزدق ، فقال له الفرزدق : يا أبا صخر ، هـل كانت أُمُّك تَرِدُ البصرة؟ فقال: لا ، ولكن أبى كان يَرِدُها . قال طلحة بن عبد الله : والذى نفسى بيده لعَجِبْت من كثير وجوابه ، وما رأيت أحدا قط أحمق منه ، رأيتُنى أنا وقد دَخَلْتُ عليه ومعى جماعة من قريش ، وكان عليلا . فقلنا : كيف تَجِدُك يا أبا صخر؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ وكان يَتَشَيَّعُ . فقلنا : نعم ، يتحدّثون أنك الدجال . قال : والله لئن قلت ذاك انى لأجد ضعفا فى عينى هذه منذ أيام .

***

قال وأنشدنا الزبير لبعض البصريين القُشَيْرِيين :

ولما تَبَيَّنَتْ المنازلَ باللِّوى * ولم تُقْضَ لى تسليمةُ المتزوّد
زَفَرْت اليها زَفْرةً لو حَشَوْتها * سَرابيلَ أبدان الحديد المُسَرَّد
لَفُضَّت حواشيها وظَلّت لحَرِّها * تَلِين كما لانت لداود فى اليد

[مطلب خروج محمد بن عبد الله بن الحسن على الدولة العباسية وخطبته التى خطبها]

قال وحدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى مصعب بن عثمان قال : لما خرج محمد بن عبد الله بن حسن ، قام على منبر المدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، انه قد كان من أمر هـذا الطاغيـة أبى جعفر من بنائه القبة الخضراء التى بناها معانَدَةً لله فى ملكه وتصغيره الكعبة الحرام ، وانما أخذ الله فرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى ، وان أحق الناس بالقيام فى هذا الدين أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار المواسين . اللهم انهم قد أَحَلُّوا حرامك ، وحَرَّموا حلالك ، وعملوا بغير كتابك ، وغَيَّرُوا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمَنُوا من أَخَفْت ، وأخافوا من آمَنْت ، فأَحْصِهم عددا ، واقْتُلهم بَدَدا ، ولا تُبْقِ على الأرض منهم أحدا .

***

قال وأنشدنا الزبير لأعرابى :

وقالوا ألا تَبْكِى خُرَيْم بن مالك * فقلت وهل يَبْكِى الذَّلُول المُوَقَّعُ[(1)]
صَبَرْت وكان الصبر خَيْرَ مَغَبَّةٍ * وهل جَزَعٌ مُجْدٍ عَلَىَّ فأَجْزَع

(١) الموقع : الذى يظهره آثار الدبر لكثرة ما حُمِل عليه وركب فهو ذلول مجرّب ، يريد : وهل أبكى وأنا حكيم مجرّب قد أصابنى من البلاء ما أصابنى .

ولو شئت أن أبكى دما لَبَكَيْتُه * عليه ولكنْ ساحة الصبر أوسع

وانى وان أظهرت صَبْرًا وحِسْبَةً * وصانَعْتُ أعدائى عليه لَمُوجَع

وأعددته ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ * وسَهْمُ المنايا بالذخائر مُولَع

قال : وأنشدنى محمد بن يزيد من هذه الأبيات ثلاثة أبيات أوّلها :

ألم تَرَنِى أَبْنِى على الليث بَيْتَه * وأحثو عليه الترب لا أَتَخَشّع

أَرُدُّ بقايا بُرْدِه فوق سُنَّةٍ * إخال بها ضوءا من البدر يَسْطَع

قال وأنشدنا الزبير قال : قرأها علىَّ عمر بن أبى بكر الجميل، قال أبو بكر بن أبى الأزهر وأنشدنى محمد بن يزيد هذه الأبيات ما خلا السِّتَّ الأول :

فقد لانَ أيامُ الصِّبا ثُمَّ لم يَكَدْ * من الدهر شىءٌ بعدَهُنَّ يلين

ظعائن ما فى قُرْبِهِنَّ لذى هَوًى * من الناس الا شِقْوَةٌ وفُتُون

وواكَلْنَهَ والهَمَّ ثم تركْنَه * وفى القلب من وَجْدٍ بهنّ رَهِين

فَواحَسْرَتا ان حِيلَ بينى وبينها * ويا حَيْنَ نفسى كيف فيك تَحِين

فَشَيَّبَ رَوْعاتُ الفِراق مَفَارقى * وأَنْشَزْن نفسى فوق حيث تكون

شَهِدْت بأنّى لم تَغَيَّرْ مَوَدَّتى * وأنى بكم حَتَّى المماتِ ضَنِين

وأن فؤادى لا يلين الى هَوًى * سواكِ وان قالوا بَلَى سَيَلِين

وإنى لأَسْتَغْشِى وما بِىَ نَعْسَةٌ * لَعَلَّ لِقاءً فى المنام يكون

ولما عَلَوْتُ اللّابَتَيْن تَشَوَّقت * قلوب الى وادى القرى وعيون

كأنَّ دموع العين يَوْمَ تَحَمَّلَتْ * بُثَيْنَةُ يَسْقِيها الرَّشاشَ مَعِين

ورُحْنَ وقد وَدَّعْن عندى لُبانةً * لِبَثْنَةَ سِرٌّ فى الفؤاد كَمِين

كَسِرِّ الثَّرَى لم يعلم الناسُ أنه * ثَوَى فى قَرار الأرض وهْوَ دَفِين

فان دام هذا الصَّرْمُ منكِ فانّنى * لأَغْبَرُ هارى الجانبين رَهِين

لكيما يقول الناس مات ولم أَهُنْ * عليك ولم تَنْبَتَّ منكِ قُرون

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر : وجدت فى كتاب لى حدّثنا الزبير بن عباد، ولا أدرى عمن هو، قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن قال : خرجت فى سفر فصحبنى رجل، فلما أصبحنا نزلنا منزلا، فقال : ألا أنشدك أبياتا ! قلت : أنشدنى، فأنشدنى :

ان المُؤَمِّل هاجه أحزانُه * لما تحمّل غُدوةً جيرانُه

بانوا فَمُلْتَمِسٌ سوى أوطانهم * وَطَنًا وآخرُ همُّه أوطانُه

قد زادنى كَلَفًا الى ما كان بى * رِئْمٌ عَصَى فأذاقنى عِصْيانُه

حُلْوُ الكلام كأنَّ رَجْعَ حديثه * دُرٌّ يُسَاقِطُه اليك لسانُه

ان كان شىء كان منه ببابل * فلسانُه قد كان أو إنسانه

قال قلت : انك لأنت المُؤَمِّل، قال : أنا المؤمل بن طالوت .

***

قال أبو بكر : قال الزبير تقول العرب : المَلَاحةُ فى الفم، والجَمَال فى الأنف، والحلاوة فى العَيْنَيْن.

قال أبو بكر أنشدنا الرياشى قال أنشدنا أبو عبد الرحمن بن عائشة لرجل من تيم قريش :

إنى اذا أحييت نار مُرْمِلة[1] * أُلْفَى بأرفَع تَلٍّ مُوقِدًا نارى

كيما يراها فقيرٌ بائسٌ صَرِدٌ[2] * ومُرْمِلٌ جاء يسرى بعد إعسار

عَوَّدْتُ نفسى اذا ما الضيف نَبَّهَنى * عَقْرَ العِشَار على عُسْرى وإيسارى

أَبِيت أَقْرِيه من مالى كرائمَه * أختصّ كلَّ كِنَازٍ[3] شَحْمُها وارى

ولا أخالف جارى عند غيبَتِه * الى حَليلته تُقْتَصُّ آثارى

وأترك الشىءَ أهواه ويُعْجِبنى * أَخْشَى عواقِبَ ما فيه من العار

إنا كذلك قِدْمًا إن سألتَ بنا * أَهْلُ الحِفاظ ومِنّا صاحبُ الغار

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر : أُنْشِدت لأعرابى :

أريدُ بأن لا يَعْلَمَ الناسُ أننى * أُحِبُّك يا لَيْلَى وأن تَصابِينى

فكيف بِهِمْ لا يُورِكوا ان هَجَرْتُها * جَزِعْتُ وإمّا زُرْتُها عَذَلُونى

(١) كذا بالأصل وهو غير مستقيم الوزن والمعنى . وفى كتاب سيبويه : * إنى اذا أخفيت نار لمرملة * وهو مستقيم الوزن والمعنى .

(٢) الصرد : البرد، صَرِد يصرَد فهو صرِد أى شديد البرد . (٣) الكناز : الناقة الصلبة الكثيرة اللحم .

قال : وأُنْشِدت أيضا لأعرابى :

أَلا إنّ حُسْنًا دُونه قُـلَّةُ الحِمَى * مُنَى النفس لو كانت تُنَال شرائعُـهْ
أَرَيْتَـكِ ان شَطَّتْ بِكِ العامَ نِيَّـةٌ * وغالَكِ مُصْطافُ الحِمَى ومَرابِعُـه
أَتَرْعَيْن ما اسْتُودِعْتِ أم أنت كالذى * اذا ما نَأَى هانت عليـه ودائعـه

قال أبو على : وهذا غلط عندى، والرواية :

* ألا ان حِسْيًا دونه قلق الحمى *

كذا أنشدنيه أبو بكر بن دريد ومن أثق بعلمه .

قال أبو بكر بن أبى الأزهر وأنشدنا الرياشى للحَكَم بن قَنْبَر :

العـلم زَيْنٌ وتشريف لصاحبـه * فاطْلُبْ هُدِيتَ فنونَ العلم والأدبا
لا خير فيمن له أَصْـلٌ بلا أدب * حتى يكون على ما نابه حَـدِبا(١)
كَمْ من حَسِيب أخى عِيٍّ وطَمْطَمَة * فَدْمٍ لدى القول معروف اذا نُسِبا
فى بَيْت مَكْرُمَـةٍ آباؤه نُجُبٌ * كانوا الرءوس فأضحى بعدهم ذَنَبا
وخاملٍ مُقْـرِف الآباء ذى أدب * نال المعـالى به والمـال والحَسَبا
أمسى عزيزا عظيم الشأن مشتهرا * فى خَدِّه صَـعَرٌ قد ظَلّ مُحْتَجِبا
وصاحبُ العـلم معروفٌ به أبدا * نِعْمَ الخَليط اذا ما صاحب صَحِبـا

قال وأنشدنا أبو على أحمد بن إسحاق :

وكم كَذْبة لى فيـك لا أَسْتَقِيلُها * بِقَوْلى لمن ألقاه إنّى صـالح
وأىُّ صـلاح لى وجِسْمِىَ ناحل * وقَلْـبِىَ مشـغوف ودَمعِىَ سائح

[مطلب ما قاله عصمة بن مالك الفزارى فى وصف ذى الرمة]

قال وحدّثنى أحمد بن إسحاق أبو المدوّر قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال قال أبو صالح الفزارى : تذاكرنا يوما ذا الرُّمّة، فقال لنـا عصْمة بن مالك الفزارى وكان قد بلغ عشرين ومائة سنة : إياى فاسألوا عنه، كان حُلْوَ العينين، خفيف العارضين، بَرّاق الثنايا، واضح

(١) فى نسخة «حربا» بالراء ولعلهما روايتان .

الجبين، حَسَن الحديث، اذا أنشَد بَرْبَر وجَشَّ صوته، جمعنى وإياه مُرْتَبَعٌ مرّةً فأتانى، فقال لى : هَيَا عِصْمةُ، إن مَيًّا مِنْقَرِيّة، ومِنْقَرٌ أخبثُ حَىّ وأقوفُه لأَثَر، وأثْبَتُه فى نظر، وقد عرَفوا آثار إبلى، فهل من ناقة نَزْدار عليها مَيًّا؟ قلت : إى والله، الجُؤْذَر بنت يمانية لِجَدٍّ لى، فقال : عَلَىّ بها، فأتيته بها، فركب ورَدِفْتُه حتى أشرَفْنا على منزل مَىّ، فاذا الحَىُّ خُلوف، فأمهلْنا وتقوَّض النساء من بيوتهن الى بيت مى، واذا فيهن ظَرِيفة جَمْعَتْهن، فنزلنا بها، فقالت : أنشدنا ياذا الرمة، فقال : أنشدهن يا عصمة — وكان عصمة راويته — فأنشدتهن قصيدته التى يقول فيها :

نَظَرْتُ الى أظعان مَىٍّ كأنَّها * ذُرَى النَّخل أوأَثْلٌ تَميل ذوائبُه

فأسبَلَتِ العَيْنان والصدرُ كاتمٌ * بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّتْ عليه سواكبُه

بكى وامق حان الفراق ولم تُجَل * جوائلها أسرارُه ومَعَاتبُه

فقالت الظريفة : فالآن فَلْتَجُلْ، فقالت لها مَيّة : قاتلك الله! ماذا تجيبين به مُنْذ اليوم؟ ثم أنْشَدْتُ حتى بلغتُ الى قوله :

اذا سَرَحَتْ من حُبِّ مَىٍّ سَوارِحٌ * عن القلب آبَتْهُ بِلَيْلٍ عَوازِبُه

فقالت لها الظريفة : قَتَلْتِيه قَتَلَكِ الله! فقالت مى : انه لصحيح وهَنِيئًا له، قال: فتنفس ذو الرمة تَنَفُّسًا كاد يُطير حَرُّه شعرَ وجهى، قال : ثم أنشدت حتى بلغت الى قوله :

وقد حَلَفَتْ بالله مَيَّةُ ما الذى * أُحَدِّثُها إلا الذى أنا كاذبه

اذًا فَرَمانى الله من حيث لا أرَى * ولا زال فى أرضى عَدُوٌّ أحاربه

قال فقالت مَىٌّ : خَفْ عَوَاقِبَ الله عز وجل يا غَيْلان، قال : ثم أنشدت حتى بلغت الى قوله :

اذا نازَعَتْك القولَ مَيَّةُ أوبدا * لك الوجهُ منها أونَضَا الدِّرْعَ سالبُه

فَيَالَكَ مِنْ خَدٍّ أَسِيلٍ ومنطق * رخيم ومن خَلْقٍ تَعَلَّلَ جادِبُه (١)

قال فقالت الظريفة : هذا الوجه قد بدا، وهذا القول قد تُنُوزِع فيه، فمن لنا بأن يَنْضُو الدرعَ سالبُه، فقالت مىّ : صلى الله على رسول الله ما أنكر ما تجيبين به منذ اليوم. قال : فقامت الظريفة وقمن معها، فقالت : دَعُوهم فان لهم لَشَأْنا، فقمت فَجَلَسْتُ ناحيةً، وجَلَسَا بحيث نراهما ولا نسمع

---

(١) أى لا يجد فيه مقالا ولا يجد فيه عيبا يعيبه به فيتعلل بالباطل و بالشىء يقوله وليس بعيب. كذا فى اللسان .

من كلامهما إلا الحرفَ بعد الحرف، ووالله ما رأيتهما بَرِحا من مكانهما، وسمعتها تقول له : كَذَبْتَ، فوالله ما أدرى ما الذى كَذَّبْتَه فيه الى الساعة . ثم خرج ومعه قارورة فيها دهن وقلائد، فقال : أعِصْمة، هــذه دُهْنة طَيِّبة أَتْحَفَتْنا بها مَىٌّ وهــذه قلائد قَلَّدَتْها مَىٌّ الجُؤْذَرَ ، ولا والله لا قَلَّدْتُهُنَّ بعيرا أبدا، فَعَقَدَهُنَّ فى ذؤابة سيفه وانصرفنا . فلما كان بعدُ، أتانى فقال : هَيَا عِصْمة : قد رَحَلَتْ مَىٌّ فلم يَبقَ إلا الديار، والنظر فى الآثار، فانهض بنا ننظر الى آثارها . قال : فركب وتبعتُه، فلما أشرف على المُرْتَبَع قال :

ألا يا اسْلَمِى يا دَارَ مَىٌّ على الْبِلَى * ولا زال مُنْهَــلًّا بجَرْعائِكِ القَطْرُ
وإن لم تكونى غيرَ شــام بقفرة * تَجُرُّ بهــا الاذيالَ صَــيْفِيَّةٌ كُدْر

قال : ثم انفضختْ عيناه بالبكاء ، فقلت : مَهْ ياذا الرمة ، فقال : إنِّى لَجَلْدٌ على ما ترى، وإنِّى لَصَبُور . قال : فما رأيت رجلا أشــدَّ صَبابة ولا أحسنَ عَزاء منه . ثم افترقنا فكان آخرَ العهد به . قال عصمة : وكانت مَىٌّ صفراءَ أُمْلُودا واردة الشعر حُلْوة ظريفة، وانَّ فى النساء اللاتى معها لَأَحْسَنَ منها، وكان عليها ثوب أصفر ونِطَاق أخضر .

[شــعر لابن أذينــة]

قال وأنشدنا لابن أُذَيْنة :

ولقــد وَقَفْتُ على الديار لَعَلَّها * بجَواب رَجْع تَحِيَّــة تتكلم
لَبِثُوا ثلاثَ مِنًى[1] بمنزل غِبْطــة * وهُمُ على عَجَــلٍ لعمرُك ما هم
متجاوِرِيــن بغير دار إقامة * لَوْ قَدْ أَجَدَّ[2] رَحِيلُهم لم يَنْدَموا
والعِيسُ تَسْجَع بالحَنِــين كأنها * بين المنــازل حين تسجع مَأْتَم
ولَهُنَّ بالبيت العَتِيــق لُبانةٌ * والرُّكْن يَعْــرِفُهُنَّ لو يتكلم
لو كان حَيًّــا قبلهن ظعائنًــا * حَيَّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وزمزم
وكأنهنَّ وقــد بَرَزْنَ لواغِبًــا[3] * بَيْضٌ بأفنيــة المَقَام مُرَكَّم
ثم انصرفن لهن زِىٌّ فاخر * فأَفَضْنَ فى زَقَبٍ[4] وحَلَّ المُحْرِم

(١) يريد ثلاثة أيام التشريق وهى التى يقف فيها الحاج بمنى . (٢) أجد رحيلهم : اعتزموه . (٣) اللواغب : المعييات من السير . (٤) الزقب : الطريق الضيق .

[أوصاف النساء]

قال وحدّثنا الرياشى قال : سمعت الأصمعى يقول حدّثنى أبى عن مولاه ابن الأَجْيَد قال : كان أَوْفَى بن دَلْهَم يقول : النساء أربع ، فمنهن مَعْمَع (١) ، لها شَيْئُها أَجْمَع ؛ ومنهن صُدَّع ، تُفَرِّق ولا تَجْمَع ؛ ومنهن تُبَّع ، تَزْبِى (٢) ولا تنفع ؛ ومنهن غَيْثٌ وَقَع ، ببلد فأَمْرَع . فذكرت هذا الحديث لأبى عَوانة فقال : كان عبد الملك بن عمر يزيد فيه : ومنهن القَرْثَع ، فقيل له : وما القرثع؟ قال : التى تلبس درعها مقلوبا وتَكْحل إحدى عينيها وتدع الأخرى .

* * *

قال وأنشدنا الزبير لابن أبى عاصية السُّلَمى :

فهل ناظرٌ من بطن غُمْدانَ مُبْصِرٌ * قفا أُحُدٍ رُمْتَ المَدَا المُتَراخيا

ولو أنَّ داء اليـاس بى فأعاننى * طبيب بأرواح العَقيق شَفَانيا

قال الزبير : يعنى اليَاسَ بن مُضَر وكان به داء السِّل وبه مات .

قال وأنشدنا الزبير لحُمَيد بن أَصْرم الطُّوسى :

خَلَّيْتَنِى والزَّمانُ مُنْتَكِثٌ * والجَـدُّ كابٍ أُكابِد الزَّمَنا

وانْقَلَب الدهرُ فانقلبتَ ولو * خانك صَرْفاه لم أَخُنْـك أنا

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لدعبل :

وصاحبٍ مُغْـرَمٍ بالجُود قلتُ له * والبُخْل يَصْرِفُه عن شِيمة الجُـود

لا تَقْضِيَنْ حاجةً أتعبتَ صاحبها * بالمَطْل منـك فتُرْزَا غيرَ محمـود

كأنَّنى رُحْتُ منه حين نَوَّلَنِى * بمُدْمَجِ الصَّدْر من مَتْنَيْـه مَقْدود

كأنّ أعضاءه فى كل مَكْرُمـةٍ * يُنْزَعْـنَ مُسْتَكْرَهات بالسَّفافيد

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

يُحِبُّ المَـديح أبو مالك * ويَجْزَعُ مِن صِلَةِ المـادح

كبِكْرٍ تُحِبُّ لذيذ النكاح * وتَفْرَق من صَوْلة النا كح

(١) المعمع : الذكية المتوقدة . (٢) تزبى : تسوق .

[دخول نصيب على عبد الملك بن مروان وعتابه نصيبا على قلة زيارته له]

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال حدثنى التوزى عن الأصمعى قال : دخل نُصَيْب على عبد الملك ابن مَرْوان، فعاتَبَه ولامه على قلة زيارته له وإتيانه إياه، فقال : يا أمير المؤمنين، أنا عَبْدٌ أسود، ولست من مُعَاشِرى الملوك، فدعاه الى النبيذ، فقال : يا أمير المؤمنين، أنا أَسْوَد البَشَرة قبيح المَنْظَرة، وانما وصلت الى مجلس أمير المؤمنين بعقلى، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يُدْخِل عليه ما يُزِيله فَعَل ! فأعفاه وَوَصَله، فقال نصيب فى سواده :

سَوِدْتُ فلم أَمْلِكْ سوادِى وتحتَه * قَمِيصٌ من القُوهِىّ[1] بِيضٌ بَنائقُه[2]

ولا خير فى وُدِّ امرئٍ مُتكارِهٍ * عليك ولا فى صاحب لا توافقه

فإن شئت فارفضه فلا خير عنده * وإن شئت فاجعله خليلا تُصادقه

*
* *

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا أبو عثمان المازنى قال : كان أعرابى يلزمنا فصيح اللسان، قال فقال له على بن جعفر بن سليمان : — وكان لا يعطيه شيئا وقد أتاه — مَرْحَبًا وأهْلا وسَهْلا، فقال الأعرابى :

وما مَرْحَبٌ إلّا كَرِيحٍ تَنَسَّمتُ * اذا أنت لم تَخْلِطْ فَعَالًا بمَرْحَب

فضحِك منه ووَصَله .

قال وأنشدنا الرياشى قال أنشدنى أبو الوَجِيه :

تُبَكِّى على لَيْلَى خُفَاتا وما رأت * لك العينُ أسوارًا لِلَيْلَى ولا حِجْلا

ولكنْ نَظْراتٍ بعينٍ مليحةٍ * أُولاكَ اللَّوَاتِى قد مَثَلْنَ بنا مَثْلا

قال : وأنشدنا الزبير بن بكار لمالك بن أخى رُفَيْع الأسدى قال : أنشدنيها محمد بن أنس الأسدى — وكان صُعْلوكا — فطلبه مُصْعَب بن الزبير فَهَرَب منه، وقال :

بَغَانِى مُصْعَب وبنو أبيه * فأَيْنَ أحِيد منهم لا أحِيد

أُسودٌ بالحجاز على أُسُود * خَوادِرَ ماتُنَهْنِهُها الأسود

---

(١) القوهى : منسوب الى قوهستان وكانت تحمل منها الثياب البيض . (٢) البنائق : جمع بنيقة وهى ما تزاد فى القميص ليتسع .

أَقَادُوا مِنْ دمى وتَوَعَّدُونى * وكنتُ وما يُنَهْنِهُنى الوعيد
شَقِيتُ بهم على طول التَّنائى * كما شَقِيَتْ بأَحْمَرِها ثمود
عَسَى ابنُ الكاهِلِيَّةِ فى نَدَاه * يَعُود بحِلْمِه فيما يعود
فَيَأْمَن خائفٌ بهم طريد * ويأتِىَ أهلَه النائى البعيد

[شعب بوان وما كتب على حائط فيه أو على بابه من الشعر]

قال وحدّثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال : خرجت مع الحسن بن رجاء الى فارس ، فلما صِرْنا الى موضع يعرف بشِعْب بَوَّان رأيت على حائط قال أو على باب الشِّعْب مكتوبا بخط جليل :

اذا أَشْرَف المكروبُ من رأس تَلْعةٍ * على شعْبِ بَوَّانٍ أفاق من الكَرْب
وألهاه بَطْنٌ كالحريرة مَسُّه * ومُطَّرِدٌ يَجْرِى من البارد العَذْب
وطيبُ ثمارٍ فى رِياض أريضة * وأغصانُ أشجار جَنَاها على قُرْب
فبالله يا ريح الجنوب تَحَمَّلِى * الى شعب بَوَّانٍ سلامَ فَتًى صَبّ

واذا تحت ذلك الخط الجليل بخط أدقّ منه :

لَيْتَ شعرى عن الذين تَرَكْنا * خَلْفَنا بالعِراق هل يَذْكُرونا
أم لَعَلَّ المَدَى تَطاوَل حتى * قَدُمَ العهدُ بيننا فَنَسُونا

[مالك بن أبى السمح المغنى وما قيل فيه من الشعر]

قال وأنشدنا الزبير للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فى شبابه — وكان مالك بن أبى السَّمْح المُغَنِّى وهو رجل من طيئ خاصًّا به — وكان الحسين بن عبد الله يكنى أبا عبد الله وقد روى عنه الحديث :

لا عَيْشَ إلا بمالِك بنِ أبِى السَّمْـ * ـحِ فلا تَلْحَنِى ولا تَلُمِ
أَبْيَض كالسَّيف أو كلامِعةِ الـ * ـبُرُوق فى حالك من الظُّلَمَ
يصيب من لَذَّة الكَرِيم ولا * يَنْهَك حَقَّ الإسْلَام والحُرَم
يا رُبَّ يومٍ لنا كحاشية الـ * ـبُرْد وليلٍ كذاك لم يَدُم
قد كنت فيه ومالك بن أبى السمـ * ـح كريم الأخلاق والشِّيَم

قال وأنشدني محمد بن يزيد لبعضهم :

مِنْ نَدَى عاصم جَرَى المــاء في العُو * د وفي سـيفه دماء الذِّباح

قائم السيف أخضرٌ من نداه * وعلى شَفْرَتَيْــه سُمٌّ متاح

يَتَلَقَّ النَّــدى بوجه حَــيِيٍّ * وصــدورَ القَنــا بوَجْهٍ وَقَاح

قال : وأنشدت في رجل كان يبخل ويصوم الاثنين والخميس :

أزُورُكَ يَوْمَ الصوم علمًا بأنني * اذا جئتُ يوما غَيْرَه لا أُكَلَّم

مخافةَ قولي إنني جئت جائعــا * ولو قلتها أيضا لمــا كنت أُطْعَم

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد لداود بن سلم التيمي يقوله في قُثَم بنِ العباس :

نَجَوْتِ من حلٍّ ومن رِحْلَةٍ * يا ناق إن أَدْنَيْتِني منْ قُــثَمْ

إنَّك إن بَلَّغْتِنيــه غَدًا * أحْيَا لِيَ اليُسْر ومات العَدَمْ

في باعه طُولٌ وفي وجهــه * نور وفي العِرْنِينِ منــه شَمَمْ

أَصَمُّ عن قول الخنا سَمْعُهُ * وما عن الخـير به من صَمَمْ

لم يَدْرِ ما لا وبَلَى قد دَرَى * فعَافَها وآعتاض منهــا نَعَمْ

قال : وأنشدنا حماد بن إسحاق عن أبيه في صفة الذئب قال وأنشدنا محمد بن يزيد، قال أبوعلي: وأنشدنيه أيضا محمد بن الحسن :

أطْلَس يُخْفِي شَخْصَه غُبارُهُ * في شِـــدْقِهِ شَفْرَتُهُ ونارُهُ

* بَهْمُ بني مُحارِبٍ مُزْدارُهُ *

قال أبو علي : وقرأت على أبي عمر عن أبي العباس عن آبن الأعرابي في صفة البعوض :

مِثْــلُ السَّفاة دائمٌ طَنِينُها * رُكِّب في خُرْطُومها سِكِّينُها

قال أبو بكر بن أبي الأزهر قال حماد بن إسحاق سألت أبي عن قول آبن أحمر :

وقَرَّطُوا الخَيْلَ من فَلْجٍ أَعِنَّتَها * مُسْتَمْسِك بهَوَادِيها ومَصْرُوع

فقال : تقريطها أن يُرْسَل للفرس عِنانُه حتى يكون في موضع القُرْط منه، وذلك أشَدُّ لجَرْيِه .

قال وأنشدنى حماد عن أبيه لكُثَيِّر :

وإنّى لَأَسْتأْنِى ولولا طَمَاعَتِى * بعزّةَ قد جَمَّعْتُ بينَ الضَّرائرِ
وهمَّ بَنَاتِى أن يَبِنَّ وحَمَّمَتْ * وُجوهُ رجالٍ من بَنِىَّ الأصاغرِ

يقول : لولا أنى أتأنّى وأنتظر وأرجو أن أظفر بعزّة لقد كنت تزوّجت ضرائر وَوُلِد لى بناتٌ وكَبِرْن وهَمَمْن بأن يَبِنَّ من أزواجهن . وقوله : وحَمَّمَتْ وجوه رجال من بَنِىَّ الأصاغر، حممت أى اسودّت منابت لحاهم لنبت الشعر .

[الكلام على المفضليات وعناية بنى العباس بها]

قال أبو على وقرأت على أبى الحسن على بن سليمان الأخفش فى المُفَضَّلِيَّات قصيدة عبد يغوث ابن وَقَّاص الحارثى — وكان أُسِرَ يوم الكُلَاب، أَسَرَتْه التَّيْمُ — وقال أبو الحسن على بن سليمان : حدّثنى أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهانى قال : أَمْلَى علينا أبو عِكْرِمَةَ الضَّبِّىُّ المفضليات من أولها الى آخرها، وذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمَهْدِىِّ، وقُرِئت بعدُ على الأصمعى فصارت مائة وعشرين، قال أبو الحسن : أخبرنا أبو العباس ثعلب أن أبا العالية الأنطاكى والسِّدْرِى وعافية بن شبيب — وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعى — أخبروه أنهم قرأوا عليه المفضليات ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره، وضمّوه الى المفضليات وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معانى الشعر وغريبه فكَثُرَتْ جِدًّا .

[قصيدة المسيب التى أولها أرحلت من سلمى بغير متاع]

وقال أبو عكرمة : مر أبو جعفر المنصور بالمهدى وهو ينشد المفضل قصيدة المسيَّب[1] التى أولها أرحلت، وهى هذه :

أَرَحَلْتَ من سَلْمَى بغير مَتَاعِ * قَبْلَ العُطَاسِ[2] ورُعْتَها بِوَدَاعِ
عن غير مَقْلِيَةٍ وإنَّ حِبالَهَا * ليست بأَرْمامٍ ولا أَقْطاعِ
اذ تَسْتَبِيكَ بأَصْلَتِىٍّ ناعمٍ * قامت لتَقْتُلَه بغير قِنَاعِ

(١) هو المسيب بن علس كما فى المفضليات طبع أوربا ص ٩١   (٢) العطاس : الصبح .

ومَهًا يَرِفُّ كأنّه اذ ذُقْتَه * عانيّةٌ شُجّت بماء يَرَاع
أو صَوْبِ غادية أدرّتْه الصَّبا * ببَزِيل أزهر مُدْمَج بسَيَاع
فرأيت أن الحِلْم مُجْتنب الصِّبا * فصَحَوْت بعد تَشَوُّق ورُوَاع
فتَسَلَّ حاجتها اذا هى أعرضتْ * بخَمِيصة سُرُح اليَدَيْن وَسَاع
صَكَّاء ذِعْلِبَة اذا اسْتَدْبَرْتَها * حَرَجٍ اذا اسْتَقْبَلْتَها هِلْوَاع (١)
وكأن قَنْطَرة بموضع كُورها * مَلْساء بين غَوَامِض الأنْساع
واذا تَعَاوَرت الحَصَى أخْفافُها * دَوَّتْ نَوَادِيه بظَهْر القاع
وكأنّ حارِكَها رَبَاوة مَخْرِم * وتَمُدُّ ثِنْىَ جَدِيلها بشِراع
فاذا أطَفْتَ بها أطفت بكَلْكَلٍ * نَبِضِ الفَرائص مُجْفَرِ الأضلاع
مَرِحَتْ يَداها للنَّجاء كأنما * تَكْرُو بكَفَّىْ لاعبٍ فى صاع
فِعْلَ السَّرِيعة بادرَتْ جُدَّادَها * قَبْلَ المَساء تَهُمُّ بالإسْراع
فَلأُهْدِيَنَّ مع الرِّياح قَصِيدةً * مِنِّى مُغَلْغَلةً الى القَعْقاع
تَرِدُ المَناهلَ لا تزال غَرِيبةً * فى القوم بَيْنَ تَمَثُّلٍ وسَمَاع
واذا الملوكُ تَدافَعَتْ أركانُها * أفضلْتَ فوق أكُفِّهم بذِرَاع
واذا تَهِيجُ الريحُ من صُرّادِها * ثَلْجًا يُنِيخ النِّيبَ بالجَعْجَاع
أحْلَلْت بَيْتَك بالجميع وبعضُهم * مُتَفَرِّقٌ لِيَحُلَّ بالأوْزَاع
ولأنتَ أجْوَدُ من خَليجٍ مُفْعَمٍ * مُتَرَاكِبِ الآذِىِّ ذِى دُفَّاع
وكأنَّ بُلْقَ الخَيْل فى حافاته * تَرْمِى بهنّ دَوَالِىَ الزُّرَّاع
ولأنت أشْجعُ فى الأعادى كلِّها * من مُخْدِرٍ لَيْثٍ مُعِيدِ وِقَاع
يأتى على القوم الكثير سلاحُهم * فيَبِيتُ منه القوم فى وَعْوَاع (٢)
أنت الوَفِىُّ فما تُذَمّ وبعضُهم * تُودِى بذِمَّته عُقَابُ مَلَاع (٣)

(١) الهلواع : السريعة الحديدة المذعان من النوق . (٢) الوعواع : الضجة . (٣) الملاع : أرض أضيفت اليها عقاب فى قولهم أودت بهم عقاب ملاع بالإضافة أو بالنعت وهى العقاب التى تصيد الجرذان .

وإذا رماه الكاشحون رماهُمُ * بمَعَابِــلٍ(١) مَذْرُوبةٍ وقِطَاعِ
أنت الذى زَعَمَتْ تَمِــيمٌ أنه * أهْلُ السَّماحة والنَّدى والباعِ

فلم يزل واقفا من حيث لا يُشْعَر به حتى اسْتَوْفَى سَمَــاعَها ؛ ثم صار الى مجلس له وأمر باحضارهمــا، فحدَّث المُفَضَّل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها، وقال له : لو عَمَدْتَ الى أشعار الشُّعَراء المُقِلِّين واخترت لِفَتَاكَ لكل شاعرٍ أجود ما قال لكان ذلك صوابا ! فَفَعَل المفضَّل .

[قصيدة عبد يغوث التى أوّلها ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا]

قال أبو على : ثم نرجع الى قصيدة عبد يَغُوث قال :

أَلَا لا تَلُومانِى كَفَى اللَّوْمَ مابِيَــا * فَمــا لَكُما فى اللوم خَيْرٌ ولا لِيــا
أَلم تَعلَمــا أنَّ المَلامة نَفْعُها * قَلِيلٌ وما لومِى أخِى من شِمالِيَــا
فَيَا راكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ * نَدامایَ من نَجْرانَ أن لا تلاقيا
أبا كَرِبٍ والأَيْهَــمَيْنِ كِلَيْهِــما * وقَيْسًا بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليَمَانيــا
جَزَى اللهُ قَوْمِى بالكُلَاب مَلامةً * صَرِيحَهُــمُ والآخَرين المَوَالِيــا
ولو شِئْتُ نَجَّتْنى من الخَيْل نَهْدَةٌ * تَرَى خَلْفَها الحُوَّ الجِيادَ تَوَالِيــا
ولكِــنَّنى أَحْمِى ذِمارَ أبيكمُ * وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَــامِيا
أقول وقد شَــدُّوا لسانى بِنِسْعة * أَمَعْشَرَ تَيْم أَطْلِقوا لى لِسَانيــا
أمَعشَرَ تَيْم قد مَلَكْتُم فأَسْجِحُوا * فإنَّ أخاكم لم يكن من بَوَائيــا
أَحَقًّا عِبادَ الله أن لَسْتُ سامعًا * نَشِــيدَ الرِّعاء المُعْزِبِين المَتَالِيــا
وتَضْحَكُ منى شَــيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ * كأن لم تَرَنْ(٢) قبلى أَسِــيرا يمــانيا
وظَلَّ نِسَــاءُ الحَىِّ حَوْلِى رُكَّدًا * يُرَاوِدْنَ مِــنِّى ما تُرِيد نِسَــائيا
وقد عَلِمَتْ عِرْسِى مُلَيْكَةُ أنَّنى * أنا الليث مَعْــدِيًّا عليــه وعاديا
وقد كنتُ نَحَّارَ الجَزُور ومُعْمِلَ الــ * ـــمَطِىِّ وأَمْضِى حيثُ لاحَىَّ ماضيا

---

(١) المعابل : جمع مِعْبَلة وهى النصل الطويل العريض .

(٢) هكذا وقع بالنون فى الأصول المعتمدة، وسيأتى شرح الكلمة قريبا .

وأَنْحَرُ للشَّرْبِ الكِرام مَطِيَّتى * وأَصْدَعُ بين القَيْنَتَيْنِ رِدائيا
وكنتُ اذا ما الخيل شمَّصها القَنا * لَبِيقًا بتَصْريف القَناة بَنانِيا
وعاديةٍ سَوْمَ الجَرَادِ وزَعْتُها * بكَفِّى وقد أنحَوْا الىَّ العَوَالِيا
كأنِّىَ لم أَرْكب جَوادا ولم أَقُلْ * لخَيْلِىَ كُرِّى نَفِّسى عن رجاليا
ولم أَسْبَأِ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقل * لأَيْسارِ صِدْقٍ أَعْظِمُوا ضَوْءَ ناريا

قال أبو على : قوله ألا لا تلومانى كفى اللوم مابيا، أى كفى اللَّوْمَ ما تَرَوْن من حالى فلا تحتاجون الى لومى مع إسَارِى وجَهْدِى . وقوله : وما لومى أخى من شماليا . قال ويروى : وما لومى أخًا من شماليا . وشِمالى أى خُلُقِى وهو واحد الشمائل . وقوله : أبا كَرِب والأيهمين وقيسا، قال أبو على : أبو كرب والأيهمان من اليمن، وقيس بن مَعْدِيكَرِبَ أبو الأشعث بن قيس الكندى، وأصل الأيهم الأعمى . وقوله :

جَزَى الله قومى بالكُلَاب ملَامةً * صَرِيحَهُمُ والآخَرِين المَوَالِيا

قال : يروى مكان جزى الله قومى: * لَحَى الله خَيْلا بالكلاب دَعَوْتُها * وقوله : صريحهم يعنى خالصهم، والمَوَالِى هنا الحُلَفاء . وقوله : * ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة * قال: وروى سعدان عن أبى عبيدة : ولو شئت نَجَّتنى كُمَيْتٌ رَجِيلةٌ . قال : ورجيلة : قوية شديدة . والنَّهْدة : المرتفعة الخَلْق، وكُلُّ ما ارتفع يقال له نَهْدٌ، يقال : نَهَدْنا للقوم أى ارتفعنا اليهم للقتال ، ومنه : نَهَدَ ثَدْىُ الجارية اذا ارتفع، وجارية ناهِدٌ . وقال: والحُوُّ من الخيل : التى تضرب للخضرة، والحُوَّة : الخضرة. وقوله : تَوَاليا أى تَتبعها، لأن فرسه خفيفة تَقَدَّمتِ الخيلَ . وقال الأصمعى : إنما خصّ الحُوَّ، لأنها أصبر الخيل وأخَفُّها عظاما اذا عَرِقَت لكثرة الجَرْى . وقوله : أَحْمِى ذِمَارَ أبيكم، الذِّمار : ما يجب حفظه من مَنَعة جار أو طلب ثار . وقوله : * وكان الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَاميا * هذا مثل، ويروى: وكان العوالى يختطفن . وقوله : وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ ، قال : هذا مثل ، لأن اللسان لا يُشَدُّ بنسعة، وإنما أراد : افعلوا بى خيرا ينطلق لسانى بشكركم، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم،قال ويروى: * مَعَاشِرَ تَيْم أطلقوا لى لسانيا * وقوله: * أَمَعْشَرَ تَيْم قد مَلَكْتم فأَسْجِحُوا * وقوله :أَسْجِحوا أى سهلوا ويَسِّرُوا فى أمرى، يقال: خَدٌّ أَسْجَح،وطريق أَسْجَح اذا كان سهلا . وقوله :

* فإن أخاكم لم يكن من بَوَائيا * قال: البَوَاء: السَّواء، يريد: إن أخاكم لم يكن نظيرا لى فأكون بَوَاءً له، يقال: بُؤْ بفلان أى اذهب به، يقال ذلك للقتول بمن قَتَل. وقوله:

أحَقًّا عبادَ الله أن لست سامعا * نَشِيد الرِّعاء المُعْـزِبين المَتاليـا

قال: والمُعْزِب: المُتنحِّى. والمَتَالِى: التى قد نُتِج بعضها وبقى بعض، يقال للجميع مَتَالٍ، واحدتها مُتْلِية. وقوله: * وتضحك منى شيخة عبشمية * كأن لم ترا قبلى... قال الأخفش: رواية أهل الكوفة: كأن لم تَرَنْ قبلى، وهذا عندنا خطأ، والصواب تَرَىْ[1] بحذف النون علامة للجزم. قال: والأسير: المأسور، نقل من مفعول الى فعيل، كما تقول مقتول وقتيل ومذبوح وذبيح. قال: والمأسور: المشدود، أخذ من الأسْر، والأَسْرُ: القِدُّ، فمأسور مفعول من الأسر. وقوله: وأنحر للشرب، والشرب: جمع شارب. والمَطِيَّة: البعير هاهنا، سُمِّى مَطِية لأن ظهرَه يُمْتَطَى، ويقال: سمى مَطية لأنه يُمْطَى به فى السير أى يمدّ. قال ويروى: وأَعْبِط للشَّرْب أى أنحر مطيتى من غير علة بها؛ يقال للرجل اذا مات بفجأة: قد اعْتُبِط، ويقال للذبيح: أعَبِيطٌ أم عارضة. قال: والعَبِيط: الذى يُنْحَر أو يُذْبَح من غير علة. والعارضة: أن يذبح من مرض، ومنه قول أُمَيَّة:

من لم يَمُتْ عَبْطةً يمت هَرَمَا * للموتِ كأسٌ والمَـرْءُ ذائقُها

وقوله أَصْدَع أى أشقّ. والقينة: الأَمَة مُغَنِّيةً كانت أو غير مُغَنِّية. وقوله: شَمَّصها، قال ويروى: شَمَّصها وشَمَّسها وهما واحد والسين أجود، ويروى: نَفَّرها القنا. وقوله: * وعادية سوم الجراد وزعتها * قال: والعادية: القوم يَعْـدُون. وسَوْمُ الجراد: انتشارُه فى المَرْعَى، كما قال العجاج: * سَوْم الجَرَاد الشَّدّ يَرْتَاد الخُضَر * وقوله: وَزَعْتها أى كَفَفْتها، والوازع: الكافُّ المـانع، ويروى أن الحسن رحمه الله تعالى لما وَلِىَ القضاء قال: لا بُدَّ للساطان من وَزَعَة. وقوله: وقد أَنْحوا الىَّ العَوَاليا. أنحوا: أما لوا وقصدوا بها. والعالية من الرمح: أعلاه وهو ما دون السنان بذراع. وقوله: لحيلى كُرِّى نَفِّسى، قال ويروى: قاتلى. وقوله: ولم أَسْبَأ الزِّق، السِّباءُ: اشتراء الخمر.

---

(١) هذا مبنى على أن الفعل مسند لياء المخاطبة على معنى كأن لم ترى أنت، فيكون فيه التفات من الغيبة الى الخطاب ولم يحكه أحد من النحاة، بل الذى ذكره صاحب المغنى أن أبا على خرّج البيت على أن أصل الفعل ترأى بهمزة بعدها ألف ثم حذفت الألف للجازم ثم أبدلت الهمزة ألفا وعلل بما يطول فانظره فى مبحث لم.

[قصة مالك بن الريب الشاعر وصحبته لسعيد بن عثمان بن عفان الى خراسان وقصيدته التى قالها وهو مريض يذكر مرضه وغربته]

قال أبو على : وقرأت قصيدة مالك بن الرَّيْب التى أوّلها : * ألا لَيْت شِعرِى هل أَبيتَنَّ ليلةً * على أبى بكر بن دريد ولها خبر أنا ذاكره، قال قال أبو عبيدة : لما وَلَّى أميرُ المؤمنين معاويةُ آبنُ أبى سفيانَ سعيدَ بنَ عثمان بْنِ عفان رضى الله تعالى عنهم خراسانَ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقيه بها مالك بن الرَّيْب بن حُوط بن قُرْط بن حِسْل بن رَبيعة بن كابِيَةَ بن حُرْقُوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وأمه شَهْلة بنت سَنِيح بن الحُرّ بن ربيعة بن كابية بن حرقوص ابن مازن . قال : وكان مالك بن الريب فيما ذُكر من أجمل العرب جَمالا وأبْيَنِهم بيانا، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال أبو الحسن المدائنى : بل مرّ به سعيد بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولّاه معاوية خراسان ومالك فى نَفَر من أصحابه، فقال له : وَيْحَك يا مالك! ما الذى يدعوك الى ما يَبْلُغنى عنك من العَدَاء وقَطْع الطريق؟ قال : أصلح الله الأمير، العجزُ عن مكافأة الإخوان . قال : فإن أنا أغنَيْتُك واستصحبتك أتكُفُّ عما تفعل وتتبعنى؟ قال : نعم، أصلح الله الأمير، أَكُفُّ كأحسنِ ما كَفَّ أحد، فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر، وكان معه حتى قُتِل بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك، فقال يَذْكُر مَرَضه وغُرْبته . وقال بعضهم : بل مات فى غَزْو سعيد، طُعِن فسَقَط وهو بآخر رَمَق . وقال آخرون : بل مات فى خان، فرَثَته الجانُّ لَمَّا رأت من غُرْبته وَوَحْدته، وَوَضَعت الجنُّ الصحيفةَ التى فيها القصيدة تحت رأسه، والله أعلم أىّ ذلك كان، وهى هذه :

ألا لَيتَ شِعْرى هل أَبيتَنَّ ليلةً * بجَنْب الغَضَى أُزْجِى القِلاصَ النَّواجِيَا

فَلَيْتَ الغَضَى لم يَقْطَع الرَّكْبُ عَرْضَه * ولَيْتَ الغَضَى ماشَى الرِّكاب لَيَالِيَا

لقد كان فى أهل الغضى لو دنا الغضى * مَزَارٌ ولٰكنَّ الغضى ليس دانيا

ألم تَرَنِى بِعْتُ الضَّلالَةَ بالهُدَى * وأَصْبَحْتُ فى جَيْش ابن عَفَّان غازيا

وأصبحت فى أرض الأعادىّ بَعْدَما * أَرَانِىَ عن أرض الأعادىّ[1] قاصيا

---

(١) الأعادى : الياء وتشديدها فيه رفق الذى بعده لإقامة الوزن، والتشديد هو الأصل فى الكلمة لأنها جمع أعداء، وجمع أفعال أفاعيل .

دعانى الهوى من أهل أُودَ وصُحبتى * بِذِى الطَّبَسَيْن فالْتَفَتُّ ورائيا
أَجَبْتُ الهوى لَمَّا دعانى بزفرة * تَقَنَّعْتُ منها أن أُلامَ رِدَائيا
أقول وقد حالت قُرَى الكُرْدِ بيْننا * جَزَى الله عَمْراً خيرَ مَا كان جازيا
إن اللهُ يَرْجِعْنى من الغَزْوِ لا أَرى * وإن قَلَّ مالى طالبا ما وَرَائيا
تقول ابْنَتِى لَمَّا رأتْ طُولَ رِحْلتى * سِفَارُكَ هذا تارِكِى لا أَبَا لِيا
لَعَمْرى لئن غالت خُراسانُ هامَتِى * لقد كُنْتُ عن بابَىْ خراسان نائيا
فإنْ أَنْجُ من بابَىْ خُرَاسانَ لا أَعُدْ * اليها وإن مَنَّيْتُمونِى الأمانِيَا
فلله دَرِّى يوم أَتْرُكُ طائعا * بَنِىَّ بأَعْلَى الرَّقْمَتَيْن وماليا
ودَرُّ الظِّباءِ السانحات عَشِيَّةً * يُخَبِّرْن أنى هالكٌ مَنْ ورائيا
ودرُّ كبيرَىَّ اللَّذَيْن كلاهما * عَلَىَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نَهَانيا
ودرُّ الرجال الشاهِدِين تَفَتُّكِى * بأمرىَ ألا يَقْصُروا مِنْ وَثَاقيا
ودرُّ الهوى من حيث يدعو صحابتى * ودرّ لجَاجاتى ودرّ انتهائيا
تَذَكَّرْتُ من يَبْكِى عَلَىَّ فلم أجد * سوى السيف والرُّمح الرُّدَيْنِىِّ باكيا
وأشْقَرَ مَحْبُوكا يَجُرُّ عِنَانَه * الى الماء لم يَتْرُك له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمَيْنة نِسْوةٌ * عزيزٌ عليهنّ العَشِيَّةَ مابيا
صَرِيعٌ على أيدى الرجال بقَفْرة * يُسَوُّون لَحْدِى حيث حُمَّ قضائيا
ولَمَّا تَرَاءَتْ عند مَرْوٍ مَنِيَّتِى * وحَلَّ بها جِسْمِى وحانت وَفَاتِيا
أقول لأصحابى ارْفَعُونى فإنه * يَقَرُّ بِعَيْنِى إنْ سُهَيْلٌ بدا ليا
فيا صاحِبَىْ رَحْلِى دنا الموت فانْزِلا * برَابِيَةٍ إنّى مُقِيمٌ لياليا
أقيما عَلَىَّ اليومَ أو بَعْضَ ليلةٍ * ولا تُعْجِلَانى قد تَبَيَّنَ شانيا
وقُوما اذا ما اسْتُلَّ رُوحى فَهَيِّئا * لِىَ السِّدْرَ والأكفانَ عند فَنَائيا
وخُطَّا بأطراف الأسِنَّة مَضْجَعِى * ورُدَّا على عَيْنَىَّ فَضْلَ ردائيا
ولا تَحْسُدانى بارَكَ الله فيكما * من الأرض ذات العَرْض أن تُوسِعا ليا

خُذانى بِجُرّانِى بثوبى اليكما * فقد كُنْتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا
وقد كُنْتُ عَطّافا اذا الخيل أدْبَرَتْ * سَريعًا لَدَى الهَيْجَا الى من دَعَانيا
وقد كنت صَبّارا على القِرْن فى الوَغَى * وعن شَتْمِىَ ابنَ العَمّ والجارَ وانيا
فَطَوْرًا ترانى فى ظِلَالٍ ونَعْمَة * وطَوْرًا ترانى والعِتاقُ رِكابيا
ويَوْمًا ترانى فى رَحًا مُسْتَديرة * تُخَرِّق أطرافُ الرِّماح ثيابيا
وقُومَا على بئر السُّمَيْنة أَسْمِعا * بها الغُرَّ والبِيضَ الحِسانَ الرَّوانيا
بأنّكما خَلَّفْتُمانى بقَفْرة * تَهِيلُ علىَّ الريحُ فيها السَّوافيا
ولا تَنْسَيا عهدى خَلِيلَىَّ بعدما * تَقَطَّعُ أوصالى وتَبْلَى عِظاميا
ولن يَعْدَمَ الوالُونَ بَثًّا يصيبهم (١) * ولن يَعْدَمَ الميراثُ مِنِّى المَوَاليا
يقولون لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنوننى * وأينَ مكانُ البُعْدِ إلّا مكانيا
غَداةَ غَدٍ يالَهْفَ نفسى على غد * اذا أدْلَجوا عنّى وأصبحتُ ثاويا
وأصبح مالى من طَرِيفٍ وتالدٍ * لغيرى وكان المالُ بالأمس ماليا
فيالَيْتَ شِعْرى هل تَغَيَّرتِ الرَّحا * رحا المِثْل أو أمْسَتْ بفَلْجٍ كما هيا
اذا الحَىُّ حَلُّوها جميعا وأنزلوا * بها بَقَرًا حُمَّ العيونِ سَواجيا
رَعَيْن وقد كاد الظلام يُجِنُّها * يَسُفْنَ الخُزامَى مَرّةً والأقاحيا
وهل أَتْرُكُ العِيسَ العَوالِىَ بالضُّحى * برُكْبانها تَعْلُو المِتانَ الفَيافيا
اذا عُصَبُ الرُّكْبانِ بينَ عُنَيْزةٍ * وبَوْلانَ عاجوا المُبْقِياتِ النَّواجيا
فيا لَيْتَ شِعْرِى هل بَكَتْ أُمُّ مالك * كما كُنْتُ لَوْ عالَوْا نَعِيَّك باكيا
اذا مُتُّ فاعتادى القبور وسَلِّمى * على الرَّمْسِ أُسْقِيتِ السحابَ الغَواديا
على جَدَثٍ قد جَرَّت الريحُ فوقه * تُرابا كسَحْقِ المَرْنَبانِىِّ هابيا
رَهِينةَ أحجارٍ وتُرْبٍ تَضَمَّنَتْ * قَرارتُها مِنّى العِظامَ البَواليا
فيا صاحبا إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغًا * بنى مازنٍ والرَّيْبِ أن لا تَلاقِيا

---

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر: ولن يعدم الوالون بثا يجننى . . .

وعَرِّ قَلُوصِى فى الرِّكاب فإنها * سَتَفْلِق أكبادا وتُبْكِى بَواكيا

وأبصرت نار المَازِنيَّات مَوْهِنًا * بعَلْياءَ يُثْنَى دُونَها الطَّرفُ رانيا

بعُودِ أَلَنْجوجٍ[1] أَضاء وَقُودُها * مَهًا فى ظِلال السِّدْر حُورًا جَوازِيا

غريبٌ بَعِيدُ الدار ثاوٍ بقَفْرة * يَدَ الدَّهْر معروفا بأن لا تَدانيا

أُقَلِّب طَرْفِى حَوْلَ رَحْلِى فلا أرَى * به من عيون المُؤْنِسات مُراعيا

وبالرَّمْل منَّا نِسْوة لو شَهِدْنَنى * بَكَيْن وفَدَّيْن الطبيبَ المُداويا

وما كان عهد الرَّمْل عندى وأهْلِه * ذَميما ولا ودَّعْت بالرمل قاليا

فمِنْهُنَّ أُمِّى وابْنتَاىَ وخالتى * وباكيةٌ أُخرى تَهِيج البَواكيا

قال أبو على : قوله بجنب الغضى ، الغضى : شجر ينبت فى الرمل ولا يكون غضى إلّا فى الرمل . وأُزْجِى : أسوق ، يقال : أزجاه يُزْجِيه إزجاء وزَجَّاه يُزَجِّيه تَزْجِية . والنَّواجِى : السِّراع وقوله :

* فَلَيْتَ الغَضَى لم يقطع الرَّكْبُ عَرْضَه *

قال يقول : ليته طال عليهم الاسْتِرْواح اليه والشوق . والرِّكاب : الإبل ، وجمعها ركائب . وقال :

تقول وقد قَرَّبْت كُورِى وناقتى * إليْكَ فلا تُذْعِرْ علَىَّ رِكابيا

وقوله : * وليت الغضى ماشى الركاب لياليا * أى ليته طاوَلَهُمْ . وقوله : * لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى * مَزارٌ ، يقول : لو دَنَوْا قَدَرْنا أن نَزُورهم ، ولكنّ الغضى ليس يدنو ، وهذا على التلهف والتشوّق . وقوله : ألم تَرَنى بِعْتُ الضَّلالة بالهدى * وأصبحت فى جيش ابن عفان... يعنى سعيد ابن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، يقول : بعت ما كنت فيه من الفتك والضلالة بأن صرت فى جيش ابن عفان . وأُود : موضع . والطَّبَسَانِ : بخراسان أو قريبا منها ، يقول : دعانى هواى وتَشَوُّق من ذلك الموضع وأصحابى بموضع آخر . وقوله : تَقَنَّعت منها ، معناه لما ذكرت ذلك الموضع استعبرت فاستحييت فتقنَّعت بردائى لكى لا يُرَى ذلك منِّى ، كما قال الشاعر :

فكائِنْ تَرَى فى القوم من مُتَقَنِّع * على عَبْرة كادت بها العين تَسْفَح

---

(١) الألنجوج واليلنجوج : عود الطيب يتبخر به .

وقوله : إن اللهُ يَرْجِعني ... البيت، يريد : لا أسافر وأقيم وأقْنع بما عندى . وقوله : لا أباليا، تقول العرب : قُمْ لا أَبَ لك ولا أبالك على توهم الإضافة، كما قال الشاعر :

* يابُؤسَ للجهـل ضَرَّاراً لأقوام *

يريد : يابؤس الجهل . قال : ويروى : لا أباليـا بالتنوين وبغير التنوين . وغالت : أهلكت . وناء : متباعد . وقوله فلله دَرِّى : تَعَجّب من نفسه حين فَعَل ذلك، قال آبن أحمر :

بان الشَّبابُ وأفْنَى ضِعْفه العُمُرُ * لله دَرِّى فأَىَّ العَيْش أَنْتظـر

تَعَجَّب من نفسـه أَىَّ عيش يَنْتظر، ومالكٌ تعجب من نفسه كيف آغترب عن ولده وماله . قال وقال آبن حبيب : الرَّقْمتان : رَقْمتا فَلج خَبْرَاوَانِ خَبْراء ماوِيَّة وخَبْراء اليَنْسُوعة وهى أضخمهما . وقوله

* يُخَبِّرْن أنى هالك مَنْ ورائيا *

قال ويروى : مَنْ أماميا، قال : وراء يكون بمعنى أمام، قال الله عز وجل : (وَكَانَ وَرَاءَهم مَلِكٌ) فُسِّر أنه بمعنى أمام والله أعلم . وقوله : السانحات، يريد : أنه سَنَحَتْ له الظباءُ فَتَطَيَّر منها، ويروى : عَنِّى هالكٌ مَنْ ورائيا بمعنى أَنِّى . وقوله : * ودَرُّ الرجال الشاهـدين تَفَتُّكِى * ويروى : تَفَنُّكِى بالنون، يقال : فَنَك فى الشىء اذا تمـادَى فيه . وأنشد :

وَدِّعْ سُلَيْمَى وَدَاعَ الصارم اللاحِى * اذ فَنَّكَتْ فى فَسَاد بعد إصلاح

والفَنَك : العَجَب . وقوله : تَذَكَّرت مَنْ يبكى البيت، يقول : كنت أحمـل السيف والرمح فَهُما لى خليلان وأنا ها هنا غريب فليس أحد يبكى علىَّ غيرهما، كما قال الشاعر :

وأَنكَرَ خُلَّانُ الصَّـفاء وصالَه * فَلَيْس له منهم سوى السيفِ ناصرُ

وقوله : أكناف السُّمَيْنة، ويروى : الشُّكَيْنة والشُّبَيْكة، وهما موضعان . والسُّمَيْنة : موضع . واللَّحْد : القبر، يقال : لَحَـدْت له لَحْدا، وانمـا سُمِّى لَحْدا لأنه فى جانب القبر . والقفرة : التى ليس بها أحد ولا شىء، يقال : قَفْرة وقفر، وجَدْبة وجَدْب . وقوله : وخَلَّ بها جسمى بالخاء، خَلَّ : اخْتَـلَّ أى آضطرب وهزل، ويروى : وجَلَّ بها سُقْمى . وقوله :

* يُقَرُّ بعينى إن سُهَيْلٌ بدا ليا *

يريد : أن سهيلا لا يرى بناحيـة خراسان، فقال : ارفعونى لعلِّى أراه فَتَقَرَّ عينى برؤيته لانه لا يرى إلا فى بلده . وقوله : * وبُخُطًّا بأطراف الأسِنَّة مَضْجَعِى *

ويروى : بأطراف الزِّجاج، ويروى : الرِّماح لَمصْرعى، يقول : خُطًّا أى احْفِرا بالرماح . وقوله : فقد كنت قبل اليوم... البيت، أى إنى اليوم ذليل[١]، وقبله : لا أنقاد لمن قادنى، وقوله :

* وقد كنت عَطَّافا اذا الخيل أدبرت *

قال : ويروى اذا الخيل أَحْجَمَتْ أى كنت أعطف اذا انهزمت الخيل . والهيجاء هى الحرب، والهيجاء تمد وتقصر، قال الشاعر :

* أنا ابْنُ هَيْجاها مَعِى إرْزَامُها *

وقال لبيد : * يارُبَّ هَيْجا هِىَ خَيْرٌ من دَعَهْ *

وقال جرير :

اذا كانت الهَيْجاء وانْشقَّتِ العَصَا * فَحَسْبُكَ والضَّحّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّد

والطِّلال : جمع طَلٍّ : وهو النَّدَى والريف والنِّعْمة . والرَّحَى : موضع الحرب، مستديرة حيث يستدير القوم للقتال . والرَّوانى : النواظر، والرُّنُوُّ : النظر الدائم، قال النابغة :

لِرَنَا لِبَهْجتها وحُسْنِ حديثها * ولَخَالَهُ رُشْدًا وإن لم يَرْشُد

والغُرُّ : البيض . ويَهِيل : يثير . والسَّوافى : ما حازت الريح الى أصول الحيطان . والوالون : جمع الوالى . والمَوَالِى : بَنُو العم والأقربون، قال الله عز وجل : (وإنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) والبثُّ : أشدّ الحزن، قال الله تعالى : (إنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى اِلَى اللهِ). والإدْلاج : السير من أول الليل، قال : واذا نام من أوّل الليل ثم سار فهو إدْلاج أيضا . والثّاوِى : المُقيم . والطَّرِيف والطارف : المستحدَث من المال . والتّالِد والتَّلِيد والتِّلاد والمُتْلَد : العتيق الموروث، قال الأعشى :

جُنْدُكَ الطارِفُ التَّلِيد من السَّا * داتِ أهْلِ النَّدَى وأهلِ الفَعَال

وقال طَرَفة بن العبد :

وما زال تَشْرَابِى الخُمور وَلَذَّتِى * وبَيْعِى وإنفاقى طَرِيفِى ومُتْلَدِى

والمِثْل : موضع بفَلْج يقال له رَحَى المِثْل . وحَلُّوها : نزلوها . والبقر يريد النساء شبَّهها بالبقر، ويروى : جُمّ القرون أى ليست لها قرون . وسَوَاجٍ : سواكن . والعِيسُ : الإبل البيض . والفيَافِى :

(١) لعل الكلمة محرفة عن ذلول بالواو بمعنى السهل المنقاد .

الصَّحَارى، ويروى القَياقيا وهى المرتفعة من الأرض واحدتها قِيقَاءَةٌ . قال ابن حبيب : عُنَيْزة : قارة سوداء فى بطن وادى فالج قد شَجِىَ بها الوادى، فَسُمِّى الشَّجِى بها . وقوله : المُبْقيات النواجيا ، المبقيات : التى يَبْقَى سيرها، والنَّواجى : التى تَنْجُو بسيرها أى تُسْرِع . والمَرْنَبَانِىُّ: كساء من خَزٍّ، ويقال مِطْرَف من وَبَر الإبل . وقوله : هابيا من هَبَا يَهْبُو، ويروى : كَلَوْن القَسْطَلَانىّ، قال: وهوالتراب . وقوله رهينة أحجار البيت أى فى القبر على الترب والحجارة . والقَرَارة: بطن الوادى حيث يَسْتَقِرُّ الماء، فضربه مثلا للقبر وبطنه . ويَدُ الدهر ومَدَا الدهر وأَبَدُ الدهر واحد . وذَمِيمٌ: مذموم، ويقال مُبْغَض .

* * *

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو شعيب الحَرّانى عبد الله بن الحسن قال حدّثنا يعقوب بن السكيت قال قال الأصمعى : قَزَع رجلٌ ابنَ الزبير بكلمة ، وابن الزبير يخطب ، فقال : مَن المُتَكَلِّم؟ فلم يُجِبْه أحد، فقال: ماله قاتله الله! ضَبَح ضَبْحة الثعلب، وقَبَع قَبْعةَ القُنْفُذ .

قال أبو بكر قال اللغويون : الضَّبْح : صوت أنفاس الخيل وما يجرى مجراها فى هـذا المعنى . والقُبُوع : أن يُدْخل الإنسان رأسه فى ثوبه وهو من القنفذ إدخاله رأسه فى بدنه .

قال وحدّثنا أبو عبد الله القاضى المُقَدَّمى قال حدّثنا أبو عيسى التِّنِّيسى قال حدّثنا محمد بن إبراهيم الثَّغْرى قال حدّثنا عبـد الله بن صالح قال حدّثنا أبو زيد النحوى قال قال رجل للحسن : ما تقـول فى رجل تَرَك أبيه وأخيه؟ فقال : الحسن ترك أباه وأخاه، فقال الرجل : فَمَا لأباه وما لِأخاه؟ فقال الحسن : فما لأبيه وما لأخيه؟ فقال الرجل : أراك كلَّما تابعتُك خالفتَنى .

[ابن عباس وعمر بن أبى ربيعة]

قال وحدّثنا أبو على العَـنَزِى قال حدّثنا العباس بن الفرج الرياشى قال حدّثنا ابن أبى رَجَاء عن الهيثم بن عدى عن ابن جُرَيج عن أبيه قال : أتى ابنَ عباس عمرُ بن أبى ربيعة، فأنشده :

* أمن آل نُعْم أنتَ غادٍ فَمُبْكِر *

حتى بلغ آخرَها، فقال ابن عباس : إن شئتَ أعَدْتُها عليك، فقيل له : أو قد حفِظْتَها ؟ قال أَوَ منكم من يَسْمَع شيئا ولا يحفظه ! .

***

قال وحدّثنا أبو عبد الله المقدمى قال حدّثنا العباس بن محمد قال حدّثنا آبن عائشة قال حدّثنا عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى عثمان الأسدى عن بعض رجاله قال قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين، أَيُضَحَّى بضَبْيٍ؟ قال : وماعليك لو قُلْتَ بظَبْيٍ؟ قال : إنها لغة، قال : آنقطع العتاب ولا يضحَّى بشىء من الوحش .

قال وحدّثنا أبو عبد الله المقدمى قال حدّثنا أحمد بن منصور قال حدّثنا ابن عائشة قال حدّثنى بعض أصحابنا قال : لما هُزِم آبن الأشعث أَقْبَلَ منهزما حتى أتى سِجِسْتَانَ، فرأى شابا بين يديه منخرقَ القميص قد حَفِىَ وتَقَفَتْه الصُّخور فأَدْمَتْ أصابعَه، قال : فنظر اليه آبن الأشعث وأنشد أبياتا والفتى يسمع فقال :

منخرق السِّرْبال يشكو الوَجَى * تَنْقُفُه أطرافُ صَخْرٍ حِداد
شَرَّده الخوفُ وأَزْرَى به * كذاك من يكْرَه حَرَّ الجِلاد
قد كان فى الموت له راحةٌ * والموتُ حَتْمٌ فى رقاب العباد

قال : فالتفت اليه الفتى وقال : أَلَّا صَبَرْتَ حتى نصبر معك ! .

قال وحدّثنا عبد الله عن رجل عن محمد بن الحسين قال حدّثنا محمد بن معاوية قال حدّثنا ابراهيم ابن عثمان العُذْرى وكان ينزل الكوفة قال : رأيت عمر بن مَيْسَرَةَ وكان كهيئة الخيال كأنه صُبِغ بالوَرْس، لا يكاد يكلم أحدا ولا يجالسه، وكانوا يرون أنه عاشق، فكانوا يسألونه عن علته فيقول :

يسائلنى ذو اللُّب عن طُوِى علتى * وما أنا بالمُبْدِى لذى اللُّبِّ عِلَّتى
سأكتُمها صَبْرًا على حَرِّ جَمْرها * وأَسْتُرُها اذ كان فى الستر راحتى
اذا كنتُ قد أَبْصَرْتُ موضع علتى * وكان دوائى فى مواضع علتى (١)
صبرتُ على دائى احتسابا ورَغْبةً * ولم أَكُ أُحْدُوثاتِ أهلى وخُلَّتى

قال : فما أظهر أمرَه ولا علم أحد بقصته حتى حضره الموت، فقال : إن العلة التى كانت بى من أجل فلانة ابنة عمى، والله ما حجبنى عنها وأَلْزَمَنى الضُّرَّ إلا خوف الله عز وجل لا غير، فمن بُلِى

(١) فى نسخة فى مواضع لذتى ولعلهما روايتان .

فى هذه الدنيا بشىء فلا يكن أحدٌ أوثقَ عنده بِسرّه مِنْ نفسه، ولولا أن الموت نازلٌ بى الساعةَ ما حدّثتكم فأقرئوها منّى السلامَ، ومات من ساعته .

قال وأنشدنا عبدُ الله بن خلف قال أنشدنى أبو عبد الله التميمى :

وكم كَذْبةٍ لى فيك لا أستقيلها * بقولى لمن ألقاه إنىَ صالح
وأىُّ صلاحٍ لى وجِسْمِىَ ناحلٌ * وقلبىَ مشغوفٌ ودَمْعِىَ سافح

قال وأنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أحمد بن عبد السلام :

شكا فهل أنت له راحم * اليـــك من أنت به عالم
فتى تَخَلَّى الروحُ من جسمه * فليس إلا بَدَنٌ قائم

قال : وأنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أحمد بن حبيب :

ألا إنما أبقيتِ منى مع الهوى * جَوًى مُسْتَكِنًّا فى فؤاد متيَّم
وآثارَ جسم قد أَضَرَّ به البِلَى * فلم يَبْقَ منه غيرُ تلويحِ أَعْظُم

قال وأنشدنا أبو العباس ثعلب :

ولولا عَقَابِيلُ الفؤاد التى به * لقد خَرَجَت ثِنْتان تَبْتَـدِرانْ

قال أبو العباس العَقَابيل : البقايا من حبها فى قلبه . وثنتان : عَنَى بهما تطليقتين .

[حديث بعض العشاق]

قال وأخبرنا عبد الله بن خلف قال أخبرنا عبد الله بن نصر قال أخبرنى عبـد الله بن سويد عن أبيه قال : سمعت على بن عاصم يقول : قال لى رجل من أهل الكوفة من بعض إخوانى : هل لك فى عاشق تراه؟ فمضيت معه، فرأيت فتى كأنما نزع الروح من جسده، وهو مؤتزر بازار مُرْتَدٍ بآخر، وهو مفكر، وفى ساعده وردة، فذكرنا له شِعرا من الشعر فتَهَيَّج وقال :

جَعَلْت من وَرْدَتها * تَميمةً فى عَضُـدِى
أَشُمُّها من حُبِّها * اذا علانى جُهُـدِى .
فمن رأى مثـلى فتًى * للحزن أضحى يَرْتَدِى

أَسْقَمَهُ الحُبُّ فقد * صار قَلِيـلَ الأَوَدِ
وصَـارَ(١) سَاهٍ دَهْرَه * مقـارنا لِلْكَمَد
ألا فمن يَرْحَمُنى * يَرِقُّ لى من كمدى

ثم أطرق ، فقلت : ما شأنه ؟ فقالوا : عَشِق جارية لبعض أهــله ، فأَعْطَى فيها كلَّ ما يملك وهو سبعمائة دينار، فأبوا أن يبيعوها منه ، فنزل به ما ترى وفَقَد عَقْلَه . قال : فخرجنا فلبِثْنـا ما شاء الله ، ثم مات فَحَضَرْتُ جنازته ، فلما سُوِّى عليه التراب ، فاذا أنا بجارية تسأل عن القبر، فدللتها عليه ، فمـا زالت تبكى وتأخذ التراب وتجعله فى شَعْرها ، فبينا هى كذلك اذا قوم يسعَوْن ، فأقبـلوا عليها ضربًا . فقالت : شأنكم ، والله لا تنتفعون بى بعده أبدا .

[ذكر شىء من مشاهد عمرو بن معد يكرب]

قال الأصمعى : كان عمرو بن معـد يكرب قد شهد فتحَ القادسية وفَتْحَ اليَرْمُوك وفتحَ نَهَاوَنْد مع النعمان بن مُقَرِّن المُزَنى ، فكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى النعمان : إن فى جندك رَجُلَين : عمرو بن معد يكرب ، وطُلَيْحةَ بن خُوَيلد الأسدى ، فأَحْضِرْهما الناسَ وشاوِرْهما فى الحرب ولا تُوَلِّهما عملا ، والسلام . فلما قدم كتابُ عمر بعث اليهما ، فقال : ما عندك يا عمرو؟ فقال : أَرُونى كبشَ القوم فأعتنقَه حتى يموتَ أو أموت . وقال طليحة : أىَّ ناحيـة شئتم فأنا أدخل على القوم منها ، فلما التقوا أتاهم طليحة من خلفهم ، وأما عمرو فشدّ على كَمِىٍّ من القوم فقتَلَه ، وقُتِـلَ النعمان ابن مقرِّن يومئذ ، وأَخذ الرايةَ حُذيفةُ بن اليمـان حتى فتح الله عليهم . واجتمعت العرب فتفاخروا ، فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك :

لِمَن الديارُ برَوْضة السُّلانِ * فالرَّقْمَتَيْنِ فجانب الصُّمَّانِ
لعِبت بها هُوجُ الرياح وبُدِّلت * بَعْـدَ الأَنيس مَكَانِسَ الثِّيرانِ
فكأَنَّ ما أَبْقَين من آياتها * رَقْمٌ يُنَمَّق بالأكف يمـانى
دارٌ لعَمْـرة إذ تُرِيكَ مُفَلَّجا * عَـذْبَ المَذاقة واضحَ الألوان
خَصِرًا يُشَبَّه بَرْدُه وبيـاضُه * بالثلج أو بمُنَوِّر القُحْوانِ

(١) كذا فى النسخ ، وهو من باب قوله ولو أن واش ، والمدار على صحة الرواية .

وكأنّ طَعْمَ مُدامة جَبَلِيَّة * بالمسك والكافور والريحان
والشُّهْدِ شِيبَ بماء وَرْد باردٍ * منها على المُتَنفَّس الوَهْنان
وأغَرَّ مصقولًا وعَيْنَى جُؤْذَر * ومُقَلَّدا كَمُقَلَّد الأُدْمان[1]
سَنَّتْ عليه قلائدًا منظومة * بالشَّذْر والياقوت والمَرْجان
ولقد تَعارَفَتِ الضِّباب وجَعْفَر * وبنو أبى بكر بَنُو الهِصّان
سَبْيًا على القُعُدات تَخْفِق فوقَهم * راياتُ أبيض كالفَنِيق هِجَان
والأشعث الكِنْدىّ حين سَمَا لنا * من حَضْرَموْتَ مُجَنِّبَ الذُّكْرانِ
قادَ الجيادَ على وَجَاها شُزَّبا[2] * قُبَّ[3] البطون نَواحلَ الأبدان
حَتَّى اذا أَسْرَى وأَوَّب دُونَنا * من حَضْرَموتَ الى قَضِيب يمان
أضْحَى وقد كانت عليه بلادُنا * مَحْفوفة كَحَظِيرة البُسْتان
فَدَعا فَسَوَّمها وأيْقَنَ أنه * لا شك يومُ تَسَايُفٍ[4] وطِعان
لما رأى الجَمْعُ المُصَبِّح خَيْلَه * مبثوثةً كَكَواسر العِقْبان
فَزِعُوا الى الحُصُنِ المَذَاكِى عندهم * وَسْط البيوت يُرَدْن فى الأرْسان
خيل مُرَبَّطة على أعلافها * يُقْفَين دُون الحَىِّ بالألبان
وسَعَتْ نِساؤهم بكلّ مُفَاضة * جَدْلاءَ[5] سابغة وبالأبدان
فَقَذَفْنَهنَّ على كُهولٍ سادة * وعلى شَرَامِحَةٍ[6] من الشُّبّان
حتى اذا خَفَتَ الدُّعاء وصُرِّعَتْ * قَتْلَى كَمُنْقَعِر من الغُلّان
نَشَدُوا البَقِيَّة وافْتَدَوْا من وَقْعِنا * بالرَّكْض فى الأدْغال والقِيعان
واسْتَسْلَمُوا بعد القتال فانما * يَتَرَبَّقُون تَرَبُّق الحُمْلان
فأُصيب فى تسعين من أشرافهم * أسْرَى مُصَفَّدة الى الأذقان
فَشَتَا وقاظ رئيسُ كِنْدة عندنا * فى غير مَنْقَصة وغير هوان

(١) الأدمان جمع آدم، والأدمة فى الظباء: لون مشرب بياضا . (٢) شزبا: جمع شازب وهو الضامر .
(٣) قبّ البطون: ضوامرها . (٤) التسايف: التضارب بالسيف . (٥) يقال: درع جدلاء، ومجدولة اذا كانت محكمة النسج . (٦) الشرامحة: جمع شرمح وهو الطويل .

والقادِسيَّة حَيْث زَاحَمَ رُسْتَمٌ * كُنَّا الحُمَاةَ بِهِنَّ كالأشطان
الضارِبِين بكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَم * والطَّاعِنِين مجامع الأضـغان
ومَضَى ربيـعٌ بالجنود مُشَرِّفا * يَنْـوِى الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباح قُرَى السَّواد وفارسٍ * والسَّهْل والأجبال من مَكْران

قال الأصمعى : كان فيمن غزا مع الأشعث بن قيس يومئـذ من بنى الحارث بن مُعاوية كَبْشُ ابن هانئ والقَشْعَم بن الأَرْقم وبَنُو فَزارة ، فأُسِروا يومئذ مع الأشعث ، وكانت مُرَاد قَتَلَتْ قيس بن معديكرب ، فجاء الأشعث ثائرا بأبيه ، فأسر فكان أسيرا فى أيدى بنى الحارث بن كعب عند الحصين ابن قَنَاب ، حتى افتدى بألفى قَلُوص وألف من طرائف اليمن ، فخلَّى سبيله ، ففى ذلك يقول عمرو بن معديكرب هذا الشعر. قال ابن الأعرابى : بل قال هذه القصيدة التى على الحاء يوم فَيْف الريح وهى هذه :

ديار أَقْفَرَتْ من أُمِّ سَـلْمَى * بهـا دَعْسُ المُعَزَّب والمُراح
وَقَفْتُ بهـا فنادانى صِحابى * أغالَبَك الهوى أم أنت صاحى
وكَمْ مِنْ فِتْيةٍ أبناء حَرْب * على جُرْدٍ ضَوامِرَ كالقِـدَاح
وصَفٍّ ما تَسايَرُ نَجْـرتاه * تُبَشِّره الأشائم بالشِّـياح
شَهِدْتُ طِرادَه بأقَبَّ نَهْـدٍ * كتَيْس الرَّبْل[1] مُعْتَدِل وَقَاح
يقـول له الفوارس إذرأوه * تَرَى مَسَـدًا أُمِرَّ على رِماح
اذا قاموا اليـه ليُلْجموه * تَمَطَّى فوقَ أَعْمِـدة صِحاح
اذا وَرَّعْت من لَحْيَيْـه شيئا * سَمَا مُتَقاذِف التَّقْريب طاحى
اذا ما الرَّكْض أَسْهَل جانبيه * تَهَزَّمَ رَعْدُ مُبْـتَرِك جُلَاح
فلم نَقْتُل شِرارَهم ولكن * قَتَلْنا[2] الصالحين ذوى السلاح
قَتَلْنا مُطْعِم الأضـياف منهم * وأَصْحَابَ الكَرِيهة والصَّباح
فأَثْكَلْنـا الحَليلة من بَنِيهـا * وخَلَّيْنـا الخَـرِيدة للنِّكاح

(١) الربل : ضروب من الشجر اذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر .
(٢) بهامش الأصل ما نصه : قال ابن الأعرابى : الأفضلين أجود اه .

قال الأصمعى : اجتمعت زُبَيد ومُراد وخَثْعَم وثُمالة ودوس من الأزد، فقاتلوا بنى عامر وجُشيم وسَلِيا ونصرًا حيث أتوهم، فهُزِمَت عامر ومن معها، وأصيبت عين عامر بن الطُّفَيل، وقتل فيها مُسْهِر بن زيد بن قَنان الحارثى، فقال عمرو بن معد يكرب :

ولقد أَجْمَعُ رِجْلَىَّ بها * حَذَرَ الموت وإنّى لَفَرور

ولقد أَعْطِفها كارهة * حين للنّفس من الموت هَرير

كُلُّ ما ذلك منّى خُلُقٌ * وبكُلٍّ أنا فى الحرب جَدير

وابن صُبْح سادرًا يُوعِدُنى * مالَهُ فى الناس ما عشتُ مُجير

ابن صبح هو أُبَىُّ بن ربيعة بن صبح بن ناشرة بن الأبيض بن كنانة بن مُصْلية بن عامر بن عمرو بن عُلَة، قاله ابن الكلبى .

قال عمرو بن مَعْد يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيْد بن ربيعة ابن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العَشيرة بن مالك وهو مَذْحِج بن أُدَد بن زيد ابن يَشْجُب بن كَهْلان بن سبأ بن يَعْرُب بن قحطان — وكان عمرو ابن خالة الزِّبْرِقان بن بدر التميمى النسب قاله ابن الكلبى — :

لِمَنْ طَلَلٌ بتَيْمانٍ فَجُنْدِ * كأنّ عِراصَه تَوْشيمُ بُرْدِ

ألا ما ضَرَّ أهْلَكَ أن يقولوا * سُقِيتَ الغيثَ من بَلَدٍ وعَهْد

ودارٍ تُجْـذَل الدُّلّان عنها * مُلِمَّةً بأضياف ووَفْد

اذا المِهْيافُ ذو الإبل اجْتَوَاها * وأَعْرَضَ مِشْيةَ الجَمَل المُغِدّ

سَدَدْتُ فِراضَها لهمُ بِبَيْتى * وبعضُهُمُ بقُبّته يُعَدّى

وأَوْدٌ ناصرى وبنو زُبَيْد * ومَنْ بالخَيْف من حَكَم بن سعد

أَوْدُ بن صَعْب بن سَعْد العَشيرة . وحكم بن سعد العشيرة، قاله ابن الأعرابى . والخَيْف : ارتفاع وهبوط فى رأس الجبل :

لَعَمْرُكَ لو تجرَّد من مُراد * عَرانينٌ على دُهْم وجُرْد

ومن عَنْسٍ مُغامِرَةٌ طَحُونٌ * مُدَرَّبة ومن عُلَة بن جَلْد

قال ابن الأعرابى: مُغَامِرة ومُغَاوِرة: مُخالطة تَدْخُل القتال. عَنْس بن مالك أحد مَذْحِج. والحارث ابن كعب بن عُلَة بن جَلْد، وهـذه قبائل من اليمن . وجَنْبٌ: حَىٌّ من مَذْحِج. مُجَنَّبَة مَيْمنة ومَيْسرة

ومن سَعْدٍ كتائب مُعْلَمات * على ما كان من قُرْب وبُعْد
ومن جَنْبٍ مُجَنَّبةٌ ضَرُوب * لِهَام القوم بالأبطال تُرْدِى
وجُمِّع مَذْحِجٌ فيرَسُّونى * لأَبرأت المَنَاهِل من مَعَدّ
بكلِّ مُجَرَّب فى البأس منهم * أخى ثِقَةٍ من القَطِمينَ نَجْد

أبرأت: أَخْلَيْت. القَطِمين: جعلهم كالفحول من الإبل مُغْتلِمين. ونَجْد: شجاع، ونَجِيد أيضا

وكُلِّ مُفَاضة بَيْضاء زَغْفٍ (١) * وكُلِّ مُعَاوِد الغارات يَجْدى
أَؤُمُّ بها أبا قَابُوسَ (٢) حتّى * أَحُلَّ على تَحِيَّته (٣) بجُنْدى
فما نُهْنِهْتُ (٤) عن بَطَلٍ كَمِىٍّ * ولا عن مُقْلَعِطِّ (٥) الرأس جَعْد
اذا ما مَذْحِجٌ قَذَفَتْ عليها * سَرَابيلًا لها من كلِّ سَرْد
وتَرْكًا (٦) للرءوس مُسَبَّغات * الى الغايات (٧) من زَغْفٍ وقَدِّ (٨)
وهُزَّ السَّمْهَرِىُّ على المَذَاكى * مُجَنَّبَتَيْن بالأبطال تردى
وعُرِّىَ بالأَكُفِّ مُهَنَّدَاتٌ * وسُلَّ حُسامُها من كل غِمْد
وقُرِّب للنِّطاح (٩) الكَبْشُ (١٠) يَمْشى * وطاب الموت من شَرْعٍ (١١) ووِرْد
تَخَال البُزْلَ (١٢) فيـه مُقَبَّرات * كأَنَّ قُبُولَها (١٣) تَكْليل (١٤) أُسْد
هُنالك بُهْمة الفُرْسان يُلْقَى * وأصحاب الحِفَاظ وكُلُّ جِدّ
أولئك مَعْشَرى وهُمُ جبالى * وحِزْبى فى كَرِيهتهم وحدى (١٥)

(١) الزغف: الدرع اللينة . (٢) أبو قابوس: النعمان بن المنذر . (٣) التحية: الملك، قال زهير بن جناب الكلبى: ولكل ما نال الفتى * قد نلته الا التحية (٤) نهنهت: كففت . (٥) المقلعط: الشديد الجعودة . (٦) الترك: البيض . (٧) يريد أنها توصل البيضة بالزرد فاذا البس البيضة اتصلت بالزرد . (٨) القد: الدرع القصيرة وهى البدن أيضا، وقال ابن الأعرابى: القد: اليلب وهى دروع من جلود واحدتها يلبة . (٩) النطاح: القتال . (١٠) الكبش: السيد . (١١) الشرع: المسير الى الماء . (١٢) البزل: الجمال المسنة، شبه الرجال فى هذا الجيش بها اذا طليت بالقير . (١٣) قبولها: إقبالها . (١٤) يقال: كلل الأسدُ اذا حمل . (١٥) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر: * وجدّى فى كتيبتهم ومجدى * ولعلها رواية أخرى .

هُــمُ قتلُوا عزيزًا(١) يومَ لَحْج * وعَلقمة بن سَعْدٍ يوم نجْــد(١)

وهم ساروا الى المأمور شهرا * الى تِعْشَارَ سَيْرًا غيرَ قَصْــد

وهم قَسَمُوا النساء بذى أراطَى * وهم عَرَكُوا الذَّنائب عَرْكَ جِلْد

المأمور بن زيد من بنى الحارث بن كعب ، وآسمه معاوية بن الحارث . وتِعْشار : موضع . وأُرَاطَى : موضع وبه ماء لطيئ . وقوله : عَرَكُوا أى قتلوا أهله ، والعَرْكُ : الدَّلْك . والذَّنائب : مواضع أغاروا عليها فتركوها كذلك ، قال ابن الأعرابى : الذنائب : أرض من أرض قيس .

وهم وَرَدُوا المياهَ على تميمٍ * بألفِ مُدَجَّجٍ شُمْطٍ ومُرْدِ

وإخْوَتُهم رَبيعة قد حَوَيْنا * فصاروا فى النِّهاب بغير حَمْد

وهم تَرَكُوا بكِنْدة موضِحات(٢) * وما كانوا هنـاك لنا بِضِدّ(٣)

وهم زاروا بنى أسدٍ بجَيْش * مع العَبَّاب(٤) جَيْش غَيْرِ وَغْد

وهم تَرَكُوا هَوَازِنَ اذ لَقُوهم * وأسْلَمَهم رئيسُهُــمُ بجَهْد

وهم تركوا ابنَ كَبْشَةَ مُسْلَحِبًّا * وهم شَغَلوه عن شُرْب المَقَدِّى

ابن كبشة : الصباح بن قيس بن معد يكرب أخو الأشعث بن قيس . وكبشة بنت شراحيل ابن آكل المُرَار . ومسلحبّ : مجدَّل ، قال ابن الأعرابى : مسلحِب : منبسط على وجه الأرض . والمَقَدِّىّ : خمر منسوبة الى مقدّ : قرية بالشام .

وخَثْعمُ لُثِّمُوا(٥) حتى أقَـرُّوا * بخَرْجٍ(٦) فى مَوَاشِـيهم ورِفْد

وهم خَشُّوا(٧) مع الدَّيَّان(٨) حَتَّى * تَغَنَّم كُلَّ عُضْرُوطٍ(٩) وعَبْــد

وهم أخذوا بذى المَرُّوتِ ألفا * يُقَسَّم للحُصَيْن ولابن هنــد

---

(١) عزيز وعلقمة : ملكان من حمير . ولحج ونجد : موضعان . (٢) موضحات : شجات تظهر العظم ، وإنما عنى أسر الأشعث بن قيس . (٣) بضد : بمثل ، أى ليسوا لنا بنظير . (٤) العباب : رجل من بنى الحارث بن كعب ، واسم العباب ربيعة بن دُهَين ، وإنما سمى العباب لأن خيله عَبَّت فى الفرات حين جاءت من اليمن . (٥) لثموا أى جرحوا ، يقال : لثم الحجر رجله اذا جرحه ، قال طرفة : * تتق الأرضَ بملثوم معر * أى بخف قد لثمته الأرض والحجارة فأدمته ، وقال ابن الأعرابى : لثموا ضربوا على موضع اللثام . (٦) خرج وخراج وإتاوة واحد . (٧) خشوا : أوقدوا ، وخشوا : ادخلوا . (٨) الديان : رجل من بنى الحارث بن كعب . (٩) عضروط : تابع .

وهم قَتَلوا بذات الجار قَيْسا * وأشْعَثَ سَلْسَلوافى غير عقْد
أتانا ثائرًا بأبيــه قَيْس * فأهْلكَ جَيْشَ ذلكم السَّمغْد (١)
فكان فداؤه أَلفَىْ بعير * وأَلْفًا من طَرِيفات وتُلْد
وهم قتلوا بذى قَلَعٍ ثقيفًا * فما عَقَلوا وما فاءوا بزَنْد
وهم سَحَبُوا على الدَّهْنا جيوشا * يُعيدُهم شَراحيلٌ ويُبْدِى
وهم تركوا القبائلَ من مَعَدٍّ * ضِبَابًا مُحْجرين بكل حقْد
وكَمْ من ماجدٍ مَلِكٍ قَتَلْنا * وآخَرَ سُوقةٍ عَزَبٍ قُمُـدِّ (٢)
وخَصْم يَعْجز الأقوامُ عنه * شديدِ الضِّغْن أقْعَسَ مُسْمَغِدّ (٣)
حَبَسْتَ سَرَاتَهم بالضِّحِّ حتى * أنابوا بعــد إبْراقٍ ورَعْد (٤)
أُمازِحُهــم اذا ما مازَحُونى * ويُفْضِى جِدُّهم إن جَدَّ جِدِّى
فذاك وقدرجَعْنَ مُسَوَّماتٍ * يَخِدْنَ وقد قَضَيْنا كل حَرْد (٥)
فما جَمْعٌ لِيَغْلِبَ جَمْعَ قومى * مُكاثَرةً ولا فَرْدٌ لفَـــرد
ألا عَتَبَتْ علىّ اليومَ أَرْوَى * لآتيها كما زَعَمَتْ بفَهْــد
وحِمْـــيَرُ دونه قومٌ عُداة * بكل مَسيلةٍ وبكُلِّ نَجْـد
فما الأحلافُ تابِعَتِى اليه * ولا وأبيك لا آتيه وَحْدِى

[حديث عمرو بن معد يكرب مع حبى وقتله بعلها وما وقع له مع ابنه الخزز]

قال الأصمعى : خرج عمرو بن مَعْدِ يكَرِب فلقى امرأة من كِنْدة بذى المَجاز يقال لها حُبَّى بنت معد يكرب ، فلما رآها أعجبه جمالُها وكمالها وعقلها ، فعرَض عليها نفسَه فقال لها : هل لك فى كُفْء كريم ، ضَرُوبٍ لِهامَة الرجل الغَشُوم ، مُواتٍ طَيِّب الخِيم ، مِنْ سَعْدٍ فى الصَّميم ؟ قالت : أَمِنْ سَعْد العَشِيرة ؟ قال : من سعد العشيرة ، فى أُرومَتها الكبيرة ، وغُرَّتها المُنيرة ، إن كُنْتِ بالفُرْصــة بصيرة ،

(١) السمغد : الطويل الحسن السمين ، وقيل : السمغد : الأحمق ، وقال أبو عمرو : السمغد : المضطرب المسترخى ، وقال ابن الاعرابى : السمغد : الأحمر ، وقوم سمغدون أى حمر . (٢) القمد : القوى الشديد . (٣) المسمغد : الممتلئ غضبا ، أو هو الرجل الطويل الشديد الأركان . (٤) الضح : الشمس ، أو البراز من الأرض . (٥) حرد : قصد .

قالت : نِعم زَوجُ الحُرَّة الكريمة! ولكنّ لى بَعْلا يَصدُق اللقاء، ويُخيف الأعداء، ويُجزِل العطاء؛ فقال : لو عَلِمتُ أنّ لك بعلا ماعرضتُ عليكِ نفسى، فكيف أنتِ إن أنا قتلتُه؟ قالت : لأَصِيفُ عنكَ، ولاأعدِل بك، ولا أُقَصِّر دونك، وإياك أن يَغُرَّكَ قولى وأن تُعَرِّض نفسك للقتل، فإنى أراك مُفْرَدا من الناصر والأهل، والرجل فى عِزّة من الأهل وكثرةٍ من المال، فانصرف عنها عمرو وجعل يَتْبَعُها من حيث لا تعلم به، فلما قَدِمَتْ على زوجها جاء عمرو مُسْتَخْفِيا حيث يسمع كلامهما، فسألها بعلُها عما رأت فى طريقها، فقالت : رأيتُ رَجُلا مَخِيلًا للبأس، يَتَعَرَّض للقتال، ويَخْطُب حلائل الرجال، فَعَرَض علىّ نفسه فوَصَفْتُك له، فقال : ذلك عمرو، ولَدَتْنى أُمُّه إن لم يأتك مقرونا الى جَمَلٍ صَعْب غير ذَلُول . فلما سمع عمرو كلامَه دَخَل عليه بَغْتةً من كِسْرِ خبَائه فقَتَلَه، ووقع عليها. فلما فَرَغ قال لها : إنى لم أَقَعْ على آمرأة فى جِمَامى إلّا حَمَلَتْ، ولا أُراكِ الا قد حملتِ، فان وَلَدْتِ غلاما فَسَمِّيه خُزَزا، وإن ولدت جارية فسمِّيها عِكْرِشة، وأعطاها علامةً ومضى عمرو فمكث بعد ذلك دهرا، ثم انه خرج بعد ذلك يوما يتعرّض للقتال عليه سلاحه فإذا هو بفتى على فرس شاكٍ فى السلاح، فدعاه عمرو للبارزة، فأجابه الفتى، فلما اتّحدا صرع الفتى عمرا وجلس على صدره ليذبحه، فسأله من أنت؟ فقال : أنا عمرو، فَهَمَز الفتى عن صدره وقال : أنا ابنك الخُزَز، وأعطاه العلامة، فأمره عمرو أن يسير الى صنعاء ولا يكون ببلدة هو بها، ففعل الغلام ذلك، فلم يَلْبَثْ أن ساد من كان بين أظهرهم، فاستغوَوْه وأمروه أن يقاتل عمرا وشكَوْا اليه فعله بهم، فسار الى أبيه بجمع من أهل صنعاء، فلما آلتقيا شدّ كل واحد منهما على صاحبه فقتله عمرو، فقال فى ذلك :

تَمَنَّانى ليقتلنى * وأنتَ لذاك مُعْتَمِدُهْ
فلو لَاقَيْتُمُ فَرَسِى * وفوق سَرَاتِه أَسَدُه
اذًا لَلَقِيتُمُ شَثْنَ الـ[1] * ـبَرَاثِنِ نابيًا كَتِدُه[2]
ظَلُوم الشِّرْك فيما أحْـ * ـلَقَتْ أظفارُه ويَدُه
يَلُوثُ القِرْنَ اذ لاقا * ه يومًا ثُمَّ يَضْطَهِدُه
يَزِيف كما يزيف الفَحْـ * ـلُ فوقَ شُؤونه زَبَدُه

(١) شثن البراثن : غليظها وخشنها . (٢) الكتد : مجتمع الكتفين من الانسان والفرس .

يُذَبِّب عن مَشَافِرِه الـ * ـبَعُوضَ مُمَنَّعًا بَلَدُه
ولو أَبْصَرْتَ ما جَمَّعْـ * ـتُ فَوْقَ الوَرْدِ تَزْدَهِدُه
رأيتَ مُفاضةً زَغْفًا * وتَرْكًا(١) مُبْهَمًا سَرَدُه
وصَمْصامًا يَكَفِّى لا * يَذُوق الماءَ من يَرِده
شَمَائلَ جَدِّه وكذا * ك أَشْبَهَ والدًا وَلَدُه
أَمَرْتُكَ يومَ ذى صنْعا * ءَ أمْرًا بَيِّنًا رَشَدُه
فَعَالَ الخير تأتيـه * فَتَفْعله وتَتَّعِـده
فكنتَ كَذِى الحُمَيِّرِ غَرَّه مِن عَيْره وَتِده
ولو أبْصَرْتَ والبَصَرُ الْـ * ـمُبِينُ قَلَّ مَن يَجِده
اذًا لَعَلِمْتَ أَنَّ أبا * كَ لَيْثٌ فوقه لِبَدُه

[حديث حاتم وما اشتهر به من السماحة والنجدة وما وقع له مع زوجته ماوية]

قال الأصمعى : كان حاتم من شعراء العرب، وكان جوادا شاعرا، وكان شِعْرُه يشبه جودَه وجودُه يشبه شعرَه، وكان حيثما نَزَل عُرِف منزلُه، وكان مُظَفَّرا اذ قاتَل غَلَب، واذا غَنِم أَنْهَب، واذا سُئل وهَب، واذا ضَرَب بالقِدَاح سَبَق، واذا أَسَر أطْلَق، وكان يُقْسِم بالله لا يَقْتُل واحدَ أُمِّه، وكان اذا أَهَلَّ الشهرُ الأصمُّ وهو رجب الذى كانت العرب تعظمه فى الجاهلية نحر كل يوم عشرة من الإبل فأطعم الناسَ واجتمعوا اليه، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحُطيئة وبشر بن أبى خازم . وذُكر أن أمَّ حاتم أُتِيَتْ وهى حُبْلَى فى المنام، فقيل لها : غلام سَمْحٌ يقال له حاتم ألا قُولِي : أَحَبُّ اليكِ أم عشرة غِلْمة كالناس، لُيُوثٌ عند الباس، ليسوا بأوغالٍ ولا أنكاس؟ فقالت : لا، بل حاتم، فولدت حاتما، فلما تَرَعْرَع جعل يُخْرِج طعامَه، فإن وَجَد أحدا أَكَل مَعَه، وإن لم يجد أحدا طَرَحه . فلما رأى أبوه أنه يُهْلِك طعامَه قال : الحَقْ بالإبل، فخرج اليها وَوَهَب له جارية وفَرَسا وفَلُوَّها، فلما أتاها طَفِق يَبْغِى الناسَ فلا يجدهم، ويأتى الطريقَ فلا يجد عليها أحدا، فبينا هو كذلك اذ بَصُر بِرَكْب على الطريق فأتاهم، فقالوا : يافتى، هل مِنْ قِرًى ؟ فقال حاتم : تسألون عن القِرى وقد رأيتم الإبل! انزلوا —

(١) الترك : جمع تَرْكة وهى البيضة توضع على الرأس فى الحرب .

وكان الذين بَصُربهم عَبيد بن الأَبْرَص وبِشْربن أبى خَازِم وزِيَاد بن جَابِر وهو النابغة — وكانوا يريدون النعمان فنحَر لهم حاتم ثلاثةً من الإبل، فقال عبيد : إنما أردنا اللبنَ وكانت تكفينا بَكْرة إذ كنتَ لا بُدَّ متكلِّفا لنا، فقال حاتم : قد عرفتُ، ولكنِّى رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة، فعلمت أن البلدان غير واحدة، فأحببتُ أن يَبْقَى لى منكم فى كل بلد ذِكْر، فقالوا فيه شعرا يمتدحونه ويذكرون فضله، فقال لهم حاتم : إنما أردت أن أحسن اليكم فصار لكم علىّ الفضل، وعلىّ أن أضرب عَراقيبَ إبلى أو تقوموا اليها فتقتسموها، ففعلوا فأصاب الرجلُ منهم تسعةً وثلاثين بعيرا، ومَضَوْا على سَفَرهم الى النعمان، وسمع أبوه بما فعل فأتاه، فقال : أين الإبل؟ فقال : ياأبَتِ، طَوَّقْتُكَ طَوْقَ الحمامة مَجْد الدهر وكرما، لا يزال رجل يَحْمِل لنا بَيْتَ شِعْر أبدا بإبلك، فقال أبوه : أبإبلى؟ قال : نَعَمْ، قال : والله لا أسكن معك أبدا، فخرج أبوه بأهله وترك حاتما، فقال فى ذلك حاتم يذكر تحوّل أبيه عنه :

وإنِّى لَعَفُّ الفَقْر مُشْتَرَكُ الغِنى * وتاركُ شكل لا يُوَافِقُه شَكْلى
وشَكْلِىَ شَكْلٌ لا يقوم بمثله * من الناس إلّا كلُّ ذى نِقَةٍ مِثْلى

من جملة أبيات . ولما تَزَوَّج حاتمٌ ماوِيَّةَ وكانت من أحسن النساء لبثتْ عنده زمانا . ثم ان ابنَ عم لحاتم يقال له مالك قال لماوِيَّة : ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وَجَدَ لَيُتْلِفَنَّ، ولئن لم يَجِدْ لَيَتكلَّفَنَّ، ولئن مات لَيَتْرُكَنَّ ولدكِ عِيالًا على قومه . فقالت : صَدَقتَ، إنّه لكذلك . وكانت النساء أو بعضهنّ يطلِّقنَ الرجالَ فى الجاهلية، وكان طَلاقُهنّ أنهنَّ يُحَوِّلْنَ أبوابَ بُيوتهن، إن كان الباب الى المشرق جَعلْنَه الى المغرب، وإن كان الباب قِبَلَ اليمن جَعلْنَه قِبَلَ الشام، فإذا رأى الرجل ذلك عرف أن آمرأته طلقته، وقال آبن عمه لها : فأنا أنصحك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أُمسِك عليكِ وعلى ولدكِ، فلم يزل بها حتى طلَّقت حاتما، فأتاها وقد حَوَّلت الخباءَ، فقال لابنه : ماترى أمك ما عدا عليها؟ فقال : لاأدرى، فَهَبط به بطنَ واد . وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فَتَوافَى خمسون رجلا فضاقت بهم ماوِيَّة ذَرْعا، فقالت لجاريتها : اذهبى الى مالك فقولى : إن أضيافا لحاتم نزلوا بنا وهم خمسون رجلا، فأرسل الينا بناب نَنحرها لهم وبِوَطْب لبن نسقيهم، وقالت لجاريتها : انظرى الى جبينه وفمه، فان سابقك بالمعروف فاقبلى منه، وإن ضَرَب بلَحْيَيْه على زَوْرِه وأدخل يدَه فى رأسه فارجعي ودَعِيه . فلما أتته وجدته متوسِّدا وَطْبًا من لبن، فأيقظتْه وأبلغته الرسالةَ

وقالت : انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكانَه، فضرب بلحييه على زوره وأدخل يده فى رأسه وقال لها : اقرئى عليها السلام وقولى لها : هــذا الذى نَهَيْتُك عنه وأمرتُك أن تُطَلِّقِى حاتما من أجله ، فما عندى من كبيرة قد تركت العمل، وما كنت لأنحر صغيرة لشحم كلاها : وما عندى من لبن يكفى أضيافَ حاتم، فرجعت الجارية وأعلمتها بمقالته، فقالت لهـا : ويلك! ائتى حاتمـا فقولى له : إن أضيافك نزلوا بنا الليلة ، فأرسـلْ الينا بناب ننحرها لهم ولبن نسقيهم ، فقال حاتم : نَعَمْ، وأبى وأنياب، وقام الى الإبل فأطلق عُقُلَها، وصاح بها حتى أتى الخباء وضرب عراقيبَها، فطَفِقَتْ ماوِيَّة تصيحُ : هذا الذى طلقتك فيه تترك ولدك ليس لهم شىء . وان حاتما دَعَتْه نفسه الى بنت عَفْزَر ، فأتاها يخطبها، فوجد عنــدها النابغة ورجلا من النَّبِيت يَخْطُبانها ، فقالت لهم : انقلبوا الى رِحَالِكم وليقل كل رجل منكم شعرا يذكر فيه فعاله وخصائله ، فإنى أتزوج أشعرَكم وأكرمَكم ، فانصرفوا ونَحر كلٌّ واحد منهــم جزورا ، ولبست بنت عفزر ثيابا لأمة لها ، وأتتهم فاستطعمت كلَّ رجل منهم ، فأتت النَّبِيتِىَّ فأطعمها ثِيلَ جَمَلِه فأخذتْه ، ثم أتت النابغةَ فأطعمها ذَنَبَ جمله فأخذتْه ، ثم أتت حاتمـا وقد نَصَب قُدورَه وهى على النار فاستطعمته فأطعمها قطعة من السَّنام وغير ذلك واطعمها عِظَاما من العَجُز قد نَضِجَتْ ، فأهدى اليها كل رجل منهــم ظهر جمله وأهدى اليها حاتم مثــل ما أهدى الى جاراته ، فصبحوها فاستنشدتْهم فأنشدها النبيتىُّ قصيدتَه التى يقول فيها :

هَلَّا سألتِ هداكِ الله ما حَسَبِى * عنــد الشتاء اذا ما هَبَّتِ الريح

فقالت : لقد ذَكَرْتَ جَهْدا . واستنشدتِ النابغةَ فأنشدها :

هلا سألت هداك الله ما حسبى * اذا الدُّخان تَغَشَّى الأشْمَطَ البَرَما

ثم ٱستنشدتْ حاتما فأنشدها .

* أماوىَّ قد طال التَّجَنب والهجرُ *

فلما فرغ حاتم من إنشاده دَعَتْ بالغَدَاء، وقد كانت أمرتْ جواريَها أنْ يُقَدِّمْن الى كل رجل ما أطعمها، فقدَّمْن اليهم ثِيلَ الجَمَل وذَنَبه [(١)] ، فنَكَّس النَّبِيتِىُّ والنابغة رءوسهما . وان حاتما لمـا نظر الى ذلك رَمَى بالذى قُدِّم اليهما وأطعمهما مما قُدِّم اليه ، فتَسَلَّلَا لِوَاذا ، فقالت : إن حاتما أكرمُكم وأشعرُكم

(١) كذا فى الأصل، ولم يذكر هنا ما قدّم الى حاتم .

فلما خرجا قالت لحاتم : خَلِّ سبيل امرأتك ، فأبى فَرَدَّته وردَّتهم . فلما انصرف دعتْه نفسُه اليها وماتت امرأته فَخَطبها فتزوجتْه ، فولدت له عَديًّا وكانت من بنات ملوك اليمن . ويقال : إن عديا وعبد الله وسَفَّانةَ بنى حاتم من امرأته النَّوَار . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقالت طيِّئٌ : إن رجلا يعرف بأبى خَيْبَرِىّ قَدِم فى رُفْقة له ونزل بقبر حاتم وبات يناديه ، أبا عَدِىٍّ اقْرِ أضيافَك ، فلما كان وقتُ السَّحَر وثَب أبو خَيْبَرِى يصيح واراحلتاه ! فقالت أصحابه : ما شأنك؟ قال : خرج حاتم والله بالسيف حتى عَقَر ناقتى وأنا أنظر اليه ، فنظروا فإذا هى لا تنبعث ، فقالوا : والله قد قَرَاك ، فَنَحروها وظَلُّوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فبينا هم كذلك فى سيرهم طَلَع عليهم عدى بن حاتم ومعه جمل أسود قد قَرَنه ببعيره فقال : إن حاتما جاءنى فى النوم فذكر لى شتْمَك إياه ، وإنه قَرَاك وأصحابَك راحلتَك ، وأمرنى أن أدفع لك هذا البعير وقد قال أبياتا فى ذلك وردَّدَها عَلَىَّ حتى حفظتُها :

أبا خَيْبَرِىٍّ وأنت آمرؤ * ظَلُومُ العَشِيرة لَوَّامُها
فماذا أردت الى رِمَّة * بِدَاوِيَّة صَخِب هامُها
تَبَغَّى أذاها واعسارها * وحَوْلَك عَوْفٌ وأنعامها

نَخُذْه ، فأخذه وانصرف مع رفقته .

قال وحدّثنا النيسابورى قال حدّثنا حاجب بن سليمان قال حدّثنا مؤمل بن إسماعيل قال حدّثنا سفيان عن آبن جُرَيج عن عطاء بن زيد بن خالد الجُهَنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من فَطَّر صائما أو جَهَّز غازيا كان له مثل أجره"[1] .

---

(١) وقع هـذا الحديث هنا فى صلب الأصل وتقدّم فى أوّل الذيل ملحقا بالهامش مضببا عليه وعليه علامة الصحة ، ولم ندر ما حكمة ذلك .

كمل كتاب الذيل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ويليه كتاب النوادر للإمام أبى على القالى أيضا رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتاب النوادر

[أخبار عروة بن حزام مع ابنة عمه عفراء وقصيدته النونية]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال حدّثنا أبو على الحسن بن عُليل العَنَزى قال حدّثنا على بن الصَّبَّاح قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنا هشام بن محمد أبو السائب المخزومى عن هشام بن عروة عن أبيه عن السكن بن سعيد عن النعمان بن بشير قال : استعملنى معاويةُ رضى الله عنه على صدقات بَلِيٍّ وعُذْرة ، فإنّى لفى بعض مياههم اذ أنا ببيتٍ مُنْحَرِدٍ ناحيةً ، واذا بفِنائه رجلٌ مُسْتَلْقٍ وعنده امرأة وهو يقول أو يتغنى بهذه الأبيات :

جَعَلْتُ لعَرَّاف اليَمَامة حُكْمَه * وعَرافِ نجد إن هما شَفَيانى

فقالا نعم نَشْفِى من الداء كلّه * وقاما مع العُوَّاد يَبْتَدِران

فما تَرَكا من رُقْيَةٍ يَعلمانها * ولا سَلْوةٍ الا وقد سَقَيانى

فقالا شفاكَ الله والله ما لَنا * بما حُمِّلَتْ منك الضلوعُ يَدَان

فقلت لها : ما قصته؟ فقالت : هو مريض ما تكلّم بكلمة ولا أنَّ أَنّةً منذ وقت كذا وكذا الى الساعة ، ثم فتح عينيه وأنشأ يقول :

من كان مِنْ أُمَّهاتى باكيا أبدا * فاليومَ إنى أرانى اليومَ مقبوضا

يُسْمِعْنَنِيه فإنى غير سامعه (1) * اذا حُمِلْتُ على الأعناق معروضا

ثم خَفَتَ فمات ، فغَمَّضْتُه وغَسَّلته وصلَّيت عليه ودفَنْتُه ، وقلت للمرأة : من هذا؟ فقالت : هذا قتيل الحُبِّ ! هذا عُرْوة بن حِزَام ! .

---

(1) بهامش الأصل فى نسخة : اذا علوت رقاب القوم معروضا الخ .

قال أبو على قال أبو بكر : وقصيدةُ عروةَ هــذه النونيةُ يختلف فيها الناس فى بعض الأبيات ويتفقون على بعضها ، فالأول الأبيات المجتمَع عليها وما يتلوها مما يُختلَف فيه ، أنشدنى جميعَه أبى رحمه الله عن أحمد بن عُبَيد وغيره وعبدُ الله بن خَلَف الدَّلّال عن أبى عبد الله السَّدُوسى وأبُو الحسن بن البَرَاء عن الزُّبَير بن بَكّار وألفاظُهم مختلِطٌ بعضُها ببعض ، وهى هذه :

خليلىَّ من عُلْيـا هلال بن عامر * بصَنْعاء عُوجَا اليومَ وانتظرانِى

ولا تَزْهَدا فى الأجرعندى وأجملا * فإنَّكُما بى اليَــوْمَ مُبتَلَيَانِ

ألم تعلما أن ليس بالمَــرْخ كلِّه * أخٌ وصــديق صـالح فَذَرانى

أفى كلِّ يومٍ أنتَ رامٍ بلادَهـا * بعينَيْن إنسانا همـا غَرِقانِ

ألا فاحمــلانى بارك الله فيكما * الى حاضر الرَّوْحاء ثُمَّ دعانى

على جَسْرةِ الأَصْلاب ناجيةِ السُّرى * تُقَطِّع عَرْضَ البِيـدِ بالوَخَدانِ

ألِمَّـا على عَفْـراء إنكما غدًا * بشَحْطِ النَّوَى والبَيْن مُعْـتَرِفانِ

فيا واشِيَىْ عَفْرا دَعَانى ونَظْــرةً * تَقَــرُّ بهـا عَيناىَ ثم كِلاَنِى

أغَرَّكُما مِــنِّى قميصٌ لَبِسْــتُه * جَدِيدٌ وبُرْدَا يَمْنَــةٍ زَهِيَـانِ

مَــتَى تَرْفعا عنِّى القَميصَ تَبَيَّنا * بِىَ الضُّرَّ من عَفْــراءَ يا فَتَيَانِ

وتَعْــتَرِفا لَحْمًـا قليــلا وأَعْظُما * رِقَاقًا وقَلْبـا دائمَ الخَفَقَانِ

على كَبِدى من حُبِّ عَفْراءَ قُرْحةٌ * وعَيْنَاىَ مِنْ وَجْدٍ بهـا تَكِفَانِ

فَعَفْراءُ أرجَى الناس عندى مَوَدَّةً * وعَفْــراءُ عَنِّى المُعْرِضِ المُتَوانى

قال أبو بكر قال بعض البصريين : ذَكَّرَ المُعْرِض ، لأنه أراد : وعفراءُ عنِّى الشخصُ المعرِضُ . وقال الكوفيون : ذكَّره بناء على التشبيه ، أراد : وعفراءُ عنِّى مثلُ المعرض ، كما تقول العرب : عَبْدُ الله الشمسُ مُنيرةً ، يريدون مِثْل الشمس فى حالة إنارتها .

فيالَيْتَ كلَّ اثنين بينهما هَــوًى * من النـاس والأنعام يَلْتقِيانِ

فيقضى حبيبٌ من حبيب لُبـانةً * ويَرْعاهمـا[1] ربِّى فــلا يُرَيانِ

(١) بهامش الأصل ما نصه ويروى : ويســترها ، بسكون الراء بدل قوله ويرعاها على أن الأصل ويسترهما مضموم الراء فسكنت لكثرة الحركات اهـ.

هَــوَى ناقتى خَلْفِى وقُدَّامِىَ الهوى * وإنِّى وإيَّاهــا لَمُخْتَلِفانِ
هواىَ أَمَامِى، ليس خَلْفِى مُعَــرَّجٌ * وشَوْقُ قَلُوصِى فى الغُـدُوِّ يَمَـانى
هَــوَاىَ عِرَاقِىٌّ وتَثْنِى زِمامَــها * لِــبَرْقٍ اذا لاح النجــومُ يمـانى
مَتَى تَجْمَعِى شَــوْقى وشَوْقَكِ تَظْلَعِى * وما لَكِ بالعِبْءِ الثقيــل يَدَانِ
فيـا كَبِدَيْنا من مَخافة لَوْعَة الــ * ــفِرَاقِ ومن صَرْف النَّــوَى تَجِفَانِ (١)
وإذ نَحْنُ مِنْ أن تَشْحَط الدارُ غُربةً * وأن شُقَّ للبَيْنِ العصا وَجِلانِ
يقول لِىَ الأصحابُ اذ يَعْــذُلُونَنى * أشَــوْقٌ عراقىٌّ وأنت يمـانى
وليس يَمَـانٍ للعِــراق بصاحب * عَسَى فى صُروف الدهر يلتقيـان
تَحَمَّلْتُ من عَفْراء ماليس لى به * ولا للجِبـالِ الرَّاسِـيَاتِ يَدَانِ
كأنَّ قَطَـاةً عُلِّقَتْ بجناحها * على كَبِدِى من شِـدَّة الخَفَقانِ
جعلت لعــرّاف اليمامة حكمــه * وعرافِ نجــد إن همـا شفيانى
فقـالا نعمْ نَشْفِى من الداء كلِّه * وقاما مع العــوّاد يَبْتَدِرَانِ
فمـا تركا من رقيــة يعلمـانها * ولا سـلوة الا وقد سـقيانى
وما شَــفَيَا الداءَ الذى بِىَ كلَّه * ولا ذَخَــرَا نُصْحا ولا أَلْوَانى (٢)
فقـالا شــفاكَ اللهُ واللهِ ما لنـا * بمـا ضُمِّنَتْ منــك الضلوعُ يَدَانِ
فَرُحْت من العرّاف تسـقُط عِمَّتى * عن الرأس ما أَلْتَـاثُها بِبَنَـانِ
مَعِى صاحبا صِدْق اذا مِلْتُ مَيْـلة * وكانا بِدَفَّىْ نِضْــوتى عَدَلانى
فيـا عَمِّ يا ذا الغَدْر لا زلت مُبْتَـلًى * حَلِيــفا لِهَمٍّ لازمٍ وهوانِ
غَدَرْتَ وكان الغــدرُ منك سَجِيَّــةً * فَأَلْزَمْتَ قلــبى دائمَ الخَفَقانِ
وأَوْرَثْتَنِى غَمًّـا وكَرْبًا وحَسْرة * وأورثت عيــنى دائم الهَمَلانِ
فلا زِلتَ ذا شوق الى من هَوِيتَــه * وقَلْبُــك مقسوم بكل مكانِ
وإنى لأَهْوَى الحشر اذ قيــل إننى * وعَفْــراءَ يوم الحشر مُلْتَقِيانِ

---

(١) تجف : تخفق وتضطرب . (٢) ما ألوانى : ماقصّرا فى حق .

ألا يا غُرَابَىْ دِمْنــــةِ الدار بَيِّنـا * أبِالهجر من عفـــراءَ تَنْتَحِبانِ
فان كان حَقًّا ما تقولان فاذْهَبا * بلَحْمى الى وَكْرَيْكما فكُلانى
كُلانِىَ أَكْلًا لم ير النـاسُ مثــلَه * ولا تَهْضِما جَنْـــبِىَّ وازْدَرِدانى
ولا يَعْلَمَنَّ الناسُ ما كان قِصَّتى * ولا يأكُلَنَّ الطـــيرُ ما تَذَران
أنَاسِـــيَةٌ عَفراءُ ذِكْرِىَ بَعْـــدَما * تَرَكْتُ لهـا ذِكْرًا بكل مكان
ألا لعنَ اللهُ الوُشاةَ وقَوْلَهـــم * فـلانَةُ أَضْحتْ خُـــلَّةً لفلان
اذا ما جَلَسْـــنا مجلسا نَسْـــتَلِذُّه * تَوَاشَـــوْا بنـا حَتَّى أَمَـلَّ مكانى
تَكَنَّفَنِى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحـــدٌ لكفانى
ولو كان واش باليمامة أرضُـــه * أُحاذره من شُـــؤْمه لأتانى
يُكَلِّفنى عَمِّى ثمانين ناقـــةً * ومالِىَ والرَّحمنِ غـــيرُ ثمـان
فيـا ليت مَحْيَـانا جميعـا ولَيْتَنـا * اذا نحن مُتْنا ضَمَّنا كَفَنان
ويا ليت أَنَّا الدهرَ فى غير رِيبَـــةٍ * خَلِيَّانِ[1] نَرْعَى القَفْــر مؤتلفان
اذا ما وَرَدْنا مَنْهَـــلا صاح أهـلُهُ * وقالوا بَعِـــيرا عُرَّةٍ[2] جَرِبَانِ
فـــوالله ما حَدَّثْتُ سِرَّكِ صاحبـا * أخًا لى ولا فاهت به الشفتان
سوى أننى قـد قلت يوما لصاحبى * ضُحًى وقَـــلُوصانا بنـا تَخِدان
ضُحَيًّـا ومَسَّتْنا جَنـــوبٌ ضعيفة * نَسِـــيمٌ لرياها بنـا خفقان
تَحَمَّلْتُ زَفْـــرَاتِ الضحى فأطَقْتُها * ومالى بزَفْـــراتِ العَشِىِّ يَدَان
فياعَمِّ لا أُسْقِيتَ من ذى قَرَابةٍ * بِلالًا فقـــد زَلَّت بك القَـدَمان
ومَنَّيْتَنِى عفـــراءَ حـتى رَجَوْتُها * وشـاع الذى مَنَّيْتَ كُلَّ مكان
بُنَيَّـــةُ عَمِّى حِيـــلَ بينى وبينها * وصاح لوَشْـــكِ الفُـرْقةِ الصُّرَدان[3]

(١) بهامش الأصل : ويروى بعيران بدل قوله خليان . (٢) العرة : الجرب، وقيل : قروح مثل القوباء تخرج بالابل متفرقة فى مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا يعديها المريض . (٣) الصردان مثنى صرد وهو طائر أبقع ضخم الرأس يكون فى الشجر نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار له برثن عظيم نحو من القاوية فى العظم ويقال له الأخطب لاختلاف لونيه .

فيا حبَّذا مَنْ دونه يَعْــذُلوننى * ومَنْ حَلِيَتْ عينى به ولسـانى

ومَنْ لو أراه فى العَــدُوِّ أتيتُــه * ومَنْ لو يَرانى فى العــدوّ أتانى

ومن هابنى فى كل أمرٍ وَهِبْتُــه * ولو كُنْتُ أَمْضَى من شَـبَاةِ سِنَانِ

فوالله لولا حُبُّ عَفْــراءَ ما التقى * عَــلَىَّ رِوَاقَا بَيْتِــك الخَلَقانِ

خَلِيقانِ هَلْهَالانِ لا خير فيهما * قبيحان يَجْـرِى فيهما البِرْقانِ (١)

رِواقانِ هَفَّــافانِ لا خــير فيهـما * اذا هبَّتِ الأرواحُ يَصطَفِقَانِ

ولم أَتْبَع الأظعانَ فى رَوْنَقِ الضحى * ورَحْلِى على نَهَّـاضة الحَدَيانِ

لِعَفْراء إذ فى الدَّهْرِ والنـاس غِرَّةٌ * وإذ خُلُقانا بالصِّبا يَسَرَانِ

لأَدْنُو من بَيْضاء خَفَّاقــة الحَشَا * بُنَيَّــة ذى قاذُورة شَــنَآنِ

كأنَّ وِشاحَيْهـا اذا ما ارْتَدَتْهما * وقامَتْ عِنَانا مُهْــرةٍ سَلِسان

يَعَــضُّ بأبدان لهـا مُلْتَقاهمـا * ومَتْناهمـا رِخْــوان يضطربان

وتحتهـما حِقْفَانِ قــد ضَرَبَتْهُمَا * قِطَارٌ من الجَوْزاء مُلْتَبِــدان

أعَفْــراءُ كم من زَفْرةٍ قــد أَذَقْتِنِى * وحُزْنٍ أَلَجَّ العَيْنَ بالهَمَــلان

وعَيْنانِ ما أَوْفَيْتُ نَشْزا فتنظُرا * بمَأْقَيْهِما إلّا هما تَكِفَانِ

فلو أن عَيْنَىْ ذى هوى فاضَتَا دَمًا * لفــاضَتْ دَماً عَيْنـاى تَبْتَــدِران

فهل حادِ يَا عَفْراء ان خِفْتُ فَوْتَها * عَــلَىَّ اذا ناديْتُ مُرْعَوِيَانِ

ضَرُوبانِ للتـالى القَطُوف اذا وَنَى * مُشِيحان من بَغْضائنـا حَــذِران

فمـا لكُمَا من حادِيَيْنِ رُمِيتُمَا * بحُمَّى وطاعــونٍ ألا تَقِفَــانِ

وما لكما من حاديَــين كُسِيتُمَا * سَرَابيــلَ مُغْــلاةً من القَطِران

فَوَيْلِى عــلى عَفْــراء وَيْلًا كأنه * على الكَبْدِ والأحشاء حَدُّ سِــنان

ألا حَبَّــذَا مِن حُبِّ عَفْراءَ مُلْتَقَى * نَــعَمْ وألا لا حَيْثُ يَلْتَقِيانِ

(١) البرقان : دود يكون فى الزرع ثم ينسلخ فيصــير فراشا كما فى اللسان . وفى البيت الإقواء، وهو اختلاف حركة الروى بالرفع والجر .

قال أبو بكر أخبرنى أبى عن الطُّوسى قال : أراد بقوله ملتقى نعم وألا لاشَفَتَيْها ، لأن الكلمتين فى الشفتين تلتقيان . ويروى :

ألا حبذا من حب عفراء ملتقى ∴ نَعـامٍ وبِرْكٍ حيث يلتقيان

وقال : هما موضعان

لَو انّ أشَدَّ الناس وَجْدا ومثلَه ∴ من الجنّ بعـــد الإنس يلتقيان

فيشتكيان الوجـــد ثُمَّتَ أشتكى ∴ لأَضْعَفُ وَجْدى فَوْقَ ما يجدان

فقــد تَرَكَتْنِى ما أعِى لمحـدِّث ∴ حَديثا وإن ناجَيْتُه ونَجَانى

وقـــد تركتْ عفراءُ قلبى كأنه ∴ جَنَاحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقَـان

***

قال أبو على قال أبو العبـاس ثعلب : سُمِّيَت العَنَزة عَنَزة من قولهم : اعْتَـنَز الرجلُ اذا تَنَحَّى ، وذلك أن الإمام يجعلها بين يديه اذا صلى ويقف دونهـا فتكون ناحيةً عنه . قال : وسميت الحَرْبة حَرْبة من قولهم : حَرَبْتُه اذا أحميتَه وأغضبتَه ، لانها حادّة ماضية . والعِتْرة : أقرب أهل الرجل اليه ، ومنه عِتْرةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى من عَتْر الريح وهو حركتها واضطرابها . والعَتِيرة : الذبيحة التى كانت تُذْبَح فى الجاهلية فى رجب ، وهى من الحركة والأضطراب ، لان الرجل كان يَنْذر اذا كَثُر ماله أن يَذْبَح منه ، واذا كثر المـال انتشر ، والانتشار : الاضطراب . وسمى عَنْتَرة من ذلك لتَحَرُّكه فى الحرب وتَصَرُّفه وأخذه فى كل وَجْه وناحية .

وأنشد أبو العباس :

فإن تَشْرَب الأرْطَى دَمًا من صديقنا ∴ فـلا بُدَّ أن تُسْـقَى دِماءَكم النَّخْلُ

يقول : إن قتلتم صاحبنا فى هذا الموضع الذى يُنْبت الأَرْطَى اهتبالًا لغَفْلته ووَحْدته ، فإنّا لِعِزّنا نقصدكم طالبين بثأره جهارا فى بلادكم وأوطانكم .

[تخطئة العامة فى قولهم فلان قرابة فلان والصواب قريب فلان]

قال وقول العامة : فلان قَرَابَةُ فلان مُحال ، إنما كلام العرب : هذا قَرِيب فلان ، وهؤلاء أقَارِبُ فلان وأَقْرِباؤه ، وقَرَاباتٌ ليس بشىء .

قال وقول ذى الرمة :

كأنهن خَوَافِى أَجْدَلٍ قَرِمٍ ❊ وَلَّى لِيَسْبِقَه بالأَمْعَزِ الخَرَب

ترتيبه : كأن الحُمُر بالأمعز خوافى أجدل قرم ، والخوافى مستوية ، والقوادم ليست كذلك ، فأراد أنه ليس يَفضُل بعضُها بعضًا فى العَدْوِ لجِدِّها ونجائها . وأنشد له أيضا :

نَظَرْتُ إلى أظعان مَىٍّ كأنها ❊ ذُرَى النخل أو أَثْلٌ تميل ذوائبُه

فأَسْبَلَتِ العينانِ والقلب كاتمٌ ❊ بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّتْ عليه سَوَاكبُه

هَوَى آلِيفٍ حان الفراقُ ولم تَجُلْ ❊ مَجَاوِلَهَا أسرارُه ومَعَاتبُه

اذا راجَعَتْك القولَ مَيَّةُ أو بدا ❊ لك الوجهُ منها أو نَضَا الدِّرْعَ سالبُه

فيَالَك مِنْ خَدٍّ أَسِيلٍ ومَنْطِق ❊ رَخِيمٍ ومِنْ وَجْهٍ تَعَلَّل جادِبُه

تَعَلَّل : من العَلَل وهو الشُّرب مرة بعد مرة ، أى نظَر الناظرُ وأعاد نظرَه مرّة بعد مرة فلم يجد عيبا . وأَشْعَلَتْ[1] الدموعُ : كَثُرت فتفرّقت . وكَتِيبة مُشْعِلة أى كثيرة متفرّقة . ويقال : أَشْعَل السلطانُ جماعةً فى طلبه أى فرّقهم .

قال وأنشدنا ثعلب ليزيد بن الطَّثَرِيَة — وقال الطَّثْرة : الخِصْب وكثرة الخير — :

بنفسى من لايَسْتقِلُّ بنفسه ❊ ومَنْ هُوَ إن لم يَحْفَظ اللهُ ضائع

قال ويقال : فلان سَرَاب بِقِيعَة أى لا يُحَصَّل منه على شىء . وشَرَّابٌ بأَنْقُع أى حازم كامل .

قال : وسُمِّى اللِّصّ لِصًّا لأنه يَجْمَع نفسَه ويُضَائل شخصَه ليستتر بذلك ، وهو من قولهم : لَصِصَتْ أضراسُه اذا اجتمعت وتلاصقت . وقال امرؤ القيس يصف كلبا :

أَلَصُّ الضُّروس حَنِيُّ الضُّلُوع ❊ تَبُوعٌ طَلُوبٌ[2] نَشِيطٌ أَشِرْ

قال ويقال : السَّفِينة من سَفَنْته اذا قَشَرته كأنها تَقْشر الماء . والحُرَاقة : من قولهم هو يَحْرُق عليه الأُرَّم وهى الأضراس . والزُّلَال : من قولهم زَلَّ يَزِلُّ . والطَّيَّار من قولهم الطَّيَرَان . والمَلَّاح :

(١) من هنا أخذ المؤلف رحمه الله يأتى بما يسنح له من نوادر كلام العرب ولطائفهم ولا يتقيد بأن تكون له مناسبة بما قبله ، فان قوله هنا وأشعلت الدموع الخ لم يسبق له كلام فيه لفظ الإشعال ، وكذلك ما أنشده ليزيد بن الطثرية لم يتعلق بشىء قبل ولا بعد ولم يشرح منه شيئا لظهور معناه ، وكذلك قوله بعد : وسمى اللص لصا الخ ، وقوله ويقال : السفينة من سفنته وهلم جرا ، فليعلم .

(٢) فى رواية : أروب .

من المِلح لشَظَف عيشِه وخُشونة مَطْعَمه . والحَفَف: القيام بالأمر، حَفَّهُم: قام بأمرهم. ورَفَّهُم: أطعمهم، وهو يَحُفُّه ويَرُفُّه أى يطعمه ويقوم بأمره، فالحَفَف: أن يكون المآكل بإزاء آكله، والضَّفَف: أن يكون دونه. وضَفَّة الوادى والنهر: جانبا هما، فكأن الضفف ما يَكْفِى جانبًا من العيال والقوم ولا يَعُمُّهم، وأنشد لذى الرُّمّة:

أذاكَ أم خاضبٌ بالسِّىِّ مَرْتَعُه * أبو ثلاثين أمْسَى وهو مُنْقَلِب

قال: أبو ثلاثين أى أنه قد عَرَف ما يُصْلح البَيْض ويُفْسده للتجربة، فلما أحسّ بالمطر أجَدَّ فى طلب أُدْحِيّه، وخصّ الذكَر لأنه أسرع من الأنثى، وقال: أمسى بِجدِّه فى اللحاق قبل الليل وهو منقلب، لأنه قد رَعَى فنَفْسُه قويّة. والخاضِبُ: الذى قد خَضَب فى الربيع فهو أحسن لحاله. والنعام يبيض نحو العَشْر فما فوقها، فأراد بالثلاثين أنه قد حَضَن أبطنا.

وقال ثعلب فى قول ذى الرمة:

أرى إبلى وكانت ذاتَ زَهْوٍ * اذا وَرَدَتْ يقال لها قَطِيع
تَكَنَّفها الأرامِلُ واليتامى * فَصَاعوها ومِثْلُهُم يَصُوع
وطَيَّب عن كرائمهنّ نفسى * مَخافةُ أن أرى حَسَبًا يَضيع

أى يُزْهَى من يملك مثلها. والقَطِيع: ما كَثُر. وصاعوها: فَرَّقوها أى أنه نَحَر وفَرّق وأطعم. وانْصاع الطائرُ اذا مَرّ. ويقال أيضا صاع: جَمَع، ومنه الصاع. قال أبو الحسن: يروى غيره: ضاعوها معجمة الضاد.

قال: وأنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفرّاء:

من النَّفَر البِيض الذين اذا انْتَمَوْا * وهَابَ اللئامُ حَلْقَةَ الباب قَعْقَعُوا

البيض: السادة الذين لا عيب فيهم يَقْدِمون على أبواب الملوك بأحسابهم ومواضعهم وكِبْر أنفسهم وتَهَابها اللئام لخمولهم وقِصَرِ هِمَمِهم.

قال ويقال: جاء نَعِيُّ فلان بالتشديد اذا رفع الصوت بذكر وفاته، وأصله مِنْ نَعَى على الناقة حِمْلَها اذا رفعه عليها، ومنه نَعَى عليه ذنوبَه اذا ذَكَرها وأشاد بها. وقال أبو العباس فى قول ابن أحمر:

وبَعِيرُهم ساجٍ بِجِرَّته * لم يُؤْذه غَرْبٌ ولا نَقْر
فاذا تَجَرَّر شَقَّ بازِلُهُ * واذا أصاخ فانه بَكْر

يريد أنهـــم فى خَفْض وخِصْب وأَمْن وعزّ ، فأموالهم راعيـــة ساكنة . ويقول : وجهه لطَرَاوته وَجْهُ بَكْرٍ ، وهو اذا بَدَتْ أسنانُه بازلٌ وذلك لحسن حاله . قال ويقال : قَارَه يَقُوره اذا خَتَلَه ، وهو يَقُور الوَحْشَ أى يَخْتِلها ليصيدها ، ومنه قولهم : قَيَّرَهُ يُقَيِّره اذا خَتَلَه وخدَعه . ويقال : قَبَّح الله تَفْرَها وهو كناية عن الفَـــرْج أى قبح الله الموضعَ الذى خرجت منـــه . قال : والتِّفِرة بالتاء المعجمة اثنتين الرَّوْضة ، والتِّفِراتُ : الرِّياض ، قال الطِّرِماح :

لها تَفِراتٌ[1] تَحْتَها وقَصَارُها * على مَشْرةٍ لم تَعْتَلِق بالمَحَاجِن

يصف ظبية فى أَمْن . والمَشْرة — الهاء معجمة والميم مفتوحة — : الشجرة الكثيرة الورق . قال : والطرماح من طَرْمَحَ بابَه اذا رفعه أى هو رفيع القـــدر . والطَّرْمَذَة : لفظة عربية ، والطِّرْماذ : القَرَس الرائع الكريم . قال : وسألت ابنَ الأعرابى عن الطِّرْمِذان وهو المتكثِّر بمـا لا يفعل ، فقال : لا أعرفه وأعرف الطِّرْماذ ، وأنشدنى :

* سلام طِرْماذٍ على طِرْماذِ *

وأنشدنا أبو العباس لبعض المُحْدَثين : — هو أشجع السُّلَمى —

ليس للعسكر الا * من له وَجْـــهٌ وَقَاح
ولســانٌ طِرْمِـــذانٌ * وغُـــــدُوّ ورَوَاح
ولهم ما شئت عندى * وعـــلى الله النجاح

وقال فى قول الشاعر :

مخايِط العُكْم مَوَادِيع المَطِىّ * التاركى الرفيق بالخَرْق النَّطِىّ

(١) قال الصاغانى فى العباب ويقال : التفرة من النبات : مالا تستمكن منه الراعية لصغره ، قال الطرماح يصف إجلا : وهو القطيع من البقر :

لها تفرات تحتها وقصارها * على مشرة لم تعتلق بالمحاجن

قصارها : آخر أمرها الذى ترجع اليه . والمشرة : أطراف الغصون الطرية ، كذا بهامش الأصل .

(٢) قال فى العباب وأنشد الليث :

لما رأيت القوم فى إغذاذ * وأنه السير الى بغـــداذ
جئت فسلمت على معـــاذ * تسليم مَـــلَّاذ على مـــلاذ
* طَرْمذَةً منّى على طِرْماذِ *

كذا بهامش الاصل . وفى القاموس : رجل طِرْمِذ بالكسر ومُطَرْمِذ : يقول ولا يفعل ، أولا يحقق فى الأمور ، وطرمذ عليه فهو طرماذ : وطرمذانٍ بكسرهما : صلِفِ مفاخرٍ نفّاج . وفيه : الملاذ : المطرمذ المتصنع الذى لا تصح مودته ، والمَلْذ : الكذب .

أى لا يَحْمِلُون أزوادَهم و يأكلون أزواد النـاس و لا يرحلون الى الملوك . والخَرْق : الفلاة لانخراق الريح فيها . والنِّطِىُّ : البعيد . و يقال فى مثل ذلك : « كيف يُقْطَعُ النِّطِىُّ بالبَطِىِّ» والنِّطِىُّ : البعيد. والبَطِىُّ: البعير المبطئ، يضرب مثلا للذى يروم عظائم الأمور بغير ماجدٍّ ولا انكماش . قال أبو الحسن : حفظى عنه محايط بغير معجمة، والشعر لجميل بن معمر . قال أبو العباس ويقال : أصير اليك فى غَدٍ أو الذى يَليه . وقولُ الناس : أو الذى أَليه خطأ، وإنما لم يقفوا على حق الكلمة . و يقال خَبِيصة مُعْقَدة، وأَعْقَدْت الخبيصةَ وغيرَها من الحلواء والدواء فهى مُعْقَدة، وأَعْقَدْت العَسَل وعَقَدْت الحَبْلَ. قال أبو العباس : العَهْدة : أوّل مَطْرة . والرَّصْدة : الثانية، فتلك أَوّل ما عَهِدَتِ الأرضُ، وهـذه تَرْصُد تلك . و يقال : نحن ننتظر الرَّصْدة .

قال : والنهار عند العرب : من طلوع الشمس الى غروبها ، وما عدا ذلك فهو عندهم ليـل ممـا تقدّم أو تأخر[1].

قال أبو العباس : والشاكلة : الطريقة، والشاكلة : الناحية، وشاكلة الجَذِي : خاصرتُه لأنها ناحية منه .

قال : ورِغْوة اللّبَنِ[2] بكسر الراء أفصح من فتحها . قال والوَصِيدُ : الفِناءُ .

وأنشد أبو العباس :

ولـما قَضَينْا من مِنًى كُلَّ حاجة * ومَسَّح بالأركان مَنْ هُو ماسِحُ
أَخَذْنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المَطِىِّ الأباطِحُ

أطراف الأحاديث : ما يُسْتَطْرَف منها و يؤثر .

قال أبو العباس : جمع الحَلْيِ وهو يَبِيس النَّصِىّ أَحْلِيَة، ولم يُسْمَع جمعُه[3] الا فى شعر ذى الرمة .

قال : والُمَرَّد : الأملس، ومنه الأمرد للين خَدَّيه، وشجرة مَرْداء: لاورق لهـا، ومرداء ومَلْساء واحد. و يقال زَلَلْت فى المَنْطِق، وزَلِلْت فى المَشْى . وأَزْلَلْت له زَلَّة، وأزللت اليه نِعْمة .

---

(١) فى نسخة : وما تقدم ذلك وتأخر عنه فليل . (٢) في القاموس : أنهـا مثلثة الراء . (٣) لم نقف على الشعر الذي جمع فيه الحلي على أحلية ولينظر .

قال ويقال : أَمْطَرَتِ السماءُ اذا قَطَرَتْ، ومَطَرَت : سالت . ويقال : كَلَّمه فما أَحاكَ فيه، وضَرَبه فما أحاك فيه، وما يُحِيك فيه شيء، وهو أفصح من الفتح. وحَاكَ يَحِيك اذا ذهب وجاء، ومنه الحائك . ويقال : حَذَقَ الخَلُّ اللسانَ يَحْذِقه حُذُوقا ، وحَذَقَ الصبيُّ القرآنَ حَذْقا، وحَذَق الحبـلُ[1] اذا انقطع .

قال ويقال : رَدَحت بَيْتَك اذا زدتَ فيه ووَسَّعْتَه، ويقال : لو رَدَحْتَه أى لو وسَّعته .

قال والإفْصاء : الخروج من حر الى برد أو من برد الى حر، ويقال : لَوْ قَدْ أفْصيتَ لخَرَجْتُ معك، وقد أَفْصَى الناسُ، والناس حينئذ مُفْصُون، ومنه التَّفَصِّى .

ويقال : أَحْوَلْنا فى هذا المكان وأَعْوَمْنا أيضا وأَسْنَهْنا وأَشْهَرْنا وأَيْوَمْنا وأَسْوَعْنا .

ويقال : أَطْلَى الرجلُ اذا مالت عُنُقُه للنوم، وأطَلْنا حتى أَطْلَيْنا أى قَعَدنا حتى نَعَسْنا. ومَنْ أطال أَطْلَى أى من قَعَد نَعَس .

ويقال: أخلَدَ الى الأمر أى سَكَنَ اليه وأقام عليه. وخَلَدَ عليه شَبابُه أى بقى عليه شبابه وسوادُ شَعَره. وَوَجَرْتُه : من الوَجُور وهو أفصح . ومن الرمح أَوْجَرْتُه لاغير .

ويقال : أَشَطَّ فى سَوْمه أفصح من شَطَّ .

ويقال : ثَلَلْته : هَدَمْته، وأثْلَلْتُه : أصلحته .

ويقال : لَحَدْتُ : مِلت، وأَلْحَدْتُ : جادَلْت .

ويقال : فَعَالٌ حَسَنٌ وفَعَالٌ جميـلٌ بالفتح ، والكسرُ خطأ . ويكسر الفاء فى نصاب الفأس ، يقال : هذا فِعَالٌ قوىٌّ أى نِصَاب قوى .

والأحمس : المتشدّد فى دينه، وسميتْ قريشٌ الحُمْسَ من ذلك، ومنه سُمِّى المُحَمَّس الذى تقول له العامة : المُحَمَّص، لأنه يُقْلَى قَلْيًا شديدا .

ويقال : لم يَبْقَ بينى و بينه عُلْقة ولا عَلَاقة، فالعُلْقة : المرة، والعَلَاقة : الحالة .

(١) كذا فى الأصل ، ولعل حذق محرف عن انحذق اذ ليس فى شيء من كتب اللغة التي بأيدينا أن حذق يأتى لازما ، بل اللازم انحذق أو لعله مبنى للفعول .

[حديث الأصمعى مع بعض الجوارى و رجل ينشد ضالته]

قال أبو محلم وقال الأصمعى : بينا أنا فى طريق مكة ومعى أصحابى، إذ مَرَّ بنا أعرابىّ وهو يقول : من أَحَسَّ من بعير بعُنُقه عِلاطٌ وبأنفه خُزامة، تَتْبَعه بكْرتانِ سَمْراوَانِ، عَهْدُ العاهد به عند البئر؟ قلنا : حَفِظَ الله عليك ياهذا، والله ما أَحْسَسْنا جَمَلًا على هذه الصفة، قال : وجُوَيْرِيَةٌ من الأعراب على حَوْض لهـا تَمُوره، فأعاد الكلام عليها، فقالت : اعْزُبْ لا حَفِظَ اللهُ عليك يافاسق، فقلنا لهـا : ما تريدين من رجل يَنْشُد ضالَّته؟ فقالت : إنمـا ينشد أَيْرَه وخُصْيَتَيْه .

[كتاب أبى محلم الى بعض الحذائين فى نعل له عنده]

قال وكَتَب أبو محـلم الى الحَذَّاء فى نعل له عنــده : دِنْها فاذا هَمَّتْ تأْتَدِنُ ، فلا تُخَلِّها تَمْرَخِدُّ، وقبل أن تَقْفَعِلَّ، فاذا ائْتَدَنَتْ فامْسَحْها بخِرْقةٍ غيرِ وَكِبَة ولا جَشِبَة، ثم امْعَسْها مَعْسًا رفيقا، ثم سُنَّ شَفْرَتك وأَمْهِها، فاذا رأيت عليها مثل الهَبْوة فسُنَّ رأسَ الازْمِيل، ثم سَمِّ بالله وصَلِّ على محمد صلى الله عليه وسـلم ، ثم أَنْحِها وكَوِّف جوانِبَها كَوْفًا رَفِيقـا ، وأقْبِلْها بِقبالَيْن أَخْنَسَيْن أَفْطَسَيْن غير خَلِطَيْن ولا أَصْمَعَيْن، وليكونا وَثِيقَيْن من أَدِيمٍ صافى البشرة، غيرِ نَمِشٍ ولا حَلِمٍ ولا كَدِشٍ، واجعل فى مُقَدَّمها كمِنْقار النُّغَر . فلما وصل الكتّاب الى الحذّاء لم يفهم منه شيئا الا ولا كَدِش، فقال : صَيَّرَنى كَدَّاشا، والله لا حَذَوْت له نَعْلَه .

قال أبو على قوله : تأتَدِنُ : تَبْتَلُّ، يقال : وَدَنْتُ الشىء فهو مَوْدُون وودِينٌ أى بَلَلْته فهو مَبْلُول . والمَوْدُون من الناس وغيرهم : القصير الضاوى القَمِىءُ. وقوله : تَمْرَخِدُّ[1]، لم أجد تفسـيره موضع رخد اذ جاء مهملا للخليل ولا لغيره . والوَكَب : الوسخ، يقال : وَكِبَ الثوبُ يَوْكَب وَكَبًا اذا اتسخ، والوَكَبَانُ بفتح الواو والكاف : مِشْية فى دَرَجان، ومنها اسم المَوْكِب . والجَشِب : الغليظ، والمِجْشاب : مثله . قال أبو زبيد .

* تُولِيكَ كَشْحًا لطيفا ليس مِجْشابا[2] *

(١) قد وجدناه فى ترجمة مرخد من القاموس واللسان نقلا عن ابن سيده بلفظ امْرَخَدّ الشىء اذا استرخى، فليعلم .

(٢) صدره : * قراب حِضْنك لا بِكْرٌ ولا نَصَف * كذا بهامش الأصل .

وطعام جَشِبٌ : ليس معه إدام . ويقال للرجل الذى لا يبالى ما أكل ولم ينـل أُدْما : إنه لَجَشِب المآكل ، وقد جَشُب جُشُوبة . والمَعس : الدَّلك ، يقال : مَعَسَ الأديمَ وغيره يَمْعَسه مَعْسًا اذا دلكه ، ومعس الرجُل المرأةَ يَمْعَسها اذا نكحها . وقال الراجز فى نعت السيل :

* يَمْعَس بالمـاء الجِوَاء معسا *

ويقال : اقْفَعَلَّتْ أنامله اذا تَشَنَّجتْ من بَرْد أو كِبَر ، قال الشاعر :

رأيت الفتى يَبْلَى اذا طال عُمْرُه * بِلَى الشَّنِّ حَتَّى تَقْفَعِلَّ أناملُهْ

ويقال : أَمْهَيْتُ الحديدةَ إمهاء اذا حَدَدْتَها ، وأَمْهَيْتَها اذا سَخَّنتَها بالنار ثم ألقيتَها فى المـاء لتسقيها فهى مُمْهاة ، قال امرؤ القيس فى سهم الرامى :

راشَه من رِيشِ ناهضةٍ * ثُمَّ أَمْهاه على حَجَـرِهْ

وأَمْهى شَرابَه ولَبَنَه اذا أرَقَّه ، ولَبَنٌ مَهُوٌ وقد مَهُوَ اللَّبَنُ يَمْهُو مَهاوة . والإزْميلُ : الإشْفَى ، قال عَبْدة ابن الطَّبيب :

عَيْهَمَةٌ يَنْتَحِى فى الأرض مَنْسِمُها * كما انْتَحَى فى أديم الصِّرف إزْميلُ

ويقال : خرج فلان نَخَلَّف أَزْمَلَه وأُزْمُلَه بفتح الميم وضمها أى أهلَه . والإزْمَوْلُ من الوعول : المُصَوِّت بكسر الهمزة وفتح الميم . ويقال : سَمِعْنـا أَزْمَلَ القوم أى أصواتَهم ، وجمعه أَزَامِل ، قال هِمْيان ابن قُحَافة السَّعْدىّ :

تَسْمَع فى أجوافها لَجَالِجَا * أَزَامِلًا وزَجَلًا هُزَامِجَا

وكَوَّفْها : دوّرها بعد ما تُحيها ، أى تقصد نَحْوَ مثالهـا فى تدويرها . وقال يعقوب : يقال : تَرَكْتُهم فى كُوفان بضم الكاف وسكون الواو أى فى أمر مستدير . وقال ابن الأعرابى يقال : بنو فلان فى كَوَّفَانٍ مشدد الواو أى فى أمر مكروه شديد ، وهذا قريب من الأوّل ، كأنه لكراهيته تَحَيَّرَ أهلُه فهم يستـديرون . وقال الكلابيون : الخالط (١) من الرجال بفتح الخـاء وكسر اللام بلا ياء هو الذى يختلط بالناس ، وهو فى وجهين : فأحدهما الذى يخالط الناس بما يُحِبُّون وهو مدح ، وأما الآخر فهو الذى يُلْقِى متاعه ونساءه بين الناس فيخالطهم وهو عيب ، فكأنه كره أن يكون قِبَالُ نعله مُلَفَّقًا من أديمين وذلك محمود فى نعال النساء مكروه فى حِذَاء الرجال . وقوله : ولا أَضْمَعَيْن أى رقيقيـن . غير نَمِش

(١) فى القاموس والخلط بالفتح وككتف وعتق : المختلط بالناس المتملق إليهم ومن يلقى نساءه ومتاعه بين الناس .

ولا حَلِم ولا كَدِش ، والحَلَم بفتح الحاء واللام : دود يقع فى الجلد فيأكله ، فاذا دُبِغ وَهَى موضعُ الحَلَم ، فيقال : أديمٌ حَلِمٌ ونَغِلٌ ، وأديم نَمِشٌ أيضا ، ومن ذلك يقال : نَمَش الجرادُ والدَّبا الأرضَ يَنْمِشها نَمْشا اذا أكل الكلأ ونزل . ويقال : ما به كَدْشَة بفتح الكاف وسكون الدال أى ما به داء ، والكدَّاش بتشديد الدال : الْكَرِىُّ ، والكَدْش بفتح الكاف وسكون الدال : الكَسْب ، يقـال : كَدَش لأهـله يكدِش كَدْشًا اذا اكتسب لهم ، وماكَدَشْتُ شيئا أى ما أخذته ، والكَدْش أيضا : السَّوْق والحَثُّ .

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر أنشدنا أبو العباس المبرد لسعيد بن حميد :

تَمَتَّعْ من الدُّنيـا فإنك فانى ＊ وإنَّك فى أيْدى الحـوادث عانى

ولا يأتِيَنْ يومٌ عليك وليـلةٌ ＊ فَتَخْلُوَ من شرب وعَزْف قِيان

فانى رأيت الدهر يلعب بالفتى ＊ ويَنْقُـلُه حالين يختَلِفان (١)

فأمّا التى تَمْضِى فأحـلام نائم ＊ وأما التى تَبْـقَى لهـا فأمانى

[ماوصف به الحسن البصرى على بن أبى طالب رضى الله عنه]

قال أبو على قال أبو بكر حدثنى أبى عن العباس بن ميمون قال : سمعت ابن عائشة يقول حدثنى أبى عن عَوْف الأعرابى قال : سأل رجل الحسنَ البصرىّ عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال: أَعَنْ رَبَّانِىِّ هذه الأمة تسأل ؟ لم يكن بالسَّرُوقة لمـال الله ، ولا بالمَـلُولة لحق الله ، أَعْطَى القرآنَ عزائمَه فيما عليه وله ، حتى أورده الله على رياضٍ مُونقة ، وجِنانٍ غَسِقة ، ذاك على بن أبى طالب يالُكَع .

قال وحدثنى أبى عن العباس بن ميمون قال حدثنى سليمان الشاذكونى والحسن بن عَنْبَسة الوَرَّاق قال حدثنا حَفْص بن غِيَاث عن أشعث بن سَوَّار قال : نال عَدِىُّ بن أَرْطاةَ على المنبر من على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال : فالتفتُّ الى الحسن وإن دموعه لتسيل على خدّه ولحيته ، فقال : لقد ذكر هذا اليوم رجلا إنَّه لَوَلِىُّ رسول الله فى الدنيا ووليه فى الآخرة .

قال وحدثنى أبو بكر عن أبيه عن العباس بن ميمون قال حدثنى سليمان بن داود عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : ان كان أحد يَعْلَم مَتَى أجلُه ، فان على بن أبى طالب

(١) فى نسخة : وتنقله حالان مختلفان .

كان يعلم متى أجله ، قال العباس : فحدثت به ابن عائشة ، فقال : أنت تعلم يابن أخى أنه قاتل يوم الجَمَل فلم يتكلم ، ويوم صِفِّينَ فلم يتكلم ، ولقد لَقِيَ لَيـلةَ الهَرِير مالَقِيَ فلم يتخوف ولم ينطق بشىء ، فلما رجع الى الكوفة بعد قتله الخوارج قال : أَلَا ينبعث أشقاها ليخضِبَنَّ[1] هذه من هذه .

[جواب على بن أبى طالب رضى الله عنه لمن سأله عن الإيمان]

قال : وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان قال حدثنا منجاب بن الحارث قال أخبرنا بشر بن عمارة عن محمد بن سوقة قال : أتى عليا رضى الله تعالى عنه رجل فقال : ياأمير المؤمنين ، ما الإيمان ؟ أو قال : كيف الإيمان ؟ فقال : الإيمان على أربع دَعَائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد . والصبر على أربع شُعَب : على الشوق ، والشَّفَق ، والزَّهادة ، والتَّرَقُّب . فمن اشتاق الى الجنة سَلَا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رَجَع عن الحُرُمات ، ومن زَهِدَ فى الدُّنيا تَهَاوَنَ بالمصيبات . واليقين على أربع شُـعَب : على تَبْصِرة الفِطْنة ، وتأويل الحِكْمة ، ومَوْعِظة العِـبْرة ، وسُنَّة الأولين . فمن تَبَصَّر الفطنةَ تأوّل الحكمة ، ومن تأوّل الحكمة عَرَفَ العِبْرة ، ومن عرف العبرةَ فكأنما كان فى الأولين . والعدل على أربع شعب : على غامض الفَهم ، وزَهْرة الحِلْم ، ورَوْضة العِـلْم ، وشرائع الحُكْم . فمن فَهِم فَسَّر جميعَ العلم ، ومن عَلِم عرف شرائعَ الحكم ، ومن حَلُمَ لم يَفْرُطْ أمرُه وعاش فى الناس . والجهاد على أربع شُعَب : على الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصِّدق فى المواطن ، وشَنَآن الفاسقين . فمن أمر بالمعروف شَدَّ ظَهْرَ المُؤمن ، ومن نَهَى عن المنكر أرغَمَ أنفَ المنافق ، ومن صَدَق فى المواطن فقد قضى الذى عليه ، ومن شَنِئَ الفاسقين فقد غَضِب لله ، ومن غَضِب لله غَضِب اللهُ له . قال : فقام الرجل فَقَبَّل رأسَه ، فقال على كرم الله وجهه : أَحبِبْ حَبِيبَك هَوْنًا مّا عَسَى أن يكون بَغِيضَك يَوْمًا مّا ، وَأَبْغِض بَغيضَك هونا مّا عسى أن يكون حبيبَك يوما مّا .

[وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى وما وقع بينه وبين يعلى بن مخلد المجاشعى]

قال وحدّثنى أبو بكر قال حدّثنى أبى قال حدّثنا أحمد بن عُبَيد فى أخبار الحجاج بن يوسف : أنه لما حضرته الوفاة وأَيْقَن بالمَوْت ، قال : أَسْنِدُونى ، وأْذَنَ للناس فدَخَلوا عليه ، فذَكَرَ الموتَ وكَرْبَه ، واللَّحْدَ ووَحْشَتَه ، والدنيا وزوالَها ، والآخرةَ وأهوالَها ، وكثرة ذنوبه ، وأنشأ يقول :

(١) كذا بالأصل ، ولا محل للتوكيد بالنون الا أن تكون اللام للقسم .

إن ذنبي وَزْنُ السَّمٰوات والأر * ض وظَنِّي بخالق أن يُحَابِي
فلئن مَنَّ بالرضـا فهو ظـنِّي * ولئن مَرَّ بالكتّاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظُلْما وهل يَظْـ * ـلِمُ رَبٌّ يُرْجَى لِحُسْنِ المَآبِ (١)

ثم بكى وبكى جلساؤه ، ثم أمر الكاتبَ أن يكتب الى الوليـد بن عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فقد كنتُ أرْعَى غَنَمَك أحُوطُها حِياطةَ الناصح الشَّفيق برَعِيَّة مولاه ، فجاء الأسدُ فبَطَش بالراعى ومَزَّق المَرْعِيَّ كُلَّ مُمزَّق ، وقد نَزَل بمولاك ما نزل بأيُّوبَ الصابر ، وأرجو أن يكون الجَبَّار أراد بعبـده غُفْرانًا لخطاياه وتكفيرا لمـا حَمَل من ذنوبه ، ثم كتب فى آخر الكتّاب :

اذا ما لَقِيتُ الله عَنِّيَ راضـيًا * فانَّ شـفاء النفس فيما هُنَالِك
فَحَسْبِي بقاءُ الله من كلِّ مَيِّت * وحسبي حَياةُ الله من كل هالك
لقد ذاق هذا الموتَ مَنْ كان قبلنا * ونحن نذوق الموتَ من بَعْدِ ذلك
فان مُتُّ فاذْكُرْنِى بذكر مُحَبَّب * فقد كان جَمًّا فى رِضاك مَسَالِكى
وإلا فَفِى دُبْرِ الصـلاة بدعوة * يُلَقَّى بهـا المسجونُ فى نار مالك
عليك ســلام الله حَيًّـا ومَيِّتًا * ومن بَعْـد ما تُحْيَا عتيقا لمـالك

ثم دخل عليه أبو المُنْذِر يَعْلَى بن مَخْلَد المُجَاشِعِيّ وقال : كيف تَرَى ما بك يا حجـاج من غَمَرات الموت وسَكَراته ؟ فقال : يا يعلى ، غَمًّـا شديدا ، وجَهْدًا جَهِيدا ، وألَمًـا مَضِيضا ، ونَزْعا جَرِيضا ، وسَفَرا طويلا ، وزادا قليلا ، فَوَيْلِي ويلى إن لم يرحمنى الجَبَّار . فقال له : يا حجاج ، إنما يرحمُ الله من عباده الرُّحَماءَ الكُرَماءَ أولى الرحمـة والرأفة والتَّحَنُّن والتعطُّف على عباده وخلقـه ، أشهد أنك قَرِينُ فرعون وهامانَ لسُوء سيرتك ، وتَرْك مِلَّتك ، وتَنَكُّبك عن قَصْـد الحق وسَنَن المَحَجَّة وآثار الصالحين . قَتَلْتَ صالحى النـاس فأفنيتهم ، وأَبَرْتَ (٢) عِتْرَةَ التابعين فتَبَّرْتَهم ، وأطَعْتَ المخلوقَ فى معصية الخالق ، وهَرَقْتَ الدماءَ ، وضَرَبْتَ الأبشار ، وهتكت الأستار ، وسُسْت سياسةَ متكبِّر جَبَّار ، لا الدِّينَ أبْقَيْت ، ولا الدنيا أدركت ، أَعْزَزْت بنى مَرْوان ، وأذْلَلْت نفسك ، وعَمَرْتَ دُورَهم وأخربتَ دارَك ، فاليوم لا يُنْجُونك

(١) فى رواية : ليوم الحساب بدل قوله لحسن المآب . (٢) أبرت : أهلكت وهو من أبرت الكلب إذا أطعمته الإبرة فى الخبز .

ولا يُغيثُونك، اذ لم يكن لك فى هــذا اليوم ولا لمـا بعده نَظر، لقد كُنْتَ لهذه الأمة اهتماما واغتماما وعناء و بلاء، فالحمد لله الذى أراحها بموتك، وأعطاها مُناها بخِزْيك . قال : فكأنما قطع لسانَه عنه فلم يُحِرْ جواباً وتنفَّس الصُّعَداء وخنقته العَبْرة، ثم رفع رأسه فنظر اليه وأنشأ يقول :

رَبِّ إن العبادَ قـد أيأَسُونى * ورَجائى لك الغَــداةَ عَظيمُ

[صيغة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم التى كان علىّ رضى الله عنه يعلّمها أصحابه]

قال وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الحسن بن خضر عن أبيــه عن بعض ولد على رضى الله تعالى عنه قال : كانـــ علِيٌّ يُعَلِّمُ أصحابَه الصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم و يقول : اللهــم داحِىَ المَدْحُوّات، و بارئَ المسموكات، وجبَّار القلوب على فِطْرتها، شَقِيِّها وسَعيدِها، اجعل شَرائف صَلَواتِك ونَوامِىَ بَركاتك، ورأْفَة تحنُّنِك على محمــد عبدك ورسولك، الخاتم لمـا سَبَق، والفاتح لمـا أُغْلِق، والمُعْلِن الحَقَّ بالحَقِّ، والدّامــغ لجَيْشاتِ الأباطيل كما حُمِّل، فاضْطَلَع بأمرك بطاعتــك، مُسْتَوْفزا فى مَرْضاتك، بغير نَكَل فى قَدَم، ولا وَهْيٍ فى عَزْم، واعِياً لوَحْيك، حافظا لعَهْدك، ماضِياً على نَفاذ أمرك، حَتَّى أَوْرَى قَبَسا لقابِس، آلاءُ الله تَصِلُ بأهله أَسْبابَه، به هُدِيَتِ القلوبُ بعــد خَوْضات الفِتَن، وَوَضَحَتْ أعلامُ الإسلام ومُنِــيرات الأحكام، فهو أمينُك المأمون، وخازنُ عِلْمِك المخزون، وشَهيدُك يومَ الدين، و بَعِيثُك نعمه، ورَسُولُك بالحق رَحْمه، اللهم افْسَحْ له فى عَدْنِك مُنْفَسَحا، واْجزِه مُضاعَفاتِ الخير من فَضْلك، مُهنَّآ تٍ غيرَ مُكدَّرات، مِنْ فَوْزِ ثَوَابِك المَحْلول، و جَزِيل عطائك المَعْلول. اللّهــم أَعْلِ على بناء الناس بناءه، وأَكْرِمْ لَدَيْك مَثْواه، وأَتْمِمْ له نوره، وآجزه من ابْتِعاثِك له، مَقبولَ الشهادة، ومَرْضِىَّ المقالة، ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وخُطَّةٍ فَصْل، و بُرْهانٍ عظيم .

[معنى قوله صلى الله عليه وسلم "لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن"]

قال وحدّثنا أبو عمر قال أخبرنا الغَطَفانىّ عن رجاله قال: سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد بن على رضى الله عنهم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَزْنِى الزانى حين يزنى وهو مؤمن" . قال : فأدار دارةً كبيرة، وأدار فى وَسَطها دارة صغيرة، وقال : الكبيرة هى الإســلام والصغيرة هى الايمان، فاذا زنى خرج فى ذلك الوقت من الإيمان الى الإسلام فان كفر خرج من الدارة الكبيرة الى الشرك والكفر والعياذُ بالله .

[حديث على رضى الله عنه أشدّ جنود ربك عشرة]

وقرأنا على أبى الحسن قال قال أبو محلم حدّثنى وكيع بن الجراح وأبو نعيم قالا حدّثنـا زكريا بن أبى زائدة عن الشعبىّ قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أشدُّ جنودِ ربِّك عَشَرةٌ : الجبـالُ الرَّواسى، والحَـديد يَقْطَع الجبالَ، والنار تُذيب الحديدَ، والمـاءُ يطفئ النارَ، والسحابُ المسخَّر بين السماء والأرض يَحْمِل المـاء، والريحُ تقطع السحابَ، وابنُ آدم يَغْلِبُ الريح يسـتتر بالثوب أو الشىء ويمضى لحاجتـه، والسُّكْرُ يغلب ابن آدم، والنومُ يغلب السكرَ، والهمُّ يغلب النومَ . فأشدُّ خلق الله عز وجل الهمُّ .

[حديث الشجاء الخارجية مع زياد بن أبيه]

قال أبو محـلم : أخبرنى معتمر بن سليمان التيمى قال : لمـا جىء بالشَّجَّاء — وكانت امرأة من الخوارج — الى زياد، قال لها : ما تقولين فى أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه؟ قالت : ما ذا أقول فى رجل أنت خَطِيئةٌ من خطاياه! فقال بعض جلسائه : أيُّها الأمير، أَحْرِقْها بالنار، وقال بعضهم : اقطع يديها ورجليها، وقال بعضهم : اسْمُلْ عينيها . فَضَحِكتْ حتى استلْقَتْ وقالت : عليكم لعنة الله! فقال لهـا زياد : مِمَّ تضحكين؟ قالت : كان جلساء فرعون خيرا من هؤلاء . قال لها : ولِمَ؟ قالت : استشارهم فى موسى فقالوا أَرْجِهْ وأخاه، وهؤلاء يقولون : اقطع يديها ورجليها واقتلها، فَضَحِك منها وخَلَّى سبيلَها .

* * *

قال وقال حدّثنا أبو محلم قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحجاج بن يوسف لعلى بن الحسين رضى الله عنهما : أنتم كنتم أكرمَ عند شيخكم من آل الزُّبَيْر عند شيخهم، قال عمرو : وذاك أنه لم يَشْهَد الطَّفَّ أحدٌ من بنى هاشم أطاقت يدُه حَمْلَ حديدة الا قُتِل قَتْلَ الحُسَين، وقَتَلَ الحَجَّاجُ عبدَ الله بن الزبير وطاف من العَشِىِّ بين عَبَّاد وعامر ابنى عبد الله واضعا يديه عليهما .

قال أبو على : وحدّثنا أبو الحسن جَحْظة قال قال الشَّعْبىّ : ما لَقِينا مِنْ علىٍّ رضى الله عنه ! إن أحببناه قُتِلْنا، وإن أبغضناه كفرنا ! .

قال وحدّثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير قال أخبرنا ابن ميمون عن ابن مالك قال قال ابن هَرْمة :

مَهْمَا أُلام عــلى حُبّهــم * فانّى أُحبُّ بَنِى فاطــمه
بَنِى بِنْتِ مَنْ جاء بالمُحكما * ت والدّين والسُّنَنِ القائمه

فلقيـــه بعد ذلك رجل فسأله : من قائلُها ؟ فقال : من عَضَّ بِبَظْرِ أُمّه ، فقال له ابنــه : يا أبتِ ، أَلَسْتَ قائلَها ؟ قال : بَلَى ، قال : فَلِمَ تَشْتُم نفسك ؟ قال : أليس الرجلُ يَعَضّ بظرَ أمه خيرا له من أن يأخذه ابن قَحْطَبَة .

[ما وقع بين معاوية وأهل المدينة لما أراد البيعة ليزيد]

قال : وأخبرنا محمــد بن أبى الازهر قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا أبو زيد عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا ســعيد بن عامر الضبعى عن جويرية بن أسماء قال : لمــا أراد معاويةُ البَيْعَةَ ليزيدَ ولده ، كتب الى مَرْوانَ وهو عامله على المدينة ، فقرأ كتابه وقال : إنّ أمير المؤمنين قد كَبِرَ سِنُّه ودَقَّ عَظْمُه ، وقد خاف أن يأتيه أمرُ الله تعالى فَيَدَع الناسَ كالغنم لاراعى لها ، وقد أحب أن يُعْلِم عَلَمًا ويُقِيم إماما . فقالوا : وَفّق اللهُ أميرَ المؤمنين وسَدَّده ليفعل . فكتب بذلك الى معاوية ، فكتب اليه : أن سَمِّ يزيدَ ، قال : فقرأ الكتاب عليهم وسمى يزيد ، فقام عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقال : كَذَبْتَ والله يا مروان وكَذَبَ معاويةُ معك ! لايكون ذلك ! لاتُحْدِثوا علينا سُنَّة الروم ! كلما مات هِرَقْلٌ قام مكانه هِرَقْلٌ ! فقال مروان : إن هذا الذى قال لوالدَيْه : أُفٍّ لَكُما أَتَعِدَانِنِي أن أُخْرَج ، قال : فسمعتْ ذلك عائشةُ رضى الله تعالى عنها فقالت : أَلِابْنِ الصِّدّيق يقول هذا ! اسْتُرُونِى ، فستروها فقالت : كَذَبْتَ والله يامروان ، إنّ ذلك لَرَجُلٌ معروف نَسَبُه . قال : فكتب بذلك مروانُ الى معاوية ، فأقبل ، فلما دنا من المدينة استقبله أهلها فيهم عبدُ الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن على وعبد الرحمن بن أبى بكر رضوان الله عليهم أجمعين ، فأقبل على عبد الرحمن بن أبى بكر فَسَبَّه وقال : لامَرْحَبًا بك ولا أهلا ، فلما دخل الحسين عليه قال لامرحبا بك ولا أهلا ، بَدَنَةٌ يترقرقُ دَمُها واللهُ مُهَرِيقُه . فلما دخل ابن الزبير قال : لا مرحبا بك ولا أهلا ، ضَبُّ تَلْعــة مُدْخِلٌ رأسه تحت ذَنَبه . فلمــا دخل عبد الله بن عمر قال : لا مرحبا بك ولا أهلا وسبّه ، فقال : إنى لست بأهل لهذه المقالة ، قال : بلى ولمــا هو شرٌّ منها . قال : فدخل معاوية المدينــةَ وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرهطُ معتمرين ، فلما كان وقتُ الحج خرج معاوية حاجًّا ، فأقبل بعضُهم على بعض ، فقالوا : لَعَلّه قد نَدِم ، فأقبلوا يستقبلونه . قال : فلما دخل

آبنُ عمر قال : مرحبا بك وأهلا يآبنَ الفاروق، هاتوا لأبى عبـد الرحمن دَابَّة . وقال لأبن أبى بكر: مرحبا بابن الصِّدِّيق، هاتوا له دابة . وقال لأبن الزُّبَير : مرحبا يآبن حَوَارىّ رسول الله، هاتوا له دابة . وقال للحسين : مرحبا بابن رسول الله ، هاتوا له دابة . وجعلتْ ألطافُه تَدْخُل عليهم ظاهرةً يراها الناس ويُحْسِن إذْنَهـم وشفاعَتَهم . قال : ثم أرسل اليهـم فقال بعضُهم لبعض : مَنْ يُكَلِّمُه ؟ فأقبلوا على الحسين فأَبَى، فقالوا لأبن الزبير : هات فأنت صاحبُنا . قال : على أن تعطونى عهدَ الله ألّا أقولَ شيئا إلّا تابعتمونى عليـه ، قال : فأخذ عهودَهم رَجُلًا رجلا ورَضِىَ من آبـن عمر بدون ما رضى به من صاحبيه . قال : فدخلوا عليه، فدعاهم الى بَيْعَة يزيدَ، فسكتوا . فقال : أجيبونى، فسكتوا . فقال : أجيبونى ، فسكتوا . فقال لأبن الزبير : هات فأنت صاحبهم . قال : اخْتَرْ منّا خَصْلةً من ثلاث . قال : إن فى ثلاث لَمَخْرَجا . قال : إما أن تفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :ماذا فعل؟ قال : لم يستخلف أحدا . قال:وماذا؟ قال : أو تفعل كما فعل أبو بكر. قال : فعل ماذا ؟ قال : نظر الى رجل من عُرْض قريش فَوَلّاه . قال : وماذا ؟ قال : أو تفعل كما فعـل عمر بن الخطاب . قال : فعل ماذا ؟ قال : جعلها شُـورَى فى ستة من قريش . قال : ألا تسمعون! إنِّى قد عَوَّدْتُكم على نفسى عادةً وإنى أكره أن أمنعكموها قبل أن أبيِّن لكم، إن كنت لا أزال أتكلم بالكلام فتعترضـون علىَّ فيه وتردّون علىّ، وإنِّى قائم فقائل مقالة ، فإياكم أن تعترضوا حتى أُتِمَّها، فإن صَدَقْتُ فَعَلَىَّ صدقى، وإن كذبت فعلى كذبى، والله لا ينطق أحد منكم فى مقالتى إلا ضربت عنقه . ثم وَكَّل بكلّ رجل من القوم رجلين يَحْفَظانه لئـلا يتكلم، وقام خطيبا فقال : إن عبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن على وعبدالرحمن بن أبى بكر قد بايَعُوا فبايِعُوا . فانْجَفَل الناسُ عليه يبايعونه، حتى اذا فرغ من البيعة ركب نجائبَه فرمَى الى الشام وتركهم . فأقبل الناس على الرهط يلومونهم، فقالوا : والله ما بايَعْنا، ولكن فَعَلَ بنا وفَعَل .

***

وحدّثنا اسحاق قال : كان أَشْعَب اذا حَدّث عن عبـد الله بن عمر يقول : قال حبيبى عبد الله، وكان يُبْغِضنى فى الله . قال اسحاق قال آبن أبى عتيق رضى الله تعالى عنهما : دخلت على أشعبَ يوما وعنده متاع حسن وأثاث ، فقلت : أما تستحى أن تطلب من الناس وعندك مثل هذا ؟ فقال :

يافَدَيْتُك مَعي مِنْ لُطْف المسئلة ما لا تَطيبُ نفسى بتركه . وكان يقول : أنا أَطْمَع وأُمِّى تَتَيَقَّن، فإذا اجتمع طَمَعى ويَقِينُ أمّى فقَلَّ ما يُفْلِتُنا .

[المجلس الأول : مطلب ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين الطائى لما وفد عليه]

مجلس : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عمى عن أبيـه عن ابن الكَلْبىّ عن أبيه . قال : وَفَد عامر بن جُوَيْنٍ الطائى على المنـذر بن النعمان الأكبر جدّ النعمان بن المنـذر، وذلك بعـد انقضاء مُلْك كِنْدَةَ ورجوع الملك الى لَخْم ، وكان عامر قد أجار آمرأ القيس بن حُجْـر أيام كان مقيما بالجبلين وقال كلمتَه التى يقول فيها :

هنالكَ[(1)] لا أُعطِى مليكا ظُلامةً * ولا سُوقةً حتى يئُوبَ ابْنُ مَنْدَلَهْ

وكان المنـذر ضَغِنًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : ياعام ، لَسَاء مَثْوَى أَثْوَيْتَـه رَبَّك وثَوِيَّك حين حاولْتَ إصباءَ طَلَّتِه ومخالَفَتَه الى عَشِيره، أَمَا واللهِ لو كنتَ كريما لاثْوَيْتَه مُكَرَّما مُوَقَّرا ولجانَبْتَه مُسَلَّما . فقال له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لقد عَلِمتْ أبناءُ أُدَدَ أَنِّى لأَعَزُّها جارا ، وأَكرَمُها جـوارا، وأَمْنَعُها دارا ؛ ولقد أقام وافرا ، وزال شاكرا . فقال له المنـذر : ياعام، وإنك لَتَخَالُ هُضَيْباتِ أَجَأ ذاتَ الوِبَار، وأَقْنِياتِ سَلْمَى ذات الأَغْفار، مانِعاتِك من المَجْر الجَرَّار، ذى العَدَد الكُثَّار، والحُصُن والمِهَار، والرِّماح الحِرَار، وكلِّ ماضى الغِرَار، بِيَدِ كلِّ مِسْعَرٍ كريم النِّجَار . قال له عامر : أبيت اللعن ، إنَّ بين تلك الهُضَيْبات والرِّعان ، والشِّعاب والمُصْدَان ، لَفِتْيانا أبطالا ، وكهولًا أزوالا ؛ يَضْرِبون القَوانِس، ويستنزلون الفوارس ، بالرِّماح المَدَاعِس ؛ لم يَتْبَعوا الرِّعاء، ولم تُرَشِّحْهم الإِماء . فقال الملك : ياعام، لو قد تجاوَبَتِ الخيلُ فى تلك الشِّعاب صَهيلا ، وكانت الأصوات قَعْقَعةً وصَليلا ؛ وفَغَرَ المَوْت، وأَعْجَز الفوت؛ فتقارَشَتِ الرِّماح، وحَمِيَ السِّلاح ؛ لَتَسَاقَى قَوْمُك كأسا لا صَحْوَ بعدها . فقال : مَهْلا أبيت اللعن، إنَّ شَرابَنا وَبِيل، وحَدَّنا أَلِيل، ومَعْجَمَنا صَلِيب، ولقاءَنا مَهِيب؛ فقال له : ياعام، إنَّه لقليلٌ بَقاء الصَّخْرة الصَّمَّاء على وَقْع المَلاطِيس . فقال : أبيت اللعـن، إن صَفَاتَنا عِبْرُ المَراديس . فقال : لأُوقِظَنَّ قَوْمَك من سِنَة الغَفْلة، ثم لأُعْقِبَنَّهم بعـدها رَقْدةً لا يَهُبُّ راقدُها ، ولا يَسْتَيْقظ هاجدُها . فقال له عامر : إن البَغْىَ أبادَ عَمْرا ، وصَرَع حُجْرا، وكان أعزَّ منكَ سلطانا ، وأعظم شانا ؛ وإن لَقِيتَنا

(١) الذى فى مادة ندل من اللسان . وآليت لا أعطى مليكا مَقَادَتى * ولا سُوقة حتى يئـوب ابن مندله

لم تَلْقَ أنكاسا ولا أَغْسَاسا ، فَهَبِّش وَضَائِعَك وصنائعك وهَلُمَّ اذا بدا لك فنحن الأُلى قَسَطُوا على الأملاك قَبْلَك ، ثم أتى راحلته فركبها وأنشأ يقول هذه الأبيات :

تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنَّ قَنَاتَنا * تَزِيدُ على غَمْزِ الثِّقاف تَصَعُّبَا
أَتُوعِدُنا بالحرب أُمُّكَ هابِلٌ * رُوَيْدَك رَبْقًا لا أبا لك خُلَّبَا
اذا خَطَرَتْ دُونِي جَدِيلَةُ بالقَنَا * وحامتْ رجالُ الغَوْثِ دونى تَحَدُّبا
أَبَيْتُ التى تَهْوَى وأَعْطَيْتُك التى * تَسُوق اليك الموت أَخْرَجَ أَكْهبَا
فإن شئت أن تَزْدَارَنا فَأْتِ تَعْتَرِفْ * رجالا يُذِيلُون الحَدِيدَ المُعَقْرَبَا
وإنك لو أبصرتَهم فى مجالهم * رأيت لهم جَمْعا كَثِيفًا وكَوْكَبَا
وذَكَّرَكَ العَيْشَ الرَّخِيَّ جلادُهم * ومَأْوًى بأكناف السَّدِير ومَشْرَبا
فأَغْضِ على غَيْظٍ ولا تَرُمِ التى * تُحَكِّمُ فيك الزَّاعِبِيَّ المُحَرَّبا

[ما دار بين متمم بن نويرة وعمر رضى الله عنه ورثاء متمم له بعد وفاته]

قال أبو على وأخبرنا أبو عثمان قال أخبرنى التَّوَّزى عن أبى عُبَيدة قال: قَدِم مُتَمِّم بن نُوَيْرة على عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما وكان به مُعْجَبا: فقال يامتمِّ، ما يَمْنَعُك من التزويج لَعَلَّ الله أن يَنْشُرَ منك ولدا ، فانكم أهل بَيْتٍ قد دَرَجْتُم ، فتزوّج آمرأة من أهل المدينة فلم تَحْظَ عنده ولم يَحْظَ عندها ، فَطَلَّقها ثم قال :

أقول لهند حِينَ لم أَرْضَ عَقْلَها * أهذا دَلالُ العشق أم أَنْتِ فارِكُ
أم الصَّرْم ما تَهْوَىْ فكلُّ مفارِق * عَلَيَّ يسيرٌ بعد ما بانَ مالك

فقال له عمر : ما تَنْفَكُّ تذكر مالكا على كل حال ، فلم يمض لهذا الأمر إلا قليل حتى طُعِنَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورحمه ، ومتمم بالمدينة . فقال يرثى عمرَ رضي الله عنه :

يَسْأَلُنِى آبن بُجَيْرٍ أين أَبْكُرُهُ * عَنِّى فانّ فؤادى عنك مشغول
هَلَّا بيوم أبى حَفْصٍ ومَصْرَعِه * إن بُغَاءك ما ضَيَّعْتَ تَضْلِيل
إنَّ الرَّزِيئةَ فابْكِه ولا تَسَمَنْ * عِبْءٌ تُطِيف به الأنصار محمول

* * *

قال أبو على وأخبرنا أبو عثمان قال أخبرنى التوزى عن أبى عبيدة قال كان مُرَّةُ بنُ مَحْكَان جَوادا، ــ قال أبو بكر بن دريد أحسبه عَنْبَرِيًّا ــ فَحَمَل حَمَالاتٍ فعجَز عنها، فحبسه عبيدُ الله بن زياد، فقال الأُبَيْرِد فى ذلك :

أَبْلِغ عُبَيْـــدَ الله عنى رِسالةً * رسالةَ قاضٍ بالفـــرائض عالم
فان أنت عاقبتَ ابْنَ مَحْكَانَ فى النَّدى * فَعَاقِبْ هـــداكَ الله أَعْظُمَ حاتم
حَبَسْتَ كريما أنْ يَجُود بمـاله * سَـــعَى فى ثَأَى فى قومه مُتَـفَاقِمِ
كأنَّ دماءَ القـــوم اذ عَلِقَتْ به * على مُكْفَهِرٍّ من ثَنايا المَخَـارِمِ

[خبر الشيظم الغسانى ونزوله بملك الشام مستجيرا]

قال أبو بكر أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال: قَتَل الشَّيْظَمُ بن الحارث الغسَّانى رجُلًا من قومه، وكان المقتول ذا أُسْرة، فخافهم فلَحِق بالعراق أو قال بالحيرة مُتَنَكِّرا، وكان من أهل بيت المُلْك، فكان يَتَكَفَّف الناسَ نَهـارَه و يأوى الى خَرِبةٍ من خَرَاب الحـيرة، فبينا هو ذات يوم فى تَطْوافه اذ سمع قائلا يقول :

لحَى اللهُ صُـعْلُوكا اذا نال مَذْقةً * تَوَسَّـد إحدى ساعدَيْه فهَـوَّما
مقيما بدار الهُـــون غيرَ مُنَاكِرٍ * اذا ضِـيمَ أَغضَى جَفْنَه ثم بَرْشَما
يَلُوذ بأَذْراء المَشَـارِيب طامعـا * يَرَى المَنْع والتَّعبِيس من حيثُ يَمَّما
يَضَنُّ بنفسٍ كَدَّرَ البُؤْسُ عَيْشَها * وجُـودٌ بها لو صانها كان أَحْزَما
فذاك الذى إن عاش عاش بذِلَّةٍ * وان مات لم يَشْهَد له الناسُ مأْتَما
بأَرْضِك فاعْرُكْ جِلْدَ جَنْبِك إننى * رأيتُ غَرِيبَ القوم لَحْمًا مُوَضَّما

فكأنه نَبَّهه من رَقْدة، فأقبل على صاحب خيل المنذر فأقام عنده أياما وقال له : إنى رجل من أهل خيبر أقبلت الى هذه البلدة بتجارة فأَصَبْتُ بها، ولى بَصَرٌ بسياسة الخيل فاصْطَنِعْنى، فَضَمَّه الى بعض أصحابه حتى وافق غِرَّةً من القوم، فركب فرسا جوادا من خيل المنذر وخرج من الحيرة يَتَعَسَّف الأرضَ

حتى نزل بحَىٍّ من بَهْـراءَ فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زادا و رمحا وسيفا وخرج حتى أتى الشأمَ فصادف الملكَ مُتَبَدِّيا ، وكان اذا تَبَدَّى لا يُحْجب أحد عنه ، فأتى قُبَّةَ الملك فقام قريبا منه وأنشأ يقول :

يا صاحب الخيل الجِيَادِ المُقْرَبه * وصاحبَ الكَتِيبة المُكَوْكَبه

والقُبَّـةِ المَنِيعــة المُحَجَّبــه * وواهبَ المُضْـمَرة المُرَبَّبـه

والكاعِبِ البَهْكَنَةِ المُؤَتَّبــه * والمِـائة المُـدْفَاة المُنْتَخَبــه

والضَّارب الكَبْش فُوَيْقَ الرَّقَبه * تحت عَجَاج الكَبَّة المُكَتَّبه

هذا مَقامُ مَنْ رأى مُطَّلَبَه * لَدَيْك اذ عَمَّى الضَّلالُ مَذْهَبــه

* وخَالَ أنَّ حَتْفَه قد كَرَبَهْ *

فأذِنَ له المَلِك فدخل عليه وقَصَّ قصتَه ، فقال له الملك : أَنَّى لِحلْمك ياشَيْظَم أن يَثُوب ولِنوَارِك أن يثوب، ثم بعث الى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم .

قال أبو على وحدّثنى أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أعرابى لابن عمه : اطْلُبْ لى امرأةً بيضاء، مَديدةً فَرْعاء، جَعْـدة تقوم فلا يُصيب قَمِيصُها منهـا الا مُشَاشَتَىْ مَنْكِبَيْها وحَلَمَتَىْ ثَدْيَيْها ورانِفَتَىْ أَلْيَتيها ورُضَافَتَىْ ركبتيها ، اذا استَلْقَتْ فرَمَيْتَ تحتها بالأُتْرُجَّة العظيمة نَفَذَتْ من الجانب الآخر، فقال : وأَنَّى بمثل هذه ألّا فى الجِنَان ! .

[المجلس الثانى فى صفة الأسد]

مجلس فى صفة الأسد — قال أبو على أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا الأشناندانى عن التوزى عن أبى عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زُبَيد الطائى و جميل بن مَعْمر العُذْرى والأَخْطل التَّغْلَبى، فقال لهم : أيُّكم يصف الأسدَ فى غير شعر؟ فقال أبو زُبَيد :أنا يا أمير المؤمنين، لَوْنُه وَرْد، وزَئِيرُه رَعْد — وقال مرة أخرى : زَغْد — وَوَثْبُه شَدّ، وأَخْذُه جِدّ، وهَوْلُه شَديد ، وشَرُّه عَتيد، ونابُه حَديد، وأنْفُه أَخْثَم ، وخَدُّه أدْرَم، ومِشْفَرُه أَدْلَم، وكَفَّاه عُرَاضَتَان ، ووَجْنَتاه ناتِئَتان ،وعَيْنَاه وَقّادَتان ، كأنهما لَمْحُ بارق ، أو نَجْمٌ طارق ، اذا استقبلتَه قلتَ أَفْدَع ، واذا استَعْرَضْتَه قلت أَكْوَع ، واذا استدبرتَه قلت أَصْمَع ، بَصير اذا استَغْضَى، هَمُوسٌ اذا مَشَى ، اذا قَفَّى كَمَش ، واذا جَرَى طَمَش ، بَرَاثِنُه شَثْنَة ، ومَفَاصِلُه مُتَرَصَة ، مُصْعِقٌ لقَلْب الجَبَان ، مُرَوِّعٌ لمـاضى الجَنَان ، إن قاسَمَ ظَلَم ،و إن كابَرَ دَهَم ،و إن نال غَشَم . ثم أنشأ يقول :

خُبَعْثِنٌ أَشْــوَسُ ذو تَهَــكُّمِ * مُشْتَبِكُ الأنيـاب ذو تَبَرطُمِ
وذو أَهَاوِيــلَ وذو تَجَهُّــمِ * ساطٍ على اللَّيْثِ الهِزَبْرِ الضَّيْغَمِ
وعَيْنُه مثــلُ الشِّهاب المُضْرَمِ * وهامُهُ كالحَجَرِ المُلَمْــلَمِ

فقال: حَسْبُك يا أبا زبيد. ثم قال: قل يا جميل، فقال: يا أمير المؤمنين، وَجْهُه فَدْغَم، وشِدْقُه شَدْقَم، وأنْفُه مُعْرَنْزِم، مُقَدَّمه كثيف، ومُؤَخَّره لطيف، وَوَثْبُه خفيف، وأخْذُه عنيف، عَبْلُ الذِّراع، شَديد النُّخَاع، مُرْدٍ للسِّبَاع، مُصْعِق الزَّئير، شديد المَرِير، أَهْرَت الشِّدْقَين، مُتْرَص الحَصِيرَيْن، يركب الأهوال، ويَهْتَصِر الأبطال، ويَمْنَع الأشبال، ما إن يزال جاثمًا في خِيس، أو رابضًا على فَرِيس، أو ذا وَلْغ ونَهِيس، ثم قال:

لَيْثٌ عَرِينٍ ضَيْغَمٌ غَضَنْفَرُ * مُدَاخَلٌ في خَلْقه مُضَــبَّرُ
يُخَاف من أنيابه ويُذْعَرُ * ما إنْ يزال قائمًا يُزَمْجِرُ
لَهُ على كل السِّباع مَفْخَـرُ * قُضَاقِضٌ شَثْنُ البَنَانِ قَسْوَرُ

فقال: حَسْبُك يابن مَعْمَر. ثم قال: قل يا أخطل، فقال: ضَيْغَم ضِرْغام، غَشَمْشَم هَمْهام، على الأهوال مِقْدام، وللأقران هَضَّام، رِئْبال عَنْبَس، جَرِيءٌ دَلَهْمَس، ذو صَدْر مُفَرْدَس، ظَلُوم أَهْوَس، لَيْثٌ كَرَوَّس:

قُضَاقِضٌ جَهْمٌ شديد المَفْصِــل * مُضَــبَّرُ الساعدِ ذو تَعَثْكُلِ
شَرَنْبَثُ الكَفَّين حامى أَشْبُلِ * اذا لَقَاه بَطَــلٌ لم يَنْــكُلِ
مُلَمْــلَمَ الهامةِ كَمْش الأرجُــلِ * ذُو لِبَــدٍ يَخْتَال في تَمَهُّــلِ
أَنْيـابُه في فيه مثــلُ الأنْصُــلِ * وعَيْنُه مثــل الشِّهاب المُشْعَلِ

فقال له: حسبك! وأمر لهم بجوائز.

*
* *

وأنشد أبو على لجميل بن معمر:

سَقَى اللهُ جِــيرانى الذين تَحَمَّــلوا * بمُرْتَجِس أضحى بذى الرِّمْث يَهْطِلُ
له سَلَفٌ منــه بنَجْــدٍ مُرَيَّمٌ * ومنــه عِشَارٌ في تِهـامة بُهَّــلُ
ولولا ابْنةُ العُذْرِىِّ مابِتُّ مَوْهِنًا * لِــبَرْقٍ عَنَا مِنْ نحوها يَتَهَلَّلُ

قال : وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا العُكْلِىُّ قال حدّثنى حاتم بن قَبِيصة قال[(١)] : أَغْزَى زِيَادٌ ابنَه عَبَّادا الفارس، وأَصْحَبه الُمهَلَّب ففتح ، فَبَيْنَاهُمْ كذلك اذ جاءهم فتى شابٌّ بفرس يقوده الى المهلَّب ، فقال : أيها الأمير، أحب أن تَقْبَل منِّى هذا الفرس ، فإنه مِن سِرِّ خيلنا ، فَقَبِله المهلبُ منه ، فلما ذهب الفتى نظر اليــه المهلب وحرّكه ، فقال : والله ما أرى فيــه ما قال ولا أَحْسَــبُه الا تَعَرَّض لِصِلَتنا : فأمر له بوَصِيفَتَيْن ، فَحُمِلتا على الفــرس وردّه الى الشابّ ، فقبــل الوصيفتين ورَدَّ الفرسَ الى المهلب فكان فى خيله ، وكان داود بن قَحْذَم القَيْسى أحد بنى قيس بن ثَعْلبة نشأ فى حِجْر المهلب وكان يلى القيام على خيله فَقَدِموا شِيرَازَ وبها حُمْرانُ بن أَبان واليا عليها وعلى فارس ، فقال لهم : هل لكم فى السِّباق؟ فقال عبَّاد : ونحن على ظَهْرها . فقال المهلب : أَجِّلْنا أَجَلا . فقال : كم تريدون؟ قال : أربعين يوما . قال : نعم ، فَعَلَفَهَا الرِّطَابَ عشرين وأَضْمَرها عشرين . فقال داود بن قَحْذَم للمهلَّب : ان الفرس الذى أهداه الشاب الينا لا والله ما أَضُمُّه الى شىء من خيلنا الا سَبَقَه . فقال المهلب : لعــلَّه فرسٌ مِنْزَاقٌ يَصْبِر فى القُرْب ولا يصــبر اذا بَعُدت الغايةُ . قال : لا أدرى . قال : لاتُرْسِلْه حتى أجىء . قال : فأمر المهلب بِلقْحة تُحْلَب والفرس يسمع فلما سَمِــع صوتَ الحِلَاب أصاخ بسمعه حتى أُدْنِيَتْ منه العُلْبة فشربها ، فلما رأى المهلبُ ذلك قال لداود : لاتُرْسِل الخيل حتى تعلم أنه قد تَوَسَّط الميدانَ ، فاستهان داود بالفرس ، فَحَمل عليه شابًّا . فقال المهلب : والله لقد مَرَّ بى سابقا وما أَرَى معه من الخيل واحدا . قال : فأخذه عَبَّاد بن المهلب فَحَمَله الى الشام وأهداه الى معاوية وسَمَّى الأعرابى ، فَسَبَق خيلَ الشام ، فلذلك قال عبد الملك بن مروان :

سَبَقَ عَبَّادٌ وصَلَّتْ لِحْيَتُهْ * وكان خَرَّازًا تَجُود قِرْبَتُهْ

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعى قال : جئت الى أبى عمرو بن العَلَاء فقال لى ؛ من أين أقبلتَ يا أصمعى؟ قلت : جئت من المِرْبَد . قال : هاتِ ما معك ، فقرأتُ عليه ما كتبت فى ألواحى ، فَمَرَّت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو فى الدَّرَجة وقال: شَمَّرْتَ فى الغريب أى غلبتَنى .

(١) كذا بالأصل ومقتضاه أن عبادا هو ابن زياد وفى بقية القصة ما يفيد أنه ابن المهلب الا أن يكون المسمى بعباد اثنين .

قال أبو على وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن قال قال عمى : سمعت بيتين لم أحْفِلْ بهما . قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتّاب . قال : فإنى عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر، فأقبل على مسرورٍ الكبير، فقال له : يا مسرور، كم فى بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شىء . فقال عيسى : هذا بيت الحزن، فاغتمّ لذلك الرشيد وأقبل على عيسى ، فقال : والله لَتُعْطِيَنَّ الأصمعىَّ سلفًا على بيت مال السرور ألفَ دينار، فاغتمّ عيسى وانكسر . فقلت فى نفسى : جاء موضعُ البيتين : فأنشدت الرشيد رحمه الله تعالى :

اذا شئتَ أن تَلْقَى أخاك مُعبِّسا * وجَدّاه فى الماضين كعبٌ وحاتم

فكَشِّفْه عمّا فى يديه فانما * تُكَشِّفُ أخبارَ الرجال الدراهم

قال : فتجلّى عن الرشيد، وقال لمسرور : أعطِه على بيت مال السرور ألفى دينار، فأخذتُ بالبيتين ألفى دينار وما كان البيتان يساويان عندى درهمين .

وأنشد أبو بكر لمحمد بن صالح

طَرِب الفؤادُ وعادَهُ أحزانُه * وتَشَعَّبَتْ شُعَبًا به أشجانُه

وبَدَا له من بعدما أندَمَلَ الهوى * بَرْقٌ تَتَابَعَ مَوْهِنًا لَمَعانُه

يبدو كحاشية الرداء ودُونَه * صَعْبُ الذُّرى مُتَمَنِّع أركانُه

فدنا لِيَنْظُرَ أين لاح فلم يُطِقْ * نَظَرًا اليه وردّه سَجَّانُه

فالوجدُ[1] ما اشتملتْ عليه ضلوعُه * والماء ما سَمَحَتْ[2] به أجفانُه

ثم استعاذ من القبيح وردّه * نَحْوَ العَزاء عن الصِّبا إيقانُه

وبدا له أن الذى قد ناله * ما كان قَدَّرَه له دَيّانُه

حتى اطمأنّ ضميرُه وكأنما * هَتَكَ العلائقَ عاملٌ وَسِنَانُه

يا نفس لا يَذْهَبْ بقلبك باخلٌ * بالوُدِّ باذِلَ تافِهٍ مَنّانُه

يَعِدُ القضاءَ وليس يُنْجِز مَوْعِدًا * ويكون قَبْلَ قضائه لَيّانُه

فاقنع بما قَسَم المليكُ فأمْرُه * ما لا يُرَدُّ عن الفتى إتيانُه

(١) المحفوظ «فالنار» ، ولعلهما روايتان . (٢) كذا بالأصل والمحفوظ : سحت بغير ميم من السحّ وهو الانصباب .

[مجلس فى الخيل المنسوبة]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر عن الأصمعى قال : كان الحَرُون من خيل العرب . حدّثنى رجل من أهلِ الشام قال: كان مع مسلم بالرَّىِّ، ثم جاء فَشَهِدَ معه وقعةَ إبراهيم . قال حدّثنى بهذا النسب مسلم، قال: الحَرُون بن الأَثَاثِىّ بن الخُزَز بن ذى الصُّوفة بن أَعْوَج فَرَس مسلم بن عمرو الباهلى فى الإسلام، وكان مســلم اشتراه من أعرابى بالبصرة بألف درهم معاوَضةً بمتاع ، وذكر أنه كان فى عُنُقِه رَسَنٌ حين أدخله الأعرابى، يطير عِفَاؤه(١) فَسَبَق الناسَ عليه عشرين سنة ، وكان يَسْبِق الخيلَ ثم يَحْرُن حتى تلحقَه الخيل، فاذا لحِقتْه سبقها ثم حَرَن ثم سبقها . وكان الحجاج قد بَعَث بابنٍ له يقال له البِطَان الى الوليد بن عبــد الملك فَصَيَّره لمحمد ابنــه . وولَد البِطانُ البَطِينَ . وولد البطينُ الذائدَ . وكان هشام ابن عبد الملك يشتهى أن يُسْبَق الذائدُ، فأتوه بفرس بَرْبَرِىٍّ يقال له المُكَانب بعد ما حَطِمَ الذائد وسَبَق أيضا عشرين سنة . قال فَضَمَّه اليه فكان سائسُــه يقول : جَهَدَ المُكانبُ الذائدَ جَهَــدَه الله! أى فى الجَرْى وهو مُتَفسِّح(٢) . قال : فجاء معه يتقــدمه بشىء . والذائد ابن البطين . وأَشْــقَرُ مَرْوان من نســـل الذائد .

قال الأصمعى : كان عبــد الله بن على قدم بأشقر مروان البصرة، قال : فرأيته أشقرَ أَعْوَر من نســـل الذائد .

قال : وحدّثنى جعفر بن سليمان قال : كان لا يدخل على الذائد سائسُه حتى يَأْذَنَ، يُحَرِّك له مِخْلاةً فيها شــعير، فإن تَحَمْحَم دخل عليه، وإن هو دَخَل قبــل أن يفعل ذلك شَدَّ عليه، وكذا كان يصنع بالفرس اذا جَرَى معه يَكْدِمُه .

قال الأصمعى : الوَجِيــه ولاحِقٌ والغُرَاب وسَــبَل وهى أُمُّ أعوج كانت لغَنِيٍّ . وأَعْوَجُ كان لبنى آكل المُرَار، ثم صار لبنى هلال بن عامر . وجِرْوَةُ : فَرَس شَدَّاد بن عمرو أبى عنترة بن شداد . ومَيَّاسٌ وهَدَّاج لباهلة لبنى أعيا(٣)، قالت الحارثية :

شَــقِيقٌ وحَرْمِىٌّ هَرَاقا دماءَنا * وفارسُ هَدَّاجٍ أشابَ النَّواصِيَا

(١) العفاء : الشعر اذا طال ووفى . (٢) كذا بالاصل وهو مكرر مع ما سبق قريبا . (٣) هكذا بالأصل، ولعلها بنى أعيا بطن من باهلة فانظر وحرّر .

والكَلْب : فرس رجل من بنى عامر أو غَطَفان . وقُرْزُل: فرس الطُّفَيل أبى عامر بن الطفيل .
وذو الخِمَار : فرس مالك بن نُوَيْرة . والجَوْب : فرس أَرْقَم بن نويرة . وذات النُّسُوع : فرس بِسْطام
ابن قيس . والنَّعامة : فَرَس للحارث بن عَبَّاد ، وَوَلَدَت النَّعامةُ الشَّيِّط وهو لبنى سَــدُوس . وكان
لحُزَز بن لَوْذان ، وفيه يقول :

لا تذكرى مُهْرِى وما أَطْعَمْتُــه * فيكونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأجربِ

والمُتَمَطِّر : فرس حَيَّانَ بنِ مُرَّة من نسله . وكامل : فرس الحَوْفَزان . وحَلَّاب وقَيْد لبنى تَغْلِب .
ومُخَالِس لبنى عُقَيــل . واليَحْمُوم والدَّفُوف للنعمان بن المنذر . والعَصَا : فرس جَذِيمة الأبرش .
وفى بنى تغلب فرس يقال له العصا فارسه الأخنس بن شهاب . والهَطَّال لزَيْد الخَيْل . والنَّحَّام لرجل
يقال السُّلَيْك بن سُلَكة السَّعْدى . وداحس لقَيْس بن زُهَير . والغَبْراء لحذيفة بن بدر الذبيانى .

[خطبة زياد لما قدم البصرة]

قال أبو على وحدّثنا أبو العباس قال حدّثنى على بن عبد الله الهاشمى قال حدّثنا العكلى عن أبى معمر
قال : قَدِم زياد والمُهَلَّب بن أبى صُــفْرة البصرة ، فجاء الى الجمعــة وقد لَبِس قميصا مُرَحَّضا(١) ومُلاءة
مُمَصَّرة(٢) ، فصَعِد المنبر ، فقال : رُبَّ فَرِحٍ بإمارتى لن تنفعه ، ورُبَّ مُبْتَئِس بها لن تَضُرّه ، ثم حَمِد الله
وأثنى عليــه ، ثم قال : أيها الناس ، إن معاوية قد قال ما بَلَغكم وشَهِدَت الشهودُ بما قد سمعتم ، وإنّى
امرؤ قد رَفَع اللهُ منّى ما وَضَــعُوا وحَفِظ منّى ما ضَيَّعوا ، وإن عُبَيْــدا لم يَأْلُ أن يكون كافلا مبرورا
وأبا مشكورا ، وإنا قد سُسْنا وساسَنا السائسون ، فلم نَجِد لهذا الأمر خَيْرًا من لِينٍ فى غير وَهْن ، ولا من
شِــدَّة فى غير جَبْرِيَّة . ألَا وإنها ليست كَذْبة أكثرَ عليها شاهدا من الله ومن المسلمين من كذبة إمامٍ
على مِنْبَر ، فإذا سمعتموها منّى فاختــبروها فىّ ، واعلموا أن لهــا عندى أخواتٍ ، واذا رأيتمونى أُجْرِى
الأمور فيكم على أَذْلالها(٣) ، وأُمْضِيها لسُبُلِها ، فلْتَسْتَقِمْ لى قَنَاتُكم . والله لآخُذَنَّ المُقْبِلَ بالمُدْبِر ، والمُحْسِنَ
بالمسىء ، والمطيعَ بالعاصى حتى يَلْقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول : يا سَــعْدُ انْجُ فإن سعيدا قد قُتــل .
فقام اليــه رجل يقال له صَفْوان بن الأهتم فقال : والله ، لقــد آتاك الله الحكمةَ وفصلَ الخطاب .

(١) كذا فى النسخ مضبوطا بالتشديد ، وعبارة القاموس رحضه كمنعه غسله كأرحضه اهـ . (٢) ممصرة : مصبوغة بالمصر وهو الطين الأحمر وقيل هي ما صبغت بالعشرق وهو نبات أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس . (٣) على أذلالها : على وجوهها .

فقال : كَذَبْتَ، ذاك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام. ثم قام اليه الأحنف بن قيس فقال : أصلح الله الأمير، إن الجَوَاد بشَــدِّه، وان السيف بحدِّه، وان المرء بجِدِّه، وان جِدَّك قد بَلَغ بك ما ترى، وان الثَّناء بعــد البَلاء، ولَسْنا نُثْنِي عليك حتى نَبْتَلِيَكَ ، فأَوْفِ خَيْرًا نُثْنِ به . ثم قام أبو بِلَال مِرْداس ابن أُدَيَّة فقــال : يأيها الانسان، إنا قد سمعنا ما قُمْتَ به وما أدَّيت عن نفسك ، وإن الله ذَكَر وَلِيَّه وخليــلَه إبراهيم فقال : ﴿ وإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى أَنْ لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وأنت تزعم أنك تأخذ بعضنا ببعض وتقتل بعضنا ببعض . ثم سكت فما رُؤى بعد ذلك .

قال أبو العباس : وحُدِّثت بهذا الحديث من وجه آخر فيه، فقال زياد: ياهذا، إنا لن نَبْلُغ الحقَّ حتى نخوضَ اليه الباطلَ خَوْضا .

*
* *

وأنشدنا لرَفِيع بن سَلَمة العَبْدى المعروف بدَمَاذ :

تَفَكَّرت فى النَّحْو حتى مَلِلْتُ * وأتْعبتُ روحى له والبَــدَنْ
وأتعبتُ بَكْرًا وأشــياعَه * بطُول المســائل من كل فَنّْ
فَمِنْ عِلْمِــه ظاهرٌ بيِّنٌ * ومنْ عِلمــه غامضٌ قد بَطَنْ
فكُنْتُ بظاهره عالمــا * وكنتُ بباطنــه ذا فِطَنْ
ســوَى أنَّ بابًا عليه العَفَا * ءُ للفــاء يا لَيْتَــه لم يَكُن
وللــواو بابٌ الى جَنْبِــه * من المَقْت[1] أَحْسَــبُه قد لُعِن
اذا قلتُ هاتوا لمــا قيــل ذا * فَلَسْتُ بآتيــك أو تأْتِيَــن
بمــا نَصَــبُوه أَبِينُــوه لى * فقالوا جميعا بإضمــار أن
وما إن رأيت لهــا موضــعا * فأعْرِفَ ما قيــل إلَّا بِظَنّْ
فقد خِفْتُ يا بَكْرُ مِنْ طول ما * أُفكِّر فى أمر أنْ أن أُجَنّْ

قال أبو بكر : يعنى بِبَكْرٍ أبا عثمان المــازنى . قال أبو العباس : فبلغ ذلك المــازِنِىَّ ، فقــال : والله ما أحْسَب أنه سألنى قَطُّ، فكيف أَتْعَبَنِى! .

---

(١) فى نسخة : «من البغض» .

قال أبو العباس : كان على رضى الله تعالى عنه يأخذ البَيْعة على أصحابه ، فجعلوا يقولون نَعَام ، يريدون : نَعَمْ ، فقال على رضى الله عنه : ان النَّعَامَ والباقِرَ فى الصَّحْراء لكثير، ما لَكُمْ! أبدلكم الله منِّى مَنْ هو شَرٌّ لكم مِنِّى، وأبدلنى الله منكم من هو خير لى منكم .

قال أبو العباس : قرأت على التوزى عن أبى عبيدة إملاء عليه قال : مَرَّ حاتم بن عبد الله الطائى ببلاد عَنَزَة، فناداه أسيرلهم : يا أبا سَفَانة، أكَلَنِى الإسارُ والقَمْل . فقال له : وَيْحَك! والله لقد أَسَأْتَ بى إذ نَوَّهْتَ بى فى غير بلاد قومى . قال : فنزل فَشَدَّ نفسه فى مكانه فى القِدّ وأطلقه حتى عُرِف مكانه فَفُدِى فداء كثيرا . قال : وفى غير هذا الحديث أن امرأة آسره أَتَتْه والحَىُّ خُلُوفٌ ببعير قد نِيطَ وبشَفْرة فقالت له : افْصِدْه، فقام فنَحَره — أو قال مرة أخرى فَلَثَم فى نَحْره — فلَطَمَتْه فقال: «لو غَيْرُ ذات سِوارٍ لَطَمَتْنِى» فقالت: أمرتُك أن تَفْصِده فنحرتَه، فقال: «ذٰلك فَصْدِى أَنَهْ» فبذلك عُرِف . وقال أبو العباس مرة أخرى فقال : « هكذا فَزْدِى أَنَهْ » بالزاى ، وجعل الهاء بدل الألف فى الوقف وهو الأصل، وهى لغته فبذٰلك عرف . وأنشدنا فى مثل ذلك :

لا أَفْصِد الناقةَ من أَنْفِها * لٰكِنَّنِى أُوجِرُها العالِيَهْ

وأنشدنا أبو على لجحظة كتب بها الى الوزير ابن مُقْلة، وكانت عند أبى على بخط جحظة كما كتب بها :

سَلامٌ عليكم من شُيَيْخٍ مُقَوَّسٍ * له جَسَدٌ بالٍ وعَظْمٌ مُحَطَّمُ
ألم يَكُ فى حقِّ النِّدام وحُرْمة الـ * ـمدائح أن يُحْنَى عليه ويُرْحَمُ
أبا حَسَنٍ أَنْصِفْ فأنت مُحَكَّمٌ * ولا تَقْرَبَنَّ الظُّلْمَ فالظلم مُظْلِمُ
أيُصْبِح مثلى فى جِوارك ضائعا * وحَوْضُك للطُّرَّاق بالجود مُفْعَمُ
ووالله ما قَصَّرْتُ فى شُكْرِ نعمةٍ * مَنَنْتَ بها قِدْما وذو العرش يَعْلَمُ

[خبر أبى دهبل الجمحى ونزوله جيرون وتزوجه بذات القصر هناك]

قال وأخبرنا أبو عثمان الأشناندانى قال : أخبرنا التوزى عن أبى عبيدة قال : كان أبو دَهْبَل الجُمَحِى جميلا وَضِيئا، وكان عفيفا، فخرج الى الشام، فنزل جيرون، فجاءته عجوز فقالت : ان ابنة لى وَرَدَها كتاب من حَمِيم لها وليس عندها أحد يقرؤه ، فتدخل اليها فى هذا القصر فتقرؤه فتحتسب الأَجْرَ فيها، ففعل فدخل فأغلق الباب دونه واذا امرأة فى القصر رأته فأعجبها، فدعته الى نفسها،

فأبى . فأمرتْ حَشَمَها فسجنوه فى منزل من الدار ومُنِـع من الطعام والشراب حتى كاد يَهْلِك . ثم أمرتْ به فأُخْرِج ودعته الى نفسها فأبى ، وقال : أما الحرام فلا ، ولكن ان أردت أن أتزوَّجَك فَعَلْتُ . فقالت : نعم ، وأحسنتْ اليـه حتى ردّت له روحَه ، فتزوّجته ومَنَعَتْه من الخروج حتى طال ذلك عليه . ثم قال لها ذات يوم : قد أَثِمْت فى وَلَدى وأهلى ، فأْذَنِى لى فى أن أطالعهم وأرجع اليك . فقالت : لا أستطيع فراقك ، فعاهَدها ألّا يغيبَ عنهـا أكثر من ستة أشهر ، وأعطته مالا كثيرا وغير ذلك ، فخرج حتى قَدِم على أهله بمكة ، فوجدهم قد نُعِىَ لهم واقتسم ولدُه مالَه وزَوَّجوا بناتِه ووجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئا وبكَتْ عليـه حتى غَمَضَتْ(١) . فقال لبنيه : أَمَّا أنتم فحَظُّكم ما أخذتم من مالى ، وقال لزوجتــه : هذا المـال لك فاصنعى به ماشئتِ . وأقام عندها حتى قربت المدة ، ثم مضى الى الشام ، فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزنا عليه وأَسَفا لفراقه ، فقال فيها :

صـاحِ حَيًّا الالهُ حَيًّا ودُورا * عند أصل القَناة من جَيْرُون
عن يسارى اذا دَخَلْتُ الى الدا * ر وان كنت خارجا فيَمِيـنى
فَبِتِلْك اغْتَرَبْتُ بالشـام حتى * ظَنَّ أهـلى مُرَجَّمات الظنون
وَهْىَ زَهْراء مثــل لؤلؤة الغَـوّاص * مِيزَتْ من جوهرٍ مَكْنون
واذا ما نَسَبْتَهـا لم تجـدها * فى سَناء من المكارم دُون
تَجْعَل المِسْـك واليَلَنْجُوجَ والنَّـدّ * صِـلاءً لهـا عـلى الكانون
ثم ما شَيَّتُهـا(٢) الى القُبَّــة الخَضراء * تَمْشِى فى مَرْمَرٍ مَسْنُون
قُبَّــة من مَراجلٍ ضَرَبَتْهـا * قبـل حَدّ الشـتاء فى قَيْطُون(٣)
ثم فارقتُهـا على خَـير ما كا * ن قَـرِينٌ مفارقا لقَـرِين
فَبَكَتْ خشــيةَ التَّفَـرُّق للبَيْـ * ـن بكاءَ الحَزِين إثْرَ الحـزِين
فَسَـلِى عن تَذَكُّرِى واطْمَئِنّى * بإبائى وانْ هُمُ عَـذَلونى

قال أبو على : وهذا الشعر يروى لعبد الرحمن بن حسان وبه كان سَبَب أمر يزيد الأخطل بهجاء الأنصار ، وفيه أبيات ليست فى شعر عبد الرحمن .

(١) كذا فى الأصل وفى اللسان عمشت . (٢) كذا فى الأصل والذى فى الصحاح واللسان ثم خاصرتها شاهدا على المخاصرة وهى أخذ الرجل بيد الرجل فى المشى . (٣) هكذا فى الأصل ، والذى فى اللسان فى مادة قطن : «عند برد» .

*
* *

قال أبو بكر بن الأنبارى قال بعض مَشْيَختنا قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : كان أَشْعَب فيمن يألف مُصْعَب بن الزبير، فَغَضِبت عائشة بنت طلحة يوما على مصعب، وكانت زَوْجَته ومِنْ أحبّ الناس اليه، فشكا ذلك الى أشعب، فقال : ما لى إن رَضِيَتْ أصلح الله الأمير؟ قال : حكمُك، قال : عشرة آلاف درهم . قال : ذلك لك، فانطلق أشعبُ حتى أتاها، فقال لها : جُعِلْتُ فداءَك! قد عَلِمتِ حُبّى لكِ ومَيْلِى اليكِ قديما وحديثا على غير مَنَال أَنَلْتِنيه، ولا فائدة أَفَدْتِنيها، وهذه حاجة قد عَرَضَتْ تَرْتَهِنين بها شكرى، وتَقْضِين بها حَقّى بغير مَرْزِيةٍ . قالت : وما هى؟ قال : قد جَعَل لى الأميرُ إن رَضِيتِ عنه عشرةَ آلاف درهم . قالت : ويحَك! لا يمكننى ذلك . قال : بأبى أنتِ وأمى! ارْضَىْ عنه حتى يعطيَنى العشرة آلافِ درهم، ثم عُودِى الى ما عَوَّدك الله من سوء خلقك، فضحكت من كلامه ورَضِيَتْ .

قال إسحاق : أُتِىَ آبن أبى مُسَاحِق بابن أخت له وقد أَحْبَل جاريةً من جوارى جيرانه، فقال له : ياعَدُوَّ الله، اذا ابْتُلِيتَ بالفاحشة فهلّا عَزَلْت! قال : جعلتُ فداءك! بلغنى أن العَزْل مكروه، قال : أَفَمَا بَلَغك أن الزنا حرام! .

وأنشد إسحاق :

يعلو بهم جَدُّهُمُ صاعدا * وجَدُّنا فى رِجْله وَهْصه

قال أبو محلم : سمعت جرير بن عبد الحميد ينشد :

إنَّ اكتحالًا[1] بالبياض الأَبْرَجِ * ونَظَـراً فى الحـاجب المُزَجَّجِ
* مَئِنَّةٌ من الفَعال الأعوجِ *

قال ابن حبيب قال هشام قولهم : بنو الشهر الحرام، قالت بنو عامر بن عوف : هو مالك بن عمير بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف، وكان أبى يقول : الشَّهرُ الحَرَام هو عَبْـدُ وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذْرة، وهم رَهْط هشام الكلبى، وإنما سمى بذلك، لأنه كان يُحَرِّم الشهر الحرام .

(١) كذا فى الأصل وفى اللسان فى مادة أنن : * إن اكتحالا بالنق الاملج * وفى مادة ملج منه : الأملج، ضرب من العقاقير ويطلق على الأصفر الذى ليس بأبيض ولا أسود فلعلهما روايتان .

وقال التَّيْمى : أنشدنا أبو مَسْلمة الكِلَابى وقد باع جاريته نَبأً من عثمان بن نُجَيم التاجر ، فقال له بعض أصحابه : يا أبا مسلمة ، بِعْتَ نبأً ! فقال :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أُمَّ مالك (١) * كَرَائمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينِ

فبلغ أبا مصعب ، فاشتراها وردّها على أبى مسلمة .

[خبر عمرو بن معد يكرب وأخيه عبد الله]

قال الأصمعى كان بين عمرو بن مَعْدِ يكرِب وبين رجل من مُراد ـ يقال له أُبَىٌّ ـ كلام ، فتنازعا فى القَسْم ، فعجل عمرو وكانت فيه عَجَلة ، وكان عبد الله أخو عمرو رئيس قومه ، فجلس مع بنى مازن رَهْط من سَعْدِ العَشيرة ، وكانوا فيهم . فقعد عبد الله يشرب ويسقيهم رجل يقال له المُخَزَّم من بنى زُبَيْد له مال وشَرَف . وكان عَبْدٌ من عبيد المخزّم قائما يسقى القوم ، فَسَبَّه عبد الله وضربه ، فقام رجل نَشْوانُ من بنى مازن فقتل عبدَ الله ، فرأَس عَمْرٌو بعد أخيه ، وكان غزا غَزْوةً فأصاب فيها ومعه أُبَىٌّ المُرادى ، فادعى أنه كان مُساند عمرو ، فأبى عمرو أن يعطيه ، فلما رجع عمرو من غَزَاته جاءت بنو مازن فقالوا : قَتَلَه رجل منّا سفيه ونحن يدُك عليه وعَضُدُك ، وانما قتله سكران فنسألك بالرَّحِم أن تأخذ الدية وتأخذ بعد ذلك ما أحببت ، فأخذ عمرو الدية وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة ، فغضبت أخت له تسمى كَبْشة ، وكانت ناكحا فى بنى الحارث بن كعب فقالت :

وأَرْسَل عبدُ الله إذ حان يومُه * الى قومه ألا تُحَلُّوا لهم دمى
ولا تأخُذوا منهم إفَالًا وأَبْكُرًا * وأُتْرَكَ فى بيت بصَعْدة مُظْلِمِ
ودَعْ عنك عَمْرًا ان عمرا مُسَالِمٌ * وهَلْ بَطْنُ عمرو غيرُ شِبْرٍ لمَطْعَمِ
فانْ أنتمُ لم تَقْتُلوا واتَّدَيْتُمُوا * فَمُشُّوا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ
ولا تشربوا الا فُضُولَ نسائكم * اذا أُنْهِلَتْ (٢) أعقابُهُنَّ من الدم
جَدَعْتُمْ بعبد الله آنْفَ قومه * بنى مازن أَنْ سَبَّ ساقى المُخَزَّمِ

فلما حَضَّت كبشة أخاها عمرا أكبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون ، فأوْجَع فيهم . ثم إن بنى مازن احْتَمَلوا فنزلوا فى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، فقال عمرو فى ذلك :

(١) فى نسخة : تنزع مكان تخرج اهـ . (٢) هكذا فى الأصل ، والذى فى معجم ياقوت اذا ارتملت أى تلطخت ، والمدار على الرواية .

تَمَنَّتْ مازنٌ جَهْـلًا خِلَاطِى * فَذُوقِى مازنٌ طَعْمَ الخِـلَاطِ (١)

أَطَلْتُ فِرَاطَكُم عامًا فعـامًا * ودَيْنُ المَذْحِجىّ الى فِـرَاطِ (٢)

أَطَلْتُ فِرَاطَكُم حـتّى اذا ما * قَتَلْتُ سَرَاتَكم كانت قَطَاطِ (٣)

غَدَرْتُم غَدْرةً وغَدَرْتُ أخرى * فما إنْ بَيْنَنا أبدًا يَعَاطِ (٤)

بطَعْنٍ كالحَرِيق اذا الْتَقَيْنا * وضربِ المَشْرَفِية فى الغُطَاطِ (٥)

[ما أنشده أبو عبيدة فى كتاب الخيل لعبد الغفار الخزاعى من أبيات يصف فيها الفرس]

قال أبو على فى كتاب الخيـل لأبى عبيدة : أنشد أبو عبيدة لعبد الغفار الخُزَاعى هذه الأبيات وذكر أن عروضها لا تُخَرَّج :

ذاك وقد أَذْعَرُ الوَحْشَ بصَلْـــتِ الخَدِّ رَحْبٍ لبَـانُه مُجْفَر

طويل خَمْسٍ قَصِير أربعـةٍ * عَرِيض سِتٍّ مُقَلَّص حَشْوَر

حَدَّتْ له تسعةٌ وقد عَرِيَتْ * تِسْعٌ ففيـه لمن رأَى مَنْظَر

بعيد عَشْرٍ وقد قَرُبْنَ له * عشرٌ وقد طالَتْ ولم تَقْصُر

نُقْفِيه بالمَحْض دون وِلْدَتِنـا * وعُضُّــه فى آرِيِّه يُنْشَــر

نَصْـبَحُه تارةً ونَغْبِقُــه * أَلْبانَ كُومٍ رَوائمٍ ظُؤَّر

حَتَّى شَتَا عنـــدنا يقال ألا * تَطْوُون من بُدْنِه وقد أُضْمَر

مُوَثَّق الخَلْق جُرْشُعٌ عَتَــدٌ * مُنْضَرِج الحُضْرِ حين يُسْتَحْضَر

خَاظِى الحَمَاتَيْن لَحْمُه زِيَمٌ * نَهْـدٌ شديد الصِّفاق والأَبْهَر

رقيقُ خَمْسٍ غليظ أربعـةٍ * نائى المَعَدَّيْن لَيِّن أَشْـعَر

قال أبو عبيـدة : يعنى بقوله طويل خمس أى طويل نَصِيل الرأس، طويل الأذنين، طويل العنق والكتفين، طويل البطن من غير أن تَقْرُب الى الأرض، طويل الأَقْراب، طويل الناصية،

(١) الخلاط : أن يشتبك مع القوم فى الحرب . (٢) فراطكم : إمهالكم والتأنى بكم . (٣) قطاط كقطام أى حسبى . (٤) يعاط : كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشا . (٥) الغطاط بالضم : أول الصبح أو بقية من سواد الليل .

طويل الذِّرَاعين، طويل الرِّجْلين . فهذا ما يُستحَبُّ(١) من الفرس أن يَطُول . وذكر هذا الشاعر منها خمسا . وقوله : قصير أربعة أى قصير الأرساغ ، قصير عَسِيب الذَّنَب ، قصير النَّضِيِّ ، قصير الكُرَاعَيْن ، قصير الأُطْرة وهى عَصَبة فوق الصِّفاق . فهذا ما يستحب أن يَقْصُر من الفرس وهُنَّ عشر ، وذكر هــذا الشاعر منهن أربعا . وقال : عريض ستٍّ أى عريض الجبهة ، عريض اللَّبَــان ، عريض المَحْزِم ، عريض الفَخِذين ، عريض وَظِيفَى الرِّجْلين ، عريض مثنى الأُذُنين . فهذا ما يستحب أن يَعْرُض من الفرس وهن تسع ، وذكر هــذا الشاعر منهن ستا . وقوله : حَدَّتْ له تسعة أى حَدِيد الأذنين ، حديد المَنْكِبين ، حديد العينين حديد القلب ، حديد عُرْقُوبَى الرجلين ، حديد المَنْجِمَيْن ، وهما عظمان فى الكعبين متقابلان فى باطنهما ، حديد الكَتِفين . فهذا مايستحب أن يَحِدَّ من الفرس وهن ثلاث عشرة ، وذكر هذا الشاعر منهن تسعا . وقوله : وقد عَرِيَتْ تسع أى عارى النَّوَاهِق ، عارى السُّمُوم ، عارى الخَدَّيْن ، عارى الجبهة ، عارى مثنى الأذنين ، عارى الكَعْبين ، عارى عَصَب اليــدين عارى عصب الرجلين . فهذا ما يستحب أن يَعْرَى من الفرس وهن خمس عشرة ، وذكر هذا الشاعر منهن تسعا(٢) . وقوله : تِسعُ كُسِين(٢) أى مُكْتَسِى الكَتِفين ، مكتسى المَعَدَّيْن ، مكتسى الناهضين ، مكتسى الفخذين ، مكتسى الكاذَتَيْن ، مكتسى أعلى الحَمَاتَيْن . فهذا ما يستحب أن يَكْتَسِىَ من الفرس وهن اثنتا عشرة ، وذكر هذا الشاعر منهن تسعا . وقوله : بعيد عشر بعيد ما بين العَيْنين ، بعيد ما بين الجَحْفَلة والناصية ، بعيد ما بين الأذنين والعينين ، بعيد ما بين أعالى اللَّحْيين ، بعيــد ما بين الناصية والعُكْوة ، بعيد ما بين الحارك والمَنْكِب ، بعيد ما بين العَضُدين والركبتين ، بعيد ما بين البطن والرُّفْغَين ، بعيد ما بين الجَبْتَيْن والجاعرتين ، بعيد ما بين الشَّرَاسِيف . فهذا ما يستحب أن يَبْعُــد ما بينهما من الفرس ، وذكر هذا الشاعر منهن عشرا(٣) ولم يَعُــدَّ البين أعنى بين كل شيئين فيَكُنَّ ستًّا ، ولكنه عدّ كل اثنين تباعَدَا . وقوله : وقد قَرُبْن له عشر أى قريب ما بين المُنْخُرين ، قريب ما بين الأذنين ، قريب ما بين المَنْكِبين ، قريب ما بين الرُّفْغَين ، قريب ما بين الركبتين والجنبين ، قريب ما بين الجُبَب والأشاعر ، قريب ما بين الحارك والقَطَاة ، قريب ما بين المَعَدَّيْن والقُصْرَيَيْن ، قريب ما بين

(١) سيأتى له أنها ستة عشر عضوا . (٢) وقوله تسع كسين لم يتقدّم فى الأبيات ذكر هذه العبارة ، ولعل هنا بيتا سقط من قلم الناسخ . (٣) هكذا فى النسخ ولعل هنا سقطا ، وقد تقدّم مثله فى شرح قوله طويل خمس .

الجَاعِرتَيْن والعُكْوة، قريب ما بين الثَّفِنَتَيْن والكعبين، قريب ما بين صبيّى اللَّحْيين . فهذا ما يستحبّ أن يَقْرُب من الفـرس، وإن عَدَدْت البَيْن وَجَدْت أحد عشر بينا، وإن عددت ما قرب منها فهنّ ثنتان وعشرون، وذكر هـذا الشاعر منهن عشرا . وقوله : طويل خمس جاء تفسـيرهن ستة عشر غضوا وقد تقـدم ذكره . وقوله : رقيق خمس أى رقيق الجحافل، رقيق الأَرْنَبـة، رقيق عَرْض المَنْخرين، رقيق الجفون، رقيق الحاجبين، رقيق الأذنين، رقيق الخَدَّين، رقيق الشعر، رقيق الجلد، رقيق شَعَر الثُّنَن، رقيق شعر الركبتين، رقيق الخُصَل . فهذا ما يستحب أن يَرِقّ من الفرس وهن سبع عشرة، وقد ذكر هـذا الشاعر منهن خمسا . وقوله : غليظ أربعـة أى غليظ الخَلْق، غليظ القوائم، غليظ القَصَرة، غليظ عُكْوة الذَّنَب. وقد أرحب[1] منه أى رَحْبُ الشِّدْقَيْن، رَحْب المنخرين، رَحْب الإِهَاب، رحب الجوف، رحب العِجَان، رحب اللَّبَان، فهـذا ما يستحب أن يَرْحُب من الفرس وهن تسع. وذكر الأسدى فى قوله : وفيه من الطير خمس ثم فسر الخمس فى البيت الثانى فقال :

غُرَابانِ فَوْقَ قَطَاةٍ له * ونَسْرٌ ويَعْسُوبُه قد بدا

[مطلب ما فى الفرس من أسماء الطير]

وفى الفرس من أسماء الطير ثمانية عشر اسما : العُصْفُور وهو عَظْمٌ ناتئٌ فى كل جَبِين، وهو أيضا من الغُرَر اذا دَقّ، وهو أصل مَنْبِت الناصية، وهو الدماغ بعينه . والنَّعامة وهى الجلدة التى تُغطِّى الدماغ . والذُّبَاب وهى النُّكْتة الصغيرة التى فى العين، ومنه البصر وجمعه أَذِبَّة وذِبَّان وهو إنسان العين أيضا . والسَّحاءة وهى الخُفَّاش أحد السَّحاءتين، وهما عُظَيْمان صغيران فى أصـل اللسان . والصُّرَد : عِرْق أخضر فى أصل اللسان من أسفله، وهما صُرَدَان، والصُّرَد أيضا : بياض يكون فى الظهر من أثر الدَّبَر فى موضع السَّرْج، يقال : فرس صَرِدٌ اذا كان ذلك به . والفَرَاشة . عَظْم يتفتّت فى الرأس، وجمعها فَرَاش وهى عِظَام رِقَاقٌ طِرَاقٌ بعضُها على بعض كالقشر، وهى أيضا ما بين لَهَواته عند أصل لسانه، وهى فى الكتفين ماشَخَص من فروع الكتفين الى أصل العنق الى مُسْتَوَى الظهر . والحَمامة : القَصّ وهو من الرَّهابة الى مُنْقَطَع أصل الفَهْدَتَيْن . والسَّمامة وجمعها سَمَائم وسَمَام وهى ما رَقّ عن صلابة العظم فى الوجه، والسَّمامة أيضا : الدارة التى فى سالفة العُنُق . والناهِضُ وهمـا ناهضان، والجمع نَوَاهِض

(١) هذه العبارة، وقوله فيما سيأتى وفيه من الطير خمس، لم تذكر هذه العبارة فى الأبيات، ولعلها سقطت من الناسخ .

وأَنْهُض وهو اللحم الذى يلى العَضُدَيْن من أعلاهما المجتمع. والقَطَاة: ما بين الْجَبتين والوَرِكين وهو مَقْعَد الرِّدْف خَلْفَ الفارس، والجميع قَطًا . والغُرَاب : أحد الغُرَابين وهما ملتقى أعالى الوَرِكين . والقَطَاة بينهما على العَجُز، وقال قوم : إنهما فروع كَتِفَى الوَرِكين السُّفْلَيين الى الفَخذين . والغُرَاب : ما آرتفع من أصل الذَّنَب . والحَرَب فى الصدر وهو الرُّحْبَيَان وهو أعالى غُضون الفَهْدَتين الى أسفل المنكبين مما يلى اللَّبَانَ . والنَّسْر وجمعه النُّسور وهو ما آرتفع عن بطن الحافر من أعلاه كأنه النَّوَى والحصى . والزُّرَّق وهو فى الشِّيَة الشعراتُ البيض فى اليد أوفى الرجل . والدُّخَّل وهو لحم الفخذين، وأنشد :

* اذا تَحَجَّبْن بزَهْر دُخَّله *

واليَعْسُوب فى الشِّيَة وهو أن تكون الغُرَّة على قَصَبة الأنف أعلى من الرَّثَم منقطعة فوقه ، ويقال إنه كل بياض على قصبة الأنف عَرُض أو اعتدل، ثم ينقطع قبل أن يساوى أعلى المُنْخُرين، وإن ارتفع على قصبة الأنف وعرض واعتدل حتى يبلغ أسفلَ الخُلَيْقاء قلَّ أو كثُر ما لم يبلغ العينين . والهامَة والصَّقْر .

[وصف الحسن البصرى على بن أبى طالب رضى الله عنهما لما سئل عنه]

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر حدثنى البصرى المسمعى قال حدثنى عبد الملك بن مروان التيمى تيم بكر قال حدثنا محمد بن الفضل الأنصارى عن سلمة بن ثابت عن هشام بن حسان قال : قلت للحسن البصرى : يزعم الناس أنك تُبْغِض عَلِيًّا، قال : أنا أُبْغِض عليا! كان سَهْما صائبا من مَرَامِى الله عز وجل، رَبَّانِىَّ هذه الأمة ، وذا فضلها وشرفها، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزَوْج فاطمة الزَّهراء، وأبا الحسن والحسين، لم يكن بالسَّرُوقة لمال الله، ولا بالنَّئُومة فى أمر الله، ولا بالمَلُولة لِحَقِّ الله، أَعْطَى القرآنَ عزائمَه، وعَلِمَ ماله فيه وما عليه حتى قبضه الله اليه، ففازَ برياض مُونِقة، وأَعْلام مُشْرِقة . أتدرى من ذاك؟ ذاك على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول — ولم يَقُلْه ان شاء الله بَغْيا ولا تَطَاوُلا — : ما رأيت أحدا قبلى أعلم منِّى . قال الأصمعى : وأنا لم أر بعد أبى عمرو أعلم منِّى . قال أبو حاتم : وكان كثيرا ما يقول لى : يابنى، ان طَفِئَتْ شَحْمة عينى هذه، ويومئ الى عينه، لم تَرَ مثلى، وربما قال: لم تر أحدا يَشْفيك من هذا الحرف أو هذا البيت .

[خبر المنذر بن ماء السماء وقتله نديميه وجعله لنفسه فى كل سنة يوم بؤس و يوم نعيم وقتله عبيد بن الأبرص]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال عمى سمعت يونس ابن حبيب يقول : كان المُنْذِر بن ماء السماء جدّ النعمان بن المنذر ينادمه رجلان من العرب ، خالد ابن المُضَلَّل ، وعمرو بن مسعود الأَسَديَّان ، وهما اللذن عناهما الشاعر بقوله :

أَلَا بَكَرَ النـاعى بِخَيْرَىْ بنى أَسَـدْ * بعمرو بن مسعود و بالسَّيِّد الصَّمَدْ

فشرب ليلة معهما فراجعاه الكلامَ فأغضباه ، فأمر بهما فقُتِلا وجُعِلا فى تابوتين ، ودُفِنا بظاهر الكوفة . فلما أصبح وصَحَا سأل عنهما فأُخْبِر بذلك ، فنَدِم وركب حتى وقف عليهما ، فأمر ببُنْيانِ الغَرِيَّيْنِ[1]، وجعل لنفسه فى كل سنة يومين : يومَ بُؤْس و يومَ نعيم ، فكان يضَع سريرَه بينهما ، فاذا كان فى يوم نعيمه فأوّلُ من يَطْلُع عليه وهو على سريره يعطيه مائةً من إبل الملوك ، وأوّل من يطلع عليه فى يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبان ، و يأمر به فيُذْبَح و يُغَرَّى بدمه الغَرِيَّانِ ، فلم يزل كذلك ما شاء الله ، فبينا هو ذات يوم من أيام بؤسه اذ طلع عليه عَبِيد بن الأَبْرَص ، فقال له المَلِكُ : ألا كان الذِّبح غيرَك ياعَبِيدُ! فقال عبيد : «أتَتْكَ بحائنٍ رِجْلاه» فقال له الملك : أو أجَلٌ قد بَلَغ إنَاه ؟ ثم قال : ياعبيد ، أنشدنى فقد كان يعجبنى شعرُك ، فقال : «حال الجَرِيضُ دون القَرِيض» و «بَلَغ الحِزَامُ الطُّبْيَيْن» فقال أنشدنى :

أَقْفَر من أهله مَلْحُوبُ * فالقُطَّبِيَّات فالذَّنُوبُ

فقال :

أقفر من أهله عَبِيد * فاليومَ لا يُبْدِى ولا يُعيد

عَنَّتْ له مَنِيَّةٌ نَكُود * وحان له منها وُرُود

فقال : أنشدنى هَبِلَتْك أُمُّك! فقال : «المَنَايا على الحَوَايا» ، فقال بعض القوم : أنشد الملكَ هبلتك أُمّك! فقال : «لا يَرْحَلُ رَحْلَك مَنْ لَيْسَ معك» ، فقال له آخر: ما أشَدَّ جَزَعَك من الموت! فقال :

لا غَرْوَ من عِيشَةٍ نافِدَه * وهل غَيْرُ ما مِيتةٍ واحده

فأَبْلغ بَنِيَّ وأعمامَهم * بأنَّ المَنَايا هى الراصده

لها مُدَّةٌ فنفوسُ العباد * اليها وان كَرِهَتْ قاصده

فلا تجْزَعوا لحِمام دَنا * فَلِلْمَوْت ما تَلِدُ الوالده

[1] الغريان : بناءان مشهوران بالكوفة و يقال هما قبر مالك وعقيل نديمى جذيمة الأبرش وسميا كذلك لأن المنذر كان يغرى بهما من يقتله فى يوم بؤسه .

فقال له المنـذر : لا بدَّ من الموت ، ولو عَرَض لى أبى فى هذا اليوم لم أجد بُدًّا من ذبحه ، فأما إذ كنت لها وكانت لك فاختَرْ من ثلاث خصال : ان شئت من الأَكْحَل، وان شئت من الأَبْجَل، وان شئت من الوَرِيد. فقال: ثلاث خصال مَقَادُها شَرُّ مَقَاد، وحاديها شَرُّ حاد، ولا خير فيها لمُرْتاد؛ فإن كنت لا بدّ قاتلى فاسْقِنِى الخمرَ، حتى اذا ذَهِلَتْ لها ذَوَاهِلى ، وماتت لها مَفَاصِلى ؛ فشأنَك وما تريد .
فأمر المنذر له بحاجته من الخمر، فلما أخذتْ منه وقُرِّب ليُذبح أنشأ يقول :

وخيَّرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه * خِلالًا أَرَى فى كلِّها المَوْتَ قد بَرَقْ
كما خُـيِّرَتْ عادٌ من الدهر مَرَّةً * سحائبَ ما فيها لذى خِـيرةٍ أَنَقْ
سحائب ريح لم تُوَكَّل ببَـلْدةٍ * فتَـتْرُكَها الا كما لَيْـلةَ الطَّلَقْ

وأمر به فَفُصِد، فلمـا مات طُلى بدَمِه الغَرِيَّان .

وحدّثنا أبو بكر عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة قال قال حُذَيفة بن اليمان : ما خلق الله عز وجل شيئا إلا صغيرا ثم يَكْبَر إلا المصيبة، فإنه خلَقها كبيرة ثم تَصْغُر .

[خبر أبناء ريطة الثمانية الذين مدحهم عبد الله بن الزبعرى فى قوله : ألا لله قوم ولدت]

قال أبو على وحدّثنـا أبو بكر بن دريد قال حدّثنى عمى عن أبيه قال سئل ابن الكلبى عن قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

أَلَا لله قَـومٌ وَ * لَدَتْ أُخْتُ بنى سَهْم

قال : هى رَيْطَةُ بنت سعيد بن سَهْم، وكان بنوها ثمانية : هاشم بن المغيرة وكان أكبرَ القوم، وهو جدّ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من قِبَـل أُمّه حَنْتَمة بنت هاشم ، وهشام بن المُغيرة، ومُهَاشِم ومِهْشَم جميعا واحد وهو أبو حُذَيفة، وأبو أُمَيَّة بن المغيرة وهو زاد الرَّكْب ، وأبو ربيعة بن المغيرة وهو ذو الرُّمْحَين جدّ عمر بن أبى ربيعة الشاعر ، وعبـد الله بن المغيرة ، وخِرَاش بن المغيرة ، والفاكِهُ بن المغيرة ولم يُسْلِمْ منهم غيره وهو شيخ كبير يومئذ أعمى فقال ابن الزِّبَعْرَى :

ألا لله قـوم و * لدت أختُ بنى سهم
هشام وأبو عبـد * مَنَافٍ مِـدْرَهُ الخَصْم
وذو الرُّمْحَين أَشْبـاكَ * من القُوّة والحَـزْم

يكُنَّ القولَ فى المجلـــس أو ينْطِق عن حُكْم
فهـــذانِ يَذُودانِ * وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِى
أُسـودٌ تَزْدَهِى الأقرا * نَ مَنَّاعونَ للهَضْم
وهُمْ يومَ عُكاظٍ مــ * ـنَعُوا الناس من الهَزْم
بجَأْواءَ طَحُـونٍ فَخْـ * ـمةِ القَوْنَس كالنَّجْم
فإن أَحْلِف ببيت اللّـ * ـه لا أَحْلِفُ عن إثم (١)
ما إن إخْـوةٌ بيْنَ * قصـور الشام والرَّدْم
كأمثال بنى رَيْطَـ * ـة من عُرْب ولا عُجْم

[قبـور أولاد العباس بن عبد المطلب أبعد قبـور على وجه الأرض]

قال : وأخبرنى عمى عن أبيــه عن ابن الكلبى قال : أَبْعَدُ قبور إخوةٍ على الأرض قبورُ بنى أُمِّ الفَضْل الهِلاليَّة أم ولد العباس بن عبد المطلب : واحدٌ بالمدينة، وآخرُ بالطائف، وآخر بالشام، مات فى طاعون عَمْوَاس بالشام فى سلطان عمر رضى الله تعالى عنه، وعبدالله بن العباس الحَبْر دفن بالطائف وصلى عليــه محمد بن على رضى الله تعالى عنه، وآخر بأفريقية، وآخر بسَمَرْقَنْد، والفضل بن العباس رضى الله تعالى عنه رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى طاعون عَمْواس بالشام، وعبيدالله ابن العباس الجَوَاد مات بالمدينة، وقُثَم بن العباس شبيه النبى صلى الله عليه وسلم مات بسَمَرْقَنْد زَمَنَ معاوية فى إمارة سعيد بن عثمان، وعبد الرحمن بن العباس قُتِل بأفريقية زمن عمر رضى الله تعالى عنهم، أمهم أم الفضل الهلالية وهى لبابة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهَزْم بن رُوَيْبــة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة .

[خبر الخليل بن أحمد وصديقه مع امرأة من فصحاء العرب و بناتها]

قال : وأخبرنا الأشناندانى عن التوزى قال : كان للخليل بن أحمــد صَديق يُكنى أبا المُعَلَّى مولًى لبنى يَشْكُر، وكان أَصْلَع شديد الصَّلَع، فبينا هو والخليل جالسان عند قصر أوس اذ مرت بهما امرأة يقال لها ام عثمان من ولد المُعَارِك بن عثمان ومعها بناتٌ لها، فقال أبو المعلى للخليل : يا أبا عبد الرحمن،

---

(١) ويروى : لا أحلف على اثم بسكون فاء أحلف .

أَلَا نُكَلِّم هــذه المرأة! قال : ويحك! لا تفعل، فانهن أَعَدُّ شيء جوابا، والقولُ الى مثلك يُسْرِع ، فجلسن يَتَرَوَّحْن فقال لأمهنّ : يا أَمَةَ الله، أَلَكِ زَوْجٌ ؟ قالت : لا والله ولا لواحدة منا، قال : فهل لكُنّ فى أزواج؟ قالت : وَدِدْنا والله، قال : فأنا أتزوجك ويتزوج هذا إحدى بناتك، فقالت له : أَمَّا أنتَ فقد ابتلاك الله ببلاءين: أما أحدهما فانه قد قَرَعَ رأسك بِمِسْحاةٍ، وجعل لك عِقْصَةً فى قفاك بيضاء، فكأنما صارت فى قَفاك نُخَامة، فَبَلَغ من نُوكك أنك خَضَبْتَها بحُمْرة ، فلوكُنْتَ اذ آبتُلِيت خَضَبْت بسواد فَغَطَّيْت عَوارَك هــذا الذى أبداه منك! ثم قالت له : أظنك من رَهْط الأعشى، فقال لها أبو المعلى : أنا مولى لبنى يَشْكُر. قالت : أفتروى بيت الأعشى :

وأَنْكَرَتْنى وما كانــ الذى نَكِرَتْ * من الحَوادِث الا الشَّيْب والصَّلَعا

فمــا بَقِىَ بعد هــذا الا الموتُ هُزالا ، ثم التفتت الى الخليل فقالت : من أنت يا عبد الله؟ فقال : أنا الخليل بن أحمــد، كُفِّى رحمك الله ! فقد والله نَهَيْته عن كلامك وحَذَّرْته هذا ! قالت : أَمَا إنك قد نَصَحْتَ له،أما علم هذا الأحمق أن النساء يَخْتَرْن من الرجال المُسْحُلانِىَّ المَنْظَرانِىَّ المَخْبَرانِى، الغَلِيظ القَصَرة، العظِيم الكَمَرة، الذى اذا طَعَن فأصاب حَفَر، واذا أَخْطأ قَشَر، واذا أخرجه عَقَــر، قال : فضحك الخليل ، ثم قامت المرأة ومعها بناتها يَتَهادَيْنَــ ، فتمثّل أبو المعلى بقول عمرَ بن أبى ربيعة المخزومى :

فتهــادَيْنَ وانْصَرفْـــ * ـــنَ ثِقَالَ الحَقَائب

فقالت : يا أحمق، أما تدرى ما قال الشاعر فى قومك ؟ قال : لا، فقالت : قال :

ويَشْكُرُ لا تستطيع الوفاء * وتَعْجِز يشــكر أن تَغْدِرا

وإنى أُقسم بالله لو كان لكل واحدة منا منــ الأَحْراح بعدد ما أَهْدَى مالكٌ العُكْلى الى عَمْرة بنت الحارث النُّمَيْرِى، ما أعطيناك ولا صاحبَك منها شيئا، فقال الخليل : نَشَدْتُك بالله، كم كانت الهدية التى أهداها العكلى الى النميرية؟ قالت له : أراك حاذقا بالتجميش قليــل الرواية للشِّعْر، ثم أنشدته قول العُكْلِىّ :

هدِيَّتِى أختَ بنى نُمَــيْر * لِحِرِكِ يا عَمْرةُ ألفُ عَيْرِ

* فى كل عيرٍ ألف كُرٍّ أَيْرِ *

قال : فقال الخليل : أما إنه قد قَصّر ! أفلا جَعَل لأَسْتِها بعضَ الهدية ولم يَدَعْها فارغة ! قالت : قد أَشْفَق على هديته أن تحترق، ألم تَرْوِ بيتَ جرير حيث يقول :

ولو وُضِعَتْ قِفَاحُ بنى نُمَـيْرٍ * على خَبَثِ الحـديد إذًا لَذَابا

فقال الخليل لأبى المعلى :

نَصَحْتُك يا محمـد إنَّ نُصْحِى * رَخِيصٌ يا رفيق للصَّـدِيق

فلم تَقْبَلْ وكم مِنْ نُصْـحِ وُدّ * أُضِيعَ فَحَادَ عن وَضَحِ الطريق

قال : ثم انصرفت المرأة وبقى الخليل وأبو المعلى متعجِّبين منها ومن ذَرَابة لسانها وسرعة جوابها .

[مطلب خروج بنى عبد مناف الى الشام واليمن والحبشة وبلاد فارس لاخذ العهود من ملوكها وتأمين السبل لتجار قريش]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال حدّثنا العتبى ومحمد بن سَلّام كلاهما قالا : كانت قريشَ تجارًا، وكانت تجارتهم لا تَعْدُو مكّةَ، انما تَقْدَم عليهم الأعاجمُ بالسِّلَع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصرَ، فكان يذبح كلَّ يوم شاةً ويصنع جَفْنَةَ ثريد ويَجْمَع مَنْ حَوْلَه فيأكلون، وكان هاشم من أجمل الناس وأَتَمِّهم، فذُكِر ذلك لقيصرَ فقيل له : هاهنا رجل من قريش يَهْشِم الخُبْزَ ثم يَصُبُّ عليه المَرَق ويُفْرِغ عليه اللحمَ، وانما كانت العجم تصبُّ المَرق فى الصِّحَاف ثم تأتدم بالخبز، فدعا به قيصرُ، فلما رآه وكلّمه أُعْجِب به، فكان يبعث اليه فى كلّ يوم فيدخل عليه ويحادثه، فلما رأى نفسَـه تمكّن عنده قال له : أيهـا الملك، ان قومى تجّار العرب، فان رأيت أن تكتب لى كتابا تُؤَمِّن تجارتَهم فيَقْدَموا عليك بما يُسْتَطرف من أَدَم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم! فكتب له كتابَ أمان لمن يَقْدَم منهم، فأقبل هاشم بذلك الكتاب، فجَعَل كلّما مرَّ بحىّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافا — والإيلاف : أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حِلْف إنما هو أمان الطريق — وعلى أن قريشا تحمل اليهم بضائع فيَكْفُونهم حُمْلانها ويؤدّون اليهـم رءوسَ أموالهم وربْحَهم، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهـل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شىء أَتَوا به بركة، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يُجَوِّزهم يُوفّيهم إيلافَهم الذى أَخَذ لهم من العرب حتى أوردهم الشام وأَحَلّهم قُرَاها، ومات فى ذلك السفر بغَزّة . وخرج المُطّلِب بن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوكهم

عهدا لمن تَجَر اليهم من قريش ، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم ، وكان المُطَّلِب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمّى الفَيْض وهلك بِرَدْمان من اليمن . وخرج عبـد شمس بن عبد مناف الى الحبشة ، فأخذ إيلافا كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبـد شمس بمكة فَقَبْرُه بالحَجُون . وخرج نوفل بن عبـد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهـدا من كسرى لتجار قريش وإيلافا ممن مرّ به من العـرب ، ثم قَدِم مكّة ورجع الى العراق فمـات بسَلْمان . واتسعتْ قريشٌ فى التجارة فى الجاهليـة وكثرت أموالُها ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش مِنَّةً فى الجاهية والإسلام .

[ما وقع بين عبد الله بن على حين قتله بنى أمية وبين أبى حاتم]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن دريد عن أبى حاتم قال : لمـا قَتَـل عبدُ الله بن على بنى أُمَيّة بنهر أبى فُطْرُس بَعَثَ إلىَّ ، قال : فدخلت عليـه فاذا قَتْلَى مصروعين والخراسانيةُ بين يديه بأيديهم الكافركوبات ، فقال لى : ما تقول فى مَخْرَجنا هذا؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته الى ما هاجر اليـه" قال : فمـا تقول فى هؤلاء القتلى؟ قلت : ومن هؤلاء؟ قال : بنو أمية . قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يحِل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمـان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس" وتشاغل عنّى فخرجت وطلبنى ، فحال الله بينى وبينه إنه على كل شىء قدير .

[خبر غسان بن جهضم مع ابنة عمه أم عقبة وما وقع لها بعد وفاته عنها]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن العتبى قال حدّثنى أبى قال : اجتمعت عنـد خالد ابن عبد الله القَسْرى فقهاءُ الكوفة وفيهم أبو حمزة الثُّمَـالى ، فقال خالد : حَدّثونا بحديث عشق ليس فيه خُنْش ، فقال أبو حمزة : أصلح الله الأمير ، بلغنى أنه ذكر عنـد هشام بن عبد الملك غَدْر النساء وسرعةُ تزويجهن بعـد انقضاء عدّتهن ، فقال هشـام : انه ليبلغنى من ذلك العَجَبُ . فقال بعض جلسائه : أنا أحدّثك يا أمير المؤمنين عما بلغنى عن امرأة من بنى يَشْكُر كانت عند ابن عم لها فمات عنها بعـد مسألته إياها عما تريد أن تصنع بعده ، فأخذ العهود عليها فى ذلك ، وكان اسمه غَسَّانَ ابن جَهْضَم بن العُذَافر ، وكان اسم ابنة عمه أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر ، وكان لها مُحِبًّا ، وكانت له

كذلك ، فلمـا حضره الموت وظن أنه مفارق الدنيا قال ثلاثة أبيات ، ثم قال: اسمعى يا أمَّ عُقْبة ثم أجيبى ، فقد تاقت نفسى الى مسألتك عن نفسك ، فقالت : والله لا أجيبك بكذب ولا أجعله آخر حَظِّى منك ، فقال :

أخبرى بالذى تريدين بعـدى * والذى تُضْمِرِيــن يا أُمَّ عُقْبهْ
تحفظينى من بعد موتى لمـا قد * كان منِّى من حسن خُلْق وصُحْبهْ
أم تريديــن ذا جمـال ومال * وأنا فى التراب فى سُحْقِ غُرْبهْ

فأجابته تقول :

قد سمعتُ الذى تقول وما قد * يابنَ عمِّى تخاف من أُمِّ عُقْبـهْ
أنا من أحْفَظ النسـاء وأرعا * ه لما قد أُوليْتَ من حسن صحبهْ
سوف أبكيك ما حَيِيتُ بنَوْح * ومَرَاثٍ أقولهـا وبنُـدْبهْ

فلما سمع ذلك أنشأ يقول :

أنا والله واثـقٌ بك لكن * احتياطا أخاف غَدرَ النسـاء
بعد موت الأزواج ياخَيْرَ من عُو * شِر فارْعَىْ حَقِّى بحسن الوفاء
اننى قد رجوت أن تحفظى العهـــدَ فكونى ان مُتُّ عنـد الرجاء

ثم أخذ عليها العهود ، واعتُقِـل لسانه فلم ينطق بحرف حتى مات ، فلم تمكث بعده إلا قليلا حتى خُطِبت من كل وجه ، ورَغِب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقالت مجيبةً لهم :

سأحفظ غَسَّانا على بُعْد داره * وأرعاه حتى نلتقى يوم نُحْشَر
وإنِّى لفى شُغْلٍ عن الناس كلهم * فكُفُّوا فما مثلى بمن مات يَغْدِر
سأبكى عليه ما حَيِيت بدَمْعة * تجول على الخَدَّيْن منى فتَهْمِر

ولمـا تطاولت الأيام والليالى تناست عهدَه ، ثم قالت : من مات فقد فات ، فأجابت بعض خُطَّابها فتزوجها ، فلما كانت الليلةُ التى أراد الدخول بها فيها أتاها غَسَّانُ فى منامها وقال :

غَـدَرْتِ ولم تَرْعَىْ لبعـلِكِ حُرْمة * ولم تعرفى حَقًّا ولم تَحْفَظى عَهْـدَا
ولم تَصْبِرِى حَوْلا حِفاظًا لصاحب * حَلَفْتِ له بَتًّا ولم تُنْجِزى وَعْـدَا
غدرت به لمـا ثَوَى فى ضريحه * كذلك يُنْسَى كلُّ من سَكَنَ اللَّحْدَا

فلما سمعت هـذه الأبياتَ انتبهت مرتاعة كأن غسان معها فى جانب البيت ، وأنكر ذلك من حضر من نسائها فأنشدتهن الأبياتَ ، فأخَذْن بها فى حديث يُنْسِينَها ما هى فيه ، فقالت لهنّ : والله ما بقى لى فى الحياة من أَرَبٍ حياءً من غســان ، فتغفَّلْتهنّ فأخذت مُدْيةً فلم يُدْرِكْنَها حتى ذبحت نفسها ، فقالت امرأة منهن هذه الأبيات :

لله دَرُّكِ ماذا * لَقِيتِ من غَسَّانِ

قَتَلْتِ نفسَــك حُزْنا * يا خــيرةَ النِّسْوانِ

وَفَيْتِ من بعــد ما قد * هَمَمْتِ بالعِصْيانِ

وذو المعـالى غَفُــور * لسَــقْطة الإنســان

إنَّ الوفاءَ من الله * لم يَزَلْ بمكانِ

فلما بلغ ذلك المتزوِّج بها قال : ما كان فيها مُسْتَمْتَع بعد غسان ، فقال هشام بن عبـد الملك : هكذا والله يكون الوفاء ! .

*
* *

قال أبو بكر وأنشدنا أبو عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة لابن مَيَّادة المُرّى :

حمراء منها ضَخْمة المكان * ساطعة اللَّبَّـة والجِرَان

كأنها والشَّوْلَ كالشَّنَانِ * تَمِيسُ فى حُلَّةِ أُرجُوَان

لو جاء كَلْبٌ معه كَلْبان * أو لاعِبٌ فى كَفِّه دُفَّان

وزافِنَان ومُغَنِّيان * ما برِحَتْ أعظُمُها الثمانى

يعنى قوائمها ، كما قال الآخر[1] يصف ناقة طَيِّبة النَّفْس عند الحَلْب :

طَوَتْ أَرْبَعًا منها على ظَهْرِ أَرْبَعٍ * فَهُــنَّ بِمَطْوِيَّاتِهِنَّ ثَمــان

وكما قال الآخر[2] :

تَعُوسُ لو انَّ الدُّفَّ يُضْرَب حولها * لِتَنْحاش عن قاذورةٍ لم تُنَاكِرِ

(١) تقدّم فى الجزء الأوّل ص ١٦٠ أن قائل هـذا البيت هو كعب بن زهير ، وكذلك فى اللسان مادة : « جمع » وقد روى فى هذين الموضعين :

ثنت أربعا منها على ثنى أربع * فهن بمثنياتهن ثمان

(٢) بهامش الأصل أنه كعب بن زهير رضى الله عنه .

قال أبو على وأنشدنا جحظة قال أنشدنى أبو عبد الله بن حمدون[1] عن الزبير رحمه الله :

هَجَرْتُك لما أن هجرتك أَصْبَحَتْ * بنا شُمَّتًا تلك العيونُ الكَواشِح
فلا يَفْرَح الواشون بالهجر رُبَّمَا * أطال المُحِبُّ الهجرَ والجَيْبُ ناصِح

وأنشدنى لأعرابى يكنى بأبى الخَيْهَفْعَى :

هَجَرَتْ مشيمةُ[2] فالفؤاد قَرِيح * ودُمُوع عينك فى الرِّداء سُفُوح
ولقد جرى لك يوم سَرْحة رابغٍ * فيما يُعيف سَانح وبَرِيح
أَهْوَى القَوادِم بالبياض مُلَمَّع * قَلِقُ المَرَاتِع بالفِراق يَصِيح
حَسَنٌ إلىّ حديثُ من أحببته * وحديثُ ذِى الشَّنَآنِ منه قَبِيح
الحُبُّ أَبْغَضُه إلىّ سَتِيرُه * صَرِّح بذاك فراحةٌ تَصْرِيح

[لامية الشنفرى]

وقال قال الشَّنْفَرَى :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّى صُدُورَ مَطِيِّكم * فإِنِّى الى أَهْلٍ[3] سواكم لَأَمْيَل
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليل مُقْمِر * وشُدَّت لِطِيَّاتى[4] مَطايا وأَرْحُل
وفى الأرض مَنْأًى للكريم عن الأذى * وفيها لِمَنْ خاف القِلَى مُتَعَزَّل
لَعَمْرُك ما بالأرض ضِيقٌ على امرئٍ * سَرَى راغبا أو راهبا وهو يَعْقِل
وَلِى دُونَكم أَهْلُون سِيدٌ عَمَلَّس * وأَرْقَط زُهْلُول وعَرْفاءُ جَيْأَل
هُمُ الرَّهْطُ[5] لا مُسْتَوْدَع السِّرِّ شائعٌ[6] * لَدَيْهم ولا الجانى بما جَرَّ يُخْذَل
وكُلٌّ أَبِيٌّ باسِلٌ غيرَ أنَنِى * اذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرائد أَبْسَل
وإن مُدَّتِ الأَيْدِى الى الزاد لم أكُنْ * بأَعْجَلِهم اذ أَجْشَعُ القوم أَعْجَل
وما ذاك الا بَسْطَةٌ عن تَفَضُّل * عليهم وكان الأَفْضَلَ المُتَفَضِّل
وإنِّى كَفانى فَقْدَ من ليس جازيا * بِحُسْنَى ولا فى قُرْبِه مُتَعَلَّل

(١) فى نسخة : عبد الله بدون لفظ الكنية . (٢) كذا هو بالشين المعجمة فى نسخة وفى أخرى بالثاء المثلثة .
(٣) المعروف فانى الى قوم . (٤) فى نسخة : لطيات بغير إضافة . (٥) فى نسخة : هم الأهل . (٦) فى نسخة : ذائع .

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مشيَّعٌ * وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطَلُ
هتوفٌ من الملسِ الحسانِ يزينُها (١) * رصائعُ قد نيطت عليها ومِحمَلُ
اذا زلّ عنها السهمُ حنّت كأنها * مُرزّأةٌ ثكلى (٢) ترِنُّ وتُعوِلُ
ولستُ بمِهيافٍ يُعشّي سَوامَه * مُجدّعةً سُقبانُها وهي بُهَّلُ
ولا جُبّأٍ أكهى مُرِبٍّ بعرسِه * يُطالعُها فى شأنه كيف يفعلُ
ولا خالفٍ (٣) داريّةٍ متغزّلٍ * يروحُ ويغدو داهناً يتكحّلُ
ولستُ بعَلٍّ شرُّه دونَ خيرِه * ألفَّ اذا ما رُعتَه اهتاجَ أعزلُ
ولستُ بمِحيارِ الظلامِ اذا انتحت * هُدى الهوجلِ العسّيفِ يهماءُ هوجَلُ
اذا الأمعزُ الصوّانُ لاقى مناسمى * تطايرَ منه قادحٌ ومُفلَّلُ
أُديمُ مِطالَ الجوعِ حتى أُميتَه * وأضربُ عنه الذِّكرَ صفحاً فأذهَلُ
وأستفُّ تُربَ الأرضِ كَىْ لا يُرى له * علىَّ من الطَّوْلِ امرؤٌ متطوّلُ
ولولا اجتنابُ الذامِ لم يُبقَ مشربٌ * يُعاشُ به إلّا لدىَّ ومأكلُ
ولكنّ نفساً حُرّةً لا تُقيمُ بى * على الضيمِ إلّا ريثَ ما أتحوّلُ
وأطوى على الخُمصِ الحَوايا كما انطوت * خُيوطةُ ماريٍّ تُغارُ وتُفتَلُ
وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا * أزلُّ تهاداه التنائفُ أطحلُ
غدا طاوياً يُعارضُ الريحَ هافياً * يخوتُ بأذنابِ الشعابِ ويَعسِلُ
فلمّا لواه القوتُ من حيثُ أمَّه * دعا فأجابته نظائرُ نُحَّلُ
مُهلهلةٌ شِيبُ الوجوهِ كأنها * قِداحٌ بكفَّى ياسرٍ تتقلقلُ
أو الخشرمُ المبعوثُ حثحثَ دَبْرَه * محابيضُ أرداهن (٤) سامٍ معسِّلُ
مُهرّتةٌ فُوهٌ كأنّ شُدوقَها * شُقوقُ العِصِىِّ كالحاتٌ وبُسَّلُ

---

(١) فى نسخة : المتون ، (٢) فى نسخة : عجلى ، (٣) فى نسخة زيادة بيت قبله وعليها شرح الزمخشرى وهو
ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأن فؤادَه * يظلُّ به المُكَّاء يعلو ويسفُلُ

(٤) الذى فى النسخة التى شرح عليها الزمخشرى : أرداهن سامٍ ، وقال : أرداهن : أنزلهن . وسام : مرتفع . وفى اللسان : شارٍ وقال أراد بالشارى الشائر فقلبه ،

فَضَـجَّ وضَجَّت بالبَرَاح كأنَّهـا * وإياهُ نُوحٌ فوق عَلْيـاء ثُكَّل

وأغْضَى وأَغضَتْ وأْتَسَى وأْتَسَتْ به * أراملُ عَـزَّاها وعَزَّتْه أَرْمَـل

شَكَا وشَكَتْ ثم ارْعَوى بعدُ وارْعَوَتْ * ولَلصَّبْرُ ان لم يَنْفَع الشَّكْوُ أَجْمَـل

وفاءَ وفاءتْ بادراتٍ وكُلُّهـا * على نَكَـظٍ ممـا يُكاتِمُ مُجْـمِـل

وتَشْرب أَسْآرِى القَطَا الكُدْرُ بعد ما * سَرَتْ قَرَبًا أحشاؤها تَتَصَـلْصَل

هَمَمْتُ وهَمَّتْ وابْتَدَرْنا وأَسْدَلَتْ * وشَمَّـر مِنِّى فارِطٌ مُتَمَهِّـل

فَوَلَّيْتُ عنهـا وهى تَكْبُو لعُـقْره * يُبَاشِرُه منهـا ذُقُون وحَوْصَـل

كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْه وحَـوْلَه * أَضاميمُ من سُـفْلَى(١) القَبَائل نُزَّل

تَوَافَيْنَ من شَتَّى اليه فَضَـمَّها * كما ضَمَّ أذوادَ الأَصَاريم مَنْهَـل

فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثم مَرَّتْ كأنها * مَعَ الصُّبْح رَكْبٌ من أُحَاظةَ مُجْفِل

وآلَفُ وَجْهَ الأرض عند افتراشها * بأهْـدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّـل

وأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كأنَّ فُصُوصَـه * كِعَابٌ دَحَاها لاعِبٌ فَهْىَ مُثَّـل

فان تَبْتَئِس بالشَّـنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ * لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشنفرى قَبْلُ أَطْوَل

طَـرِيدُ جِناياتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَـه * عَقِـيرَتُه لِأَيِّهـا حُـمَّ أَوَّل

تَبِيتُ(٢) اذا ما نامَ يَقْظَى عُيُـونُها * حِـثَاثًا الى مَكْرُوهه تَتَـغَلْغَل

وإلْفُ هُمُـومٍ ما تَزَال تَعُـودُه * عِيَادًا كحُمَّى الرِّبْع أوهِىَ أَثْقَـل

اذا وَرَدَتْ أَصْـدَرْتُها ثم إنَّهـا * تَثُـوب فتَأْتِى من تُحَيْتٍ ومِنْ عَلُ

فإمَّا تَرَيْنِى كابْنَـةِ الرَّمْل ضاحِيًا * على رِقْبَةٍ(٣) أَحْـفَى ولا أَتَنَعَّـل

فانِّى لَمَوْلَى الصَّـبْرِ أَجْتَـاب بَزَّه * على مِثْل قَلْبِ السِّمْع والحَزْمَ أَفْعَل

وأُعْـدِمُ أحـيانا وأَغْنَى وإنمـا * يَنَـالُ الغِنَى ذو البُعْدة المُتَبَـذِّل

---

(١) كذا بالأصل بصيغة تأنيث الأسفل وفى نسخة الزمخشرى سفر بالراء بعد الفاء بوزن صحب وفسره بالمسافرين .

(٢) فى رواية الزمخشرى تنام ، أى تنام جنايات الشنفرى متيقظة عيونها اذا نام هو . (٣) فى رواية الزمخشرى : على رقة بغير موحدة بعد القاف وقال : يعنى رقة حال . وفى هامش الأصل هنا مانصه : قلت قال أبو الصخر الهذلى :

فتقضىَ هم النفس فى غير رقبة * ويغرق من نخشى نميمته البحر

فلا جَزِعٌ لِلْحَــلَّةِ مُتَكَشِّف * ولا مَرِحٌ تحْتَ الغِنَى أتخَيَّـــل
ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى * سَئولا بأعقاب الأحاديث أُنْمِل
وليـلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها * وأَقْطَعَـــه اللاَّئى بها يَتَنَبَّـــل
دَعَسْت على بَغْشٍ وغَطْشٍ وصُحْبَتى * سُـــعارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وأَفْكَل
فأيَّمْتُ نِسْـــوانا وأَيْتَمْتُ إلْدَةً * وعُدْتُ كما أبدأْتُ واللَّيْـــلُ أَلْيَل
فأصْـــبَح عَنِّى بالغُـــمَيْصاء جالسا * فَرِيقَان مَسْـــئولٌ وآخَرُ يَسْـــأل
فقالوا لقد هَرَّتْ بلَيْـــلٍ كِلابُنا * فقلت أذِئْبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُل
فلم يَكُ الا نَبْـــأةٌ ثم هَـــوَّمَتْ * فقُلْنا قَطَاةٌ رِيعَ أم رِيعَ أجْـــدَل
فإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحُ طارقا * وإن يَكُ إنسًا ماكَهَا الإنْسُ يَفْعَل
ويَوْمٍ من الشِّعْرَى يَذُوب لُوابُهُ * أفاعِيـــه من رَمْضائه تتَمَلْمَل
نَصَبْتُ له وَجْهِى ولا كِنَّ دُونَه * ولا سِـــتْرَ إلّا الأتْحَمِىُّ المُرَعْبَـــل
وضافٍ اذا هَبَّت له الرِّيحُ طَيَّرَتْ * لَبائدَ عن أعطافه ما تُرَجَّـــل
بَعِيدٌ بمَسّ الدُّهْن والفَـــلْيِ عَهْدُه * له عَبَسٌ عافٍ من الغِسْل مُحْـــوِل
وخَرْقٍ كظَهْر التُّرْس قَفْـــرٍ قَطَعْتُه * بعامِلَتَيْن ظَهْرُه ليس يُعْـــمَل
فَألْحَقْت أولاه بأخراه مُوفِيًا * على قُنَّـــةٍ أُقْعِى مِرارًا وأَمْثُـــل
تَرُودُ الأَرَاوِى الصُّحْمُ دونى كأنَّهـا * عَذَارَى عَلَيْهِـــنَّ المُلاءُ المُـــذَيَّل
ويَرْكُدْن بالآصال حَـــوْلِى كأنَّنى * من العُصْم أدْفَى يَنْتَحِى الكِيحَ أعْقَل

[قصيدة لجرير بن الغوث]

وأنشد لجرير بن الغوث أحد بنى كنانة بن القَين مُخَضْرَم :

طَرَقَتْ سَوِيَّةُ من بَعِيدٍ بعـــد ما * كادت حِبالُك ياسَوِىَّ تَقَضَّب
جاءت تَمايَلُ فى المَطارف بادِنًا * والخَطْوُ مُنْقَطِـــع المَطَا مُتَهَيِّب
فسألْتُها أنَّى اهتَـــدَتْ لِرِحالنـــا * أم كَيْفَ آبَكَ طَيْـــفُها المتأوِّب
فَتَثَنَّتْ بسالِفةٍ كأنَّ سُمُـــوطَها * فى جِيـــد آلفة الرياض تَضَرَّب

وتَبَسَّمَتْ بفَـــمٍ شَنِيبٍ نَبْتُــــه * كالأُقْحُـــوان له نَدًى يَتَصَبَّبُ
عَذْب الرُّضاب لو انّه يُشْفَى به * وَصِبٌ لأَدْرَكَ شَكْوَه المُتَوَصِّب
نظَرَتْ اليك من الطِّراف كأنما * يعطُو لصــوتك شادنٌ مُتَرَبِّب
عَجَـــبًا لِتِيلك نَظْرةً ولراقبٍ * غيرَانَ يُرهِبُه الوعيـــدُ فيَرهَب
نظرتْ فكاد يُشَاب شَرٌّ بيننا * ولَرُبَّمَا يَجْـــنِي الدَّلالُ ويأْشِب
اخْتَرتُ عن خُبْرٍ يزيد فضَافَني * همِّي فكان الى يزيد المَرْغَب
فاليْـــكَ تختضع المَطِيُّ كأنّهــا * عُوجُ القِسِيِّ الماسِخِيَّةِ تَشْسُب
وَرَدَتْ نِطاف فلم تجِدْ بَلَلًا بها * قد كان أذهبَـــه سَمُومٌ صَيْهَب
حتى دَفَعْـــنَ الى يزيد ولم يكن * لِيَرُوع طالبَه السَّنِيحُ الأعْضَب
بَعَثَ البَشــيرَ وكان وُلْدَ بلَيْـــلةٍ * مَيْمُـــونةٍ ولقاه يَـــوْمٌ طَيِّب
فدَعا له الخُلَفاء لمـــا بَشَّــرُوا * كيما يُرَى قمرا يُنِـــير ويُحْجَب
مَلِكًا فلم تَرَ غــيرعامٍ واحــدٍ * حتّى مَضَتْ لك شُرْطتانِ ومَوْكب
شَرِبَتْ قُرَيْشٌ سُؤْره ورضُوا به * ورَجَوْا منازِلَه العُـــلَى فتَذَبْذَبوا
لك فَوْقَ مَنْ يَطَأُ الحَصى أُكْرُومةٌ * فافخَـــرْ بفَضْـــلٍ يا يزيد يُغَلَّب
بَيْتانِ قـــد فَرَعا البيوتَ بَناهما * أبَـــواك حَيْثُ تَنَجَّب المُتَنَجِّب
ما مِثْـــلُ أُمِّكما الـــتى وَلَدَتْكُما * أُمًّا ولا كأبيــكُما مَلِكًا أب
نَزَلا بكم وَسْـــطَ السماء فلم يكن * مِثْـــل الّذى نَزَلا منازِل تُطْلب
هَدَمَ الحُصونَ من العَدُوِّ وحِصْنُه * بالأَمْن مُرْتَفِع المَناكِبِ مُصْعَب
أُفُقٌ تُرَى راياتُه مِنْ فوقِـــه * كالطَّـــيْر تَحْنُـــو مَرَّةً وتَقَلَّب

قال أبو على قال لى أبو بكر بن دريد يقال : ألَاحَ الرجلُ على الرجل يُلِيح اذا جَزِع عليه وأنشد :

وقد رابَنِي مِنْ صاحبي أنّ صاحبي * يُلِيح على قُرْصِي ويَبْكِي على جُمْــل
فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاقة لم تَبِتْ * بَطِينًا وأنساك الهوى شدّة الأَكْل

قال : انما قال عُذرى الهوى (١) ، لأنّ العشق فى بنى عُذْرة كثير . ويُليح : يَذْهَب به ، ويُليح : يُشفِق . قال ويقال : أشْبَاك بفلان، كما يقال : حَسْبُك بفلان، وأنشد :

وذو الرُّمحين أشْـبَاكَ * من القُوّة والحَزْم

قال ويقال : بَسْلٌ فى معنى آمين، يَحْلِف الرجل ثم يقول : بَسْلٌ . والبَغْزُ بالزاى : النشاط للإبل ، قال الشاعر :

* تخَال باغِزَها بالليل مجنونا *

والحِنْجُ : الأصل، يقال : فلان فى حِنْج صِدْقٍ أى فى أصل كَرَم . والدُّعْبُوب : الطريق الدارس، وأنشد :

وكُلُّ (٢) قومٍ وان طالت سلامَتُهم * يوما طَرِيقُهم فى الشَّرِّ دُعْبُوب (٣)

والدُّعْبُوب : حَبٌّ أسود يُختَبَزُ فى الجَدْب . وقالوا : رَجُل دُعْبُوب أى ضعيف . والدُّعْبُوب : نَمْلٌ . ويقال : حَضَنْتُهم بمعنى مَنَعْتهم . قال وقالت الأنصار يوم السَّقيفة : أتَحْضُنن عن هذا .

وأنشد أبو على قال قال أنشدنى ابن الأعرابى لمحمد بن وُهَيْب :

اذا اخْتَلَجَتْ عينى رأَتْ من تُحِبُّه * فَدَامَ لعينى ما حَيِيتُ اخْتِلاجُها

وما ذُقْتُ كأسًا مُذْ تعلَّقنِى الهَوَى * فأشْرَبها إلا ودَمْــعِى مِزَاجُها

وأنشد لأبى بكر بن دريد :

لو أنّ قَلْبًـا ذاب من كَمَدٍ * ما كان بَيْنَ ضلوعه قلب

لو كُنْتَ صَبًّا أو تُسِرُّ هوًى * لَعَلِمْتَ ما يَتَجَــرَّع الصَّبُّ

يَهْوَى اقترابَك وهو قاتِــلُه * فَشِفاؤه وسَــقَامُه القُــرْب

وأنشد له :

صُدْغٌ كقادِمَة الخُطَّاف مُنْعَطِفٌ * فى وَجْنَــة يُجْتَنَى من صَحْنِها الوَرْدُ

لو ذاب من نَظَرٍ خَدٌّ لِرِقّتِــه * لذاب من لَحْظ عينى ذلك الخَــدُّ

---

(١) كذا بالأصل والذى وقع فى الشعر قبله عذرى العلاقة . (٢) البيت لأبن هرمة كما فى اللسان مادة «دعب» وفى أشعار الهذليين أنه لجنوب أخت عمرو ذى الكلب راجع أشعار الهذليين طبع لندن ص ٢٤١ (٣) هكذا فى الأصل وعبارة اللسان : والدعبوب : الطريق المذلل الموطأ الواضح الذى يسلكه الناس، قالت جنوب الهذلية : وكل قوم وان عزوا وان كثروا الخ اه .

[ضبط الأصمعى لبعض أسماء متشابهة]

قال أبو بكر بن دريد قال أبو هَفَّان المِهْزَمِيّ قال الأصمعى : السَّدُوس بفتح السين : الطَّيْلَسان . والسدوس بضم السين : اسم القبيلة . قال : وخالفه سيبويه فى الطيلسان بالضم وفى القبيلة بالفتح، فحكيت ذلك لأحمد بن يحيى ، فقال : القول ما قال الأصمعى . ويقال : كل ما فى العرب عُدَس بضم العين وفتح الدال إلا عُدُس بن زيد فإنه بضمهما . وكل ما فى العرب سَدُوس بفتح السين إلا سُدُوس بن أَصْمَع فى طيئ . وكل ما فى العرب فُرَافِصة بضم الفاء إلا فَرَافِصة أبا نائلة امرأة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . وكل ما فى العرب أَسْلَم بفتح الهمزة واللام إلا أَسْلُم بن الحاف ابن قُضَاعة . وكل ما فى العرب مِلْكان بكسر الميم إلا مَلْكان فى جَرْم بن رَبَّان .

[وصف العود للوليد بن مسعدة الفزارى]

قال وحدّثنا أبو سعيد السكرى قال : أُتِيَ عبدُ الملك بعُودٍ، فقال للوليد بن مَسْعَدة القَزارى : ما هذا ؟ قال : عُودٌ يُشَقَّق ثم يرقَّق ثم يُعلَّق عليه أوتار يُضْرَب بها فتَضْرِب الكرام برءوسها الحيطان، وامرأته طالق إن كان أحد فى المجلس الا ويَعْلَمُ منه مثل ما أعلم، أنت أولهم يا أمير المؤمنين .

* * *

وقال سَلَامة بن جَنْدل :

ليس بأَسْفَى ولا أَقْنَى ولا سَغِلٍ * يُعْطَى دَواء قَفِيّ السَّكْن مَرْبوب

الأَسْفَى : الخفيف الناصية، والاسم منه السَّفَا مقصور، والفعل سَفِيَ يَسْفَى سَفًا مثل عَمِيَ يَعْمَى عَمًى، والسَّفَاء ممدود من الطَّيْش والجهل، وكذلك من الخِفَّة .

[قصيدة كان ينسبها أبو عبيدة لعليل بن الحجاج الهجيمى]

قال أبو على قال أبو بكر بن دريد قال أبو عثمان الأشنانداني : كَثُرَ مُدَّعُو هذه القصيدة ، فما أدرى لمن هى، وكان أبو عبيدة يصححها لعُلَيْل بن الحَجَّاج الهُجَيْمى، وهى هذه :

أَمَّا القَطاة فإنّى سَوْفَ أَنْعَتُها * نعتًا يوافق نَعْتِي بعضَ ما فيها

سَكّاء مَخْطُومة فى رِيشها طَرَقٌ * سُودٌ قَوادِمُها صُفْر خَوافِيها

تَنْتَاش صُفْرًا بأُفْحُوص يُقِنّتها * يكادُ يأْزِى على الدُّعْمُوص آزيها

تَنْسُــق رَذِيَّيْنِ بالمَوْماة قُوتَهما * فى ثُغْــرة النَّحْر من أَعْلَى تَرَاقِيهــا
كأنّ مَجْــلُوزة قُـــدَّام جُؤْجُؤها * أوحِرْوَ حَنْظَــلة لم يَغْـــدُ واعِيها
تشْتَقُّ فى حَيْثُ لم تَنْفُـــذْ مُصَعِّدة * ولم تُصَــوِّب الى أدنى مَهَاوِيها
حتى اذا استأْنَيا لاوقت واحْتُضِرت * تَجَرَّسا الوَحْىَ منها عنــد غاشيها
فَرَقْعا من شُئونٍ غَيْرِ زاكِيَــةٍ * على لَدِيدَىْ أعالى المَهْــدِ أَلْحِيها
مَــدًّا اليها بأفْــواهٍ مُيَسَّرة * صُــغْرًا ليَسْتَنْزِلاها الرِّزْقَ مِنْ فيها
كأنّها حِينَ مَــدّاها لِرزْقِهما * طَــلْىَ بوَاطِنَها بالوَرْس طاليهــا
حَثْلَيْنِ رَضًّا رُفَاضَ القَيْضِ عن زَغَبٍ * وُرْقٍ أسافلُهــا بِيضٍ أعاليهــا
تَرَأَّدا حينَ قاما ثُمَّتَ اختَطَيَا * عــلى نَحائف مَيَّادٍ مجَائيها
تَكاد مِنْ لينها تَنْآد أَسْــوُقُها * تَأَوُّدَ الرِّبْــل لم تَعْرُد نَوَامِيهــا
لا أَشْــتَكِى نَوْشــةَ الأيّام مِنْ وَرَقٍ * الا الى من أَرَى أن سوف يُشْكِيها
لِدَلْهَــمٍ مأثُرات قد عُرِفْنَ له * إنّ المــآثرَ مَعْــدُودٌ مَساعِيها
تَنْمِى به من بَــنِى لَأْيٍ دَعائمُهــا * ومن جُمــانة لم تَخْضَع سَــوَارِيها
بَنَى له فى بيــوت المَجْــد والدُه * وليسَ مَنْ ليس يَبْنِيها كَبَانيها

[مجلس فى لا جرم وتفسيرها والوجوه فيها]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر محمد بن القاسم قال : ذهب بعضهم الى أن لا جَرَمَ أصله تبرئة ونفى بمنزلة لا بُدَّ ولا مَحَالةَ ، ثم نُقِــل عن التبرئة الى القَسم كما قالوا : لَأَقُومَنَّ حقًّا يقينــا ، ثم قدموا حقًّا فجعــلوه قسما فقالوا : حَقًّا لَأَزُورَنَّك . وجَرَم اسم منصوب بلا على التبرئة ، ولا خَبَرَ هاهنا للتبرئة إذ لم يُقْصَد لها ، انمــا قُصِد للإقسام والحَلِف ، والى هــذا القول ذهب الفراء وأصحابه . وفيه جواب آخر وهو أن أصــله فعل ماض حُوِّل عن طريق الفعل ومنع التصرف فلم يكن له مُسْــتَقْبل ولا دائمٌ ولا مصــدر ، وجُعِل مع لا قَسَما ، وتركت الميم على فتحها الذى كان لهــا فى معنى المضى ، وان كان الحرف منقولا الى الأداة ، كما نقلوا حاشى وهو فعــل ماض مستقبله يُحَاشِى ودائمه مُحَاشٍ ومصــدره مُحَاشاة من باب الأفعال الى باب الأدوات لمّــا أزالوه عن التصرف ، فقالوا : قام القوم حاشا عَبْدِ الله

خفضوا به، ولو كان فعلا ما عَمِل خَفْضا وأبقوا عليــه لفظ الفعل المــاضى، وكما نقلوا ليس وأصلها الفعل المــاضى عن أصلها الى سبيل الأدوات لمــا أزالوها عن التصرف وخروج المصدر منها فأقَرُّوا آخرَها على أمرِها الأوّل . فان قيل : كيف تكون لا جرم قَسَما وليس فيه مُعَظَّم يُقْسَم به، قيل : إن الأقسام عند العرب على ضربين أحدهما يقع الإقسام فيه بمن يَجِلُّ قَدْرُه وتعلو منزلته، وهو الذى تسبق اليــه الأفهام، ويستعمل فى أكثر الكلام حين يقول القائل : وإلٰهى لأفْعَلَنّ ذلك، وكقيــل العرب فى الجاهلية : والرَّحِم لأَقْصِدَنَّك، والعَشِيرةِ لاقْضِيَنَّ حقك، وهو مكروه عند أهل العلم، لأنه لا ينبغى أن يَحْلِف حالف بغــير الله تبارك وتعالى . والضرب الثانى أن يعتقد الحالف اليمينَ والحَلِف بالعظيم عندهم الكبير فى نفسه، ثم يأتى ببدل منه، فيقول : حَلِفًا صادقًا لأَزُورنَّك، بجعل حلفا صادقا مكتفى به عن المحلوف به عند وضوح المعنى، ولو أظهر اليمين ولم يَبْنِ على الا كتفاء والاختصار لقال: أَحْلِف بالله حَلِفًا صادقا، ولهذه العلة أَقْسَمُوا بالحَقِّ، فقالوا : حقا لأفعلن ذلك اذ جعلوه عوضا من اليمين، وحَملوا على الحق ألفاظا معناهم فيها كمعناه، فقالوا : كَلَّا لأُطيعَنَّك، يعنون حقا . وقالت الفُصَحاء : جَيْرِ لأفعلنَّ، وعَوْضُ لأَجْلِسَنَّ، يعنون بتينك اللفظتين حقا، فاحْتَمَلَتْ لاجرم من معنى الإقسام مثلَ الذى احتملت كَلَّا وجَيْرِ وعَوْضُ . قال أعشى بكر :

رَضِيعَىْ لِبانٍ ثَدْيِ ام تَحالَفا * بأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَــرَّق

وقال الآخر[1] .

وقُلْنَ على الفِرْدَوْسِ أَوَّل مَشْرَب * أَجَلْ جَيْرِ إن كانت أُبِيحَتْ دَعَاثِرُه

قال أبو بكر : دعاثره يعنى حِياضا . وقال الكميت :

أ أسلم ما تأْتِى به مِنْ عداوةٍ * وبُغْضٍ لهم لا جير بل هو أَشْجَب

وقال الآخر :

ان الذى أغناك يُغْنِينِى جَيْرِ * والله نَفَّاح اليَــدَيْنِ بالخَــيْر

وقال الآخر :

جامعُ قد أَسْمَعْتَ من تَدْعُو جَيْرِ * ولا يُنَــادِى جامعٌ الى خَــيْر

وقال الآخر :

كَلَّا زَعَمْــتُمْ بأنَّا لا نُقَاتِلُكم * إنَّا لأمثالكم يا قَوْمَنا قُتُــل

(١) هو المضرس بن ربعى، راجع شواهد مغنى اللبيب طبع مطبعة محمد افندى مصطفى ص ١٢٥ .

أراد : حَقًّا زعمتم . والراء فى جير مكسورة، والضاد فى عوض مضمومة . ومن العرب من يغيّر لفظ جَرَم مع لا خاصة لتحوّلها عن لفظ الفعل، فيقول بعضهم : لا جُرْمَ بضم الجيم وسكون الراء، ويقول آخرون : لا جَرَ بفتح الجيم والراء وحذف الميم، ويقال : لا ذا جَرَم ولا ذا جَرَ بغير ميم، ولا أن ذا جَرَم ولا عَنَ ذا جَرَم، ومعنى اللغات كلها حَقًّا . وأنشد الفراء هذا البيت وبعض الثانى :

لَأَهْدِرَنَّ اليومَ هَدْرًا صادِقا * هَدْرَ المُعَنَّى ذى الشَّقَاشِقِ اللَّهِمْ

* إنَّ كِلَابًا والدِى لاذا جَرَمْ *

* * *

قال أبو على وحدثنا أبو بكر قال قال يحيى بن خالد : الحَسُود عَدُوٌّ مَهِين، لا يُدْرِكُ وِتْرَه، ولا يَنَال ثَأْرَه الا بالمُنَى .

قال وقال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفى : إنه ليس من أحد الا وهو يعرف عَيْبَ نفسه، فَعِبْ نَفْسَك . قال : أعْفِنِى يا أمير المؤمنين . قال : لَتَفْعَلَنَّ . قال . أنا لَجُوجٌ حَسُود حَقُود . فقال عبد الملك : ما فى الشيطان شىء شرٌّ مما ذكرتَ .

وقال الأحنف بن قيس : المَلُول ليس له وَفَاء، والكَذَّاب ليست له حِيلَة، والحَسُود ليست له راحة، والبخيل ليست له مُرُوءة، ولا يَسُودُ سَيِّئُ الخُلُق .

قال : وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "رَأْسُ العقل الإيمانُ بالله والتودُّدُ الى الناس وما استَغْنَى رجل استبدَّ برأيه ولم يَهْلِكْ أحدٌ عن مَشُورة واذا أراد الله بعبد هَلَكةً كان أوّلَ ما يُهْلِكه رأْيُه" .

وكان يقال : لا ظَهِيرَ أَوْثَق من المَشُورة .

قال : وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الحَزْم ؟ فقال : "أن تستشير ذا الرَّأْى وتُطيعَ أمره" .

وقال أعرابى : ما غُبِنْتُ قَطُّ حتى يُغْبَن قومى . قيل : وكيف ذلك؟ قال : إنى لا أفعل شيئا حتى أشاورهم .

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد النحوى فى الحُمَّى :

تَفَاءَلْتُ باسم سواها لها * كأنْ لَيْس لى باسْمِها خِبْرَه

فَطَـــوْرًا أُلَقَّبها سُخْنـــةً * وطَـوْرا ألقبهـا فَـتْرَه
ويَرْبُو الطِّحالُ اذا ماأَكَلْت * فَيَعْلو الـتَّرائبَ والصُّـدْره
كأنى اذا رُحتُ من منزلى * لَبِسْتُ الثِّياب على زُكْره

⁂

قال : وحدثنا الزبير قال حدثنا ابراهيم بن منذر عن مطرف بن عبد الله بن خويلد الهُذَلى عن أبيه عن جده قال : بَيْنَا أنا وأبى نطوف بالبيت، اذا نحن بعجوز كبيرة تضرب أحد لَحْيَيْها بالاخر، أقبح عجوز رأيتُها قطُّ، فقال لى : يا بنى، أتعرف هذه ؟ قلت : ومن هذه؟ قال : هذه التى يقول فيها الشاعر :

سَـــلَام لَيْتَ لِسانًا تَنْطِقِين به * قَبْلَ الذى نَالَنِى مِنْ قِيله قُطِعا
أدعو الى هجـرها قلبى فيتبعُنِى * حتى اذا قلت هذا صادق نَزَعا
يَلُومنى فيـــك أقوام أجالسهم * فـما أبالى أطَارَ اللَّوْمُ أم وَقَعا

قال وأنشدنا الزبير :

فلو كان يَسْتَغْنِى عن الشُّكْر ماجد * لعِـزَّة مَجْد أو عُــلُوِّ مكان
لـما أَمَرَ اللهُ العبادَ بشُكْرِه * فقال اشْكُرُوا لى أيُّهـا الثَّقَلان

قال وأنشدنى الرياشى قال : أنشدنيها تمـام للحارث بن عباس بن مرداس السُّلَمى يوصى ابنَـه رضى الله تعالى عنهما :

احْفَظْ بُنَىَّ وصـــيَّةً أُوصِيكَـها * ان كُنْتَ تُؤْمِن بالكتاب المُنْزَل
أكـرم خَلِيل أبيــك حَيْثُ لَقِيتَه * ولقد عَقَقْتَ أباك ان لم تَفْعَــل
والجـارَ أكرم جارَ بَيْتِــك ما دنا * حتى يبين ثَوَاءُكم فى المَــنْزِل
والضَّيْفَ إنَّ له عليك وَسِـيلةً * لا يَتْرُكَنَّك ضُحْكَةً للــنُّزَّل
ورَفِيـق رَحْلك لا تُجَهِّــل إنما * جَهْـلُ الرَّفِيق عـلى الرفيق النَّيْطَل
واشْغَبْ بخَصْمك انَّ خصمك مِشْغَبٌ * واذا عَلَوْتَ عـلى الخُصوم فأَجْمِـل
واسْـتَوْص خـيرا بالعشـيرة كلهـا * ما حَمَّلوك من المَثَاقل فاحْمِــل
يَصِــلُوا جناحَــك يا بُنَىَّ وانمـا * يَعْلُو الشَّواهقَ ذو الجَناح الأجْــدَل
ان امْرَأً لا يَسْـتَعِدُّ رِجاله * لرِجالِ آخَرَ غَيْــرِه كالأعْزَل

وإذا أتتــك عِصَابةٌ فى شُــبْهةٍ * يتحاكمون اليــك يوما فاعْدلِ
واصْــدُقْ اذا حَــدَّثتَ يوما معشرا * واذا عَيِيتَ بأصْــلِ عِــلْمٍ فاسأل
وَذَرِ الجَاهِــل إنها مَشْومة * وإن امرؤٌ أهْــدَى النَّصيحة فاقبَــل

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة قال حدثنى الباهلى قال حدثنا الهيثم بن عدى عن مجالد وابن عياش عن الشعبى قال : لمــا انْهزَم ابنــ الأشْعَث ضاقت بى الأرض، وكَرِهْتُ ترك عيالى وَوَلَدِى، فَلقيت يَزيدَ بن مُسْلِم، وكانــ لى صديقا ، وكانت الصداقةُ تنفع عنده، فقلت له : قد عَرَفْت الحال بينى و بينــك، وقد صِرْنا الى ما ترى . قال : يا أبا عمرو، ان الحجاج لا يُكْذَب ولا يُعْوَى ولا يُنْبح، ولكن قُمْ بينــ يديه وأقِرَّ بذَنْبك واسْتَشْهِدْنى على ما شئت . قال : فوالله ما شَعَرَ الحجــاج الا وأنا ماثِلٌ بين يديه، فقال : أعامر ؟ قلت : نعم، أصلح الله الأمير . قال : ألم أقْــدَمِ العِراقَ فأحْسَنْتُ اليك وأدْنيْتك وأوْفَدْتُك على أمير المؤمنين واسْتَشَرْتُك؟ قلت : بلى أيها الأمير . قال : فأين كنت من هذه الفتنة؟ قلت : اسْتَشْعَرْنا الخوفَ، واكْتَحلْنا السَّهرَ، وأحْزَنَ بنا المَنْزِلُ، وأوْحَشَ بنا الجَنابُ، وفَقَدْنا صالحَ الإخوان، وشَمِلَتْنا فتنةٌ لم نكن فيها بَرَرَةً أتْقياء، ولا فَجَرة أقْوِياء، وهذا يزيد ابن أبى مسلم قد كان يعرف عُذْرى، وكنت أكتب اليه . فقال : صَدَق، أصلح الله الأمير، قد كان يكتب الىّ بعذره ويخبرنى بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحمق ضَرَبنَا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب . كان وكان، انْصرِفْ الى أهلك راشدا .

وأنشدنا محمد بن يزيد النحوى قال أنشدنا التوزى لغلام يقوله فى مؤدّبه ، وكان أُقْعِد، فقال :

فَرِحَ المُقْعَــد لمــا أُقْعِدا * فَرْحةً لله حَتَّى سَجَــدا
فسألنــاه لمــاذا قال لى * انى كنت زمانا مُفْسِــدا
أشترى الثوب فلا يَقْطَعُنِى * فَهُوَ اليــوم قَمِيص وردا

قال وأنشدنى الرياشى للربيع بن ضبع الفزارى هذه الأبيات :

ألا أبْلِغْ بَنِىَّ بَنِى رُبَيْــع * فأنْذَالُ البَنينــ لكم فِداء
بأنى قد كَبِرْت ورَقَّ عَظْمى * فــلا يَشْغَلْكم عــنى النساء
وإن كَنَائِنِى لَنِساء صِــدْقٍ * وما أَشْكُو بَنِىَّ وما أساءوا

اذا جاء الشــتاء فَأَدْفِئونى * فإن الشيخ يُهرمه الشتاء
وأمَّا حــينَ يَذْهَبُ كلُّ قُرٍّ * فَسِرْبالٌ خفيف أو رداء
اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقــد أَوْدَى المَسَرَّة والفتاء[1]

قال أبو بكر : ولبعض المحدَثين شبيه بهذا :

لا تَدَعْ لَذَّةَ يَوْمٍ لِغَـدٍ * وبِـعِ الغَىَّ بتعجيل الرَّشَدْ
إنهـا إن أُخِّرتْ عن وقتها * باخْتِداع النفس عنها لم تُعَدْ
فاشْغَل النفسَ بها عن شُغْلِها * لا تُفَكِّرْ فى حَمِـيمٍ ووَلَد
أَوَما خُبِّرْتَ عمَّـا قيـل فى * مَثَـلٍ باقٍ على مَرِّ الأَبد
إنمـا دُنْيَاى نفسى فاذا * تَلِفَتْ نفسى فلا عاش أحد

قال أبو بكر : وسألت بندار بن لُدَّة عن قول عمر : يُشْئِز، فقال لى : يُزْعِج، وأنشدنى :

أهاجَك العارِضُ الوَمِيضُ * نَعَمْ فقلـــبى له مَهِيض
يُشْئِزُنى الشَّوق عن فِراشِى * وكيف يَشْتاق من يَبِيض

ومعنى يَبِيض يُقيم فلا يَبْرَح، يقال : باض فلان بالمكان وأَلَبَّ به وأَرَبَّ به اذا لَزِمه فلا يَبْرَحه .
ومعنى البيت كيف يشتاق من لا يَتَهيَّأ له أن يبرح مَوْضِعَه ويَقْصِد وَطَن محبوبه ! .

قال : وحدّثنا محمد بن يزيد قال : قيل للأحنف بن قيس : أىُّ المجالس أَطْيَب؟ قال : ما سافَرَ فيه البصرُ واتَّدَعَ فيه البَدَن .

وقيل للمأمون : ما أَحْسَنُ الأماكن؟ قال : ما بَعُدَ فيه نَظَرُك وَوَقَفَ استحسانك عليه . فقيل له : فأىُّ الأشياء أحسن؟ فقال : أحسن الأشياء ما نَظَر اليه الناس .

قال وقال محمد بن يزيد : حدّثنى بعض أولاد العجم قال : قيل لشُرَّاعة بن الزَّنْدَبُوذ : أىُّ المواضع أطيب؟ قال ما اجْتَمع حُسْنُه، وتَوَسَّطَتْ مسافةُ النظر اليه . وقيل له : أى أوقات الشُّرْب أطيب؟ قال : نَشَاط على غِبٍّ . قيل له : فاذا استوى ذلك؟ قال : لا تَقُوم الخلافة بضحكات الصَّبُوح . قيل له : فَمَنْ أَمْتَعُ الجلساء؟ قال : الذى اذا عَجَّبْتَه عَجِب، واذا غُنِّىَ طَرِب، واذا أُعْطِى شَرِب، قيل

(١) ويروى فقد ذهب المروءة والفتاء؛ كذا فى هامش الأصل .

له : فأى المواضع أطيب للشرب؟ قال : اذا لم تكن شمس مُحْرِقة ولا مَطَرٌ مُغْرِق، فالشرب على وجه السماء .

وأنشدنا الزبير لعبد الرحمن بن حسان فى آل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنهم :

أعِفّـاءُ تَحْسَـبُهُمْ مِلْحيا * ءِ مَرْضَى تَطَاول أسْقَامُها
يَهُونُ عليهم اذا يَغضَبو * نَ سُخْطُ العُـداة وإرْغامُها
ورَتْقُ الفُتُوقِ وفَتْقُ الرُّتوق * ونَقْضُ الأمـور وإبرامُها

قال وأخبرنا الزبير قال حدّثنا عمر بن عثمان قال حدّثنى رجل من أهل مَنْبِج قال: قَدِم علينا الحَكَمُ آبن المُطَّلِب بن عبـد الله بن المطلب بن حَنْطَب ولا مال معـه، فأغنانا كلَّنا . فقلنا : كيف ذاك؟ قال : عَلَّمنا مَكارِمَ الأخلاق فعاد غَنِيُّنا على فقيرنا فغَنِينا كُلُّنا .

قال عمر بن عثمان قال الراثجى يرثى الحكم بن المطلب :

ماذا بِمَنْبِج لو تُنْبَش مَقَابِرهـا * مِنَ التَّهَدُّم بالمعروف والكرم
سالوا عن المجد والمعروف مافَعَلا * فقلت إنهـما ماتا مَعَ الحَكَم

قال وحدّثنا الزبير قال حدّثنا آبن عياش السعدى عن أبيه قال : رأيت جارية من العرب وضيئة أعجبتنى، فماشَيْتُها الى مَظَلّتِها، فقالت لى عجوز بفناء المَظَلّة : مالك ولهذا الغَزَال النَّجْدى؟ والله لاتَحْلَى منه بشىء . فقالت الجارية : دَعِيه يا أُمَّاه يكن كما قال ذو الرمة :

وإن لم يكن إلا مُعَرَّس ساعةٍ * قَليـلٌ فإنّى نافِـعٌ لى قَليلُها

قال وحدّثنا أبو العباس عن آبن عائشة قال : وقف وَفْدٌ بباب عمر بن عبد العزيز، فأبطأ عليهم إذْنُه، فقال أحدهم : ما يَصْلُح هذا أن يكون عبدا للحجاج، فَنَمَت الكلمة اليه، فأذِن لهم فدخلوا، فقال : أيكم القائل كذا وكذا؟ قال : فأَرَمُّوا، فقال : حَقًّا لتقولُنّ ؛ فقال رجل من القوم : أنا قلتها وما ظننتها تَبْلُغ ما بَلَغَتْ . قال : فان الله يغفر لك، كيف ذكرت الحجاج وما كانت له دنيا ولا آخرة! فهلا فَضَّلْت عَلَيَّ زيادا الذى جَمَع لهم كما تَجْمَع الذَّرَّة وحاطَهُم كما تَحُوط الأمُّ البَرَّة ! .

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال : خرج سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم الى منتزه له ، وحَمَل معه بناته، فاتبعه أَشْعَب، فلم يَجِدْ مَسْلَكًا للدخول عليه، فتَسوَّر الجدارَ، فقال

له وقد بَصُر به : يا أشعب ، اتّقِ الله بَنَاتِى بَنَاتى ، فقال أشعب : لقد عَلِمْتَ مالَنَا فى بَنَاتِك منْ حَقٍّ وإنَّك لتَعْلمُ ما نُرِيد . قال : فَضَحِك منه وأدخله .

قال وحدّثنى محمـد بن يزيد قال حدّثنى على بن عبد الله قال : دخل قوم على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، فكلَّمهم فأغلظوا له ، فَغضب . فقال له ابنهُ عبدُ الملك : وما يُغْضِبُك يا أمِير المؤمنين وإنمـا يَحْبِسُك[1] أن تأمر فتطاع؟ فقال : أمَا غَضِبْتَ أنت يا عبـد الملك؟ قال : بلى والله ، ولكن ما ينفعنى حِلْمِى اذا لم أَرُدَّه على غَضَبى فيَسكُن ، وأنشد :

وما الحِلْمُ إلا رَدُّكَ الغَيْظَ فى الحشا * وصَفْحُك بالمعروف والصَّدْرُ واغِرُ
تَرَى المَجْد والأحلام فينا فمـا تَرَى * سَـفِيها هَفَـا إلّا وآخَرُ زاجر

قال وأنشدنا الزبير قال أنشـدنى عمى مصعب بن عبد الله قال الزبير وأنشدنيه سـعيد بن عمر الزبيرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد قال قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضى الله تعالى عنهم هذه الأبيات :

تَغَلْغَل حُبُّ عَثْمة فى فؤادى * وباديه مع الخـافى يَسِـيرُ
تغلغـل حيث لم يَبْلُغ شراب * ولا حُزْن ولم يبلغ سُرور
صَدَعْتَ القلبَ ثم ذَرَرْت فيه * هَواكِ فَلِيم فالْتَام الفُطُـور
أكاد اذا ذَكَرْتُ العهـدَ منها * أطِـير لو انَّ إنساناً يطير
وأنفَـذَ قادِحاكِ سـوادَ قَلْبى * فأنْتِ علىّ ما عِشْـنَا أمـير

قال وأنشدنا الزبير :

لا تَشْتُمَنّ امرأً من أن تكون له * أُمٌّ من الرُّوم أو صَفْراء دَعْجاء
فَرُبَّ مُعْـرِبةٍ ليست بمُنْجِبة * ورُبَّمـا أنْجبتْ للفَحْل عَجْماء
وإنمـا أُمّهات القوم أَوْعِيـةٌ * مُسْتَوْدَعات وللأحسـاب آباء

قال وأنشدنى الزبير قال : أنشدنى عمّى لابن الحر :

إن تَكَ أُمّى من نساء أصابَها * سِباءُ القَنا والمُرْهَفاتِ الصَّفائح
فَتَبّاً لفَضْل الحُرّ إن لم أَنَل به * كرائمَ أبْنـاء النساء الصَّرائح

(١) كذا فى الأصل ولعله محرف عن يحسبك بتقديم السين على الموحدة أى يكفيك من قولهم أحسبنى الشىء أى كفانى .

[كتاب يزيد بن عبد الملك الى هشام الخليفة بعده يعاتبه وقد بلغه أنه يتمنى موته]

قال وحدّثنا الرياشي قال : كتب يزيد بن عبـد الملك الى هشام ، وكان الخليفةَ بعده ، هذه الأبيـات :

تمَـنَّى رجالٌ أن أموت وإنْ أَمُتْ * فتلك سبيل لَسْتُ فيها بأَوْحَـــد

فمـا عَيْشُ من يرجو رَدَاى بضائرى * وما عيش من يرجو رداى بمُخْـــلَد

فَقُلْ للذى يَبْغِى خِلافَ الذى مَضَى * تَجَهَّـز لأخرى مِثْلِهـا فكأنْ قَـدِ

قال : فكتب اليه هشام :

ومن لا يُغَمِّضْ عَيْنَه عن صَدِيقه * وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهْوَ عاتب

ومَنْ يَتَتَبَّـع جاهدًا كلَّ عَثْرةٍ * يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهْرَ صاحب

قال فكتب اليه يزيد :

لَعَمْـرُك(1) ما أدرى وإنِّى لأَوْجَلُ * على أَيِّنـا تَغْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّل

وإنِّى على أشْـياء منـــك تَرِيبُنِى * قديمـا لَذُو صفح على ذاك مُجْمِل

اذا سُؤْتَنى يوما صَفَحْت الى غدٍ * لِيَعْقُبَ يوما منـــك آخَرُ مُقْبِـل

وإنى أخوك الدائم العهد لم أَحُلْ * إنَ ابْزَاكَ خَصْمٌ(2) أو نَبـا بِكَ مَنْزِل

أُحارِبَ من حارَبْتَ من ذى عداوة * وأَحْبِس مالى ان غَرِمْتَ فأَعْقِل

سَتُقْطَع فى الدنيـا اذا ما قَطَعْتَنى * يَمِينُـك فانْظُرْ أىَّ كَفٍّ تَبَـدَّل

وكُنْتُ اذا ما صاحبٌ رام ظِنَّتِى * وبَدَّلَ سُوءًا بالذى كُنْتُ أفعـل

قَلَبْتُ له ظَهْرَ المِجَنِّ ولم أَدُمْ * على ذاك إلا رَيْثَ ما أتَحَـوَّل

وفى الناس ان رَثَّتْ حبالك واصل * وفى الأرض عَنْ دار القِلَى مُتَحَوَّل

اذا أنت لم تُنْصِف أخاك وَجَدْتَه * على طَرَف الهِجْران إن كان يَعْقِل

(1) بهامش الأصل يروى لعمرى ، وهذا الشعر لمعن بن أوس . (2) أبزاك خصم : غابـك وقهرك ، ومنه قول أبي طالب يعاتب قريشا فى أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمدحه :

كذبتم وحق الله يبزى محمد * ولمـا نطاعن دونه ونناضـل

كذا فى اللسان .

ويَركَبُ حَدَّ السَّيْف من أن تَضيمه * اذا لم يكن عن شَفْرةِ السَّيْف مَزْحَل[1]

قال أبو علي : وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الزبير بن بكار :

وأَبْثَثْتُ عمرًا بعضَ ما فى جَوَانحى * وجَرَّعْتُــه من مُرِّ ما أتجرَّع

ولا بُدَّ من شكوى الى ذى حَفيظة * اذا جَعلَتْ أسرارُ نفسى تَطَلَّــع

قال : وأنشدنا أيضا :

ألا يا خليلَ النفس هل أنت قائل * لزينب حاجاتى الــتى أنا هائب

وما بِيَ عِيٌّ أنْ أقول بحاجتى * ولكنَّما يَمْشِى عَــلَىَّ الرَّقائب

بَلَى فاسْلَمِى يا دارَ زَيْنَبَ وانْعَمِى * صَباحا اذا ما كان سَــلْمٌ مُقارِب

فأمَّا سَــلامٌ والحُرُوبُ مكانهــا * فلا كَيْفَ يُهْدِى بالسلام المُحارِب

قال أبو علي : وأنشدنا أبو بكر بن أبي الأزهر قال : أنشدنا أحمد بن يحيي ثعلب لبعضهم :

إنِّى وانَّ بَنِى عَمِّى لَفِى خُــلُقٍ * عَمَّــا قليل أراه سوف ينكشف

يُزَمِّــلون جَنِين البُغْض بينهــمُ * والضِّغْن أسْوَد أو فى وجهه كَلَف

اذا لَقِيناهُـــمُ نَمَّتْ عيونهـــمُ * والعَيْن تُخْبِر ما فى القلب أو تَصف

---

(١) قال ثعلب : اشتكى الوليد بن عبد الملك ، وبلغه قوارص وتقريض من سليمان بن عبد الملك وتمن لموته لما له من العهد بعده ، فكتب اليه يعتب عليه وفى آخر كتابه :

تمنى رجال أن أمــوت وان أمت * فتلك طريق لست فيها بأوحـــد

وقد علمـــوا لو ينفع العلم عنـدهم * لئن مت ما الداعى على بمخــلد

منيتـــه تجرى لوقت وحتفـــه * سيلحقه يوما عـــلى غير موعـــد

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تهيأ لأخرى مثلها فكأن قـــد

فكتب اليــه سليمان : قد فهمت ما كتب به أمير المؤمنين ، فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميــلا لما يخطر فى النفس ، إنى لأوّل لاحق به وأول منعيٍّ الى أهله ، فعلام أتمنى مالا يلبث من تمناه إلا ريث مايحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه ! وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهـر على لسانى ولم ير فى وجهى ، ومتى سمع من أهل النميمة ومن لا روية له أسرع ذاك فى فساد النيات والقطع بين ذوى الأرحام ، وكتب فى آخر كتابه :

ومن يتتبــع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد : قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، فما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليــه ! وأنت الصادق فى المقال ، الكامل فى الفعال ؛ وما شىء أشبه بك من اعتذارك ، وما شىء أبعد منك من الذى قيل فيك ، والسلام . روي هذا ثعلب فى المجالسات ، كذا بهامش الأصل ملحقا بهذا الموضع .

[سؤال مسلمة بن عبد الملك لنصيب الشاعر وما أجاب به]

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنى ابن عائشة قال قال مسلمة بن عبد الملك لنُصَيْب : أَمَدَحْتَ فلانا ؟ يعنى رجلا من أهل بيته . قال له : قد كان ذاك . قال : أوَحَرَمَك؟ قال : قد كان ذاك . قال : أفلا هَجَوْتَه؟ قال : لم أفعل . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنى كنت أَحَقَّ بالهجاء منه ، اذ وَضَعْتُ مدحى فى مثله ، فأعْجَبَ مسلمةَ قولُه ، فقال له : سَلْنِى . قال : لا أفعل . قال : ولِمَ؟ قال : لأن يَدَكَ بالعطاء أَسْمَحُ منى بالسؤال ، فأعطاه ألفَ دينار .

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد لشيخ من الأزد يقوله فى محمد بن يحيى بن خالد وقد امتدحه فَحَرَمه

أَقِلْنِى يا مُحَمَّـــدُ بنَ يَحْيى * مقالا لم أكن فيه صَدُوقا

جعلتُك فيه ذا مجد وبأس * وتلك مقالة بك لن تَليقا

فَلَسْتَ بضائر أبدًا عَدُوًّا * ولست بنافعٍ أبدا صَدِيقا

قال وأنشدنا أيضا :

مِنَ الناس مَنْ يَغْشَى الأباعدَ نَفْعُه * ويَشْــقَى به حَتَّى المماتِ أقاربُهْ

فان كان خيرا فالبعيد ينـاله * وإن كان شرا فابْنُ عمك صاحبُه

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

سقانى هُـذَيْلٌ من شراب كأنَّه * دَمُ الجَوْف قد يُدْنِى الحليمَ من الجهل

حَطَطْت عليـــه وافر العقل صاحيا * فما زال بالتقريب والأهــل والسهل

وما زِلْتُ أُسْــقَى شربةً بعــد شربة * من الراح حتى أُبْتُ مُخْتَلَسَ العقــل

ســقانى ثلاثا واثنتين وأربعا * نَخَتَرْنَ ما بين الذُّؤابة والنَّعــل

فَرُحْتُ كأنَّ الأرضَ أَرْكُلُ مَتْنَها * اذا هى دارت بى فَيَعْــدِلُها رَكْلى

كأنِّى ونَفْسِى بين دار ابن ســالم * ودار غريب فى أَفَاحِيصَ أوْ وَحْل

[ما وقع لكثير عزة مع جميل بن معمر وقد التقيا]

قال وحدّثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة قال حدّثنا الباهلى عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العــلاء قال حدّثنى أدهم التميمى قال : لقيت كُثَيِّرَ عَزَّة ، فقال لى : لقينى جميــل بن معمر فى موضعك هــذا ، فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحبيبة والى الحبيبة ، أعْنِى أبا بُثَيْنة وأعْنِى عَزَّة .

فقال لى : ان لى اليك حاجة ولا بدّ من قضائها : ترْجع الى بُثَيْنة وتُواعدها لى مَوْعدا . قلت : إنّى أستحى من أبيها وعَهْدى به آنفا . قال : فلا بدّ من ذاك . قلت : مَتَى أحْدَثُ عَهْدك بها ؟ قال : بالدَّوْم وهم يَرْحَضُون ثيابا . قال : فرجعت الى أبيهــا عَوْدى على بَدْئى، فقال : ما ردّك يابنَ أخى؟ قال : قلت أبياتا عَرَضَتْ لى أحببت أن أُنْشِدَكها قال : وما هى؟ قلت :

وقُلْتُ لهــا يا عَزّ أرســل صاحبي * على نَأْى دارٍ والرَّســول مُوَكّل

بأن تجعــلى بينى و بينــك مَوْعدا * وأن تأمرينى بالذى فيــه أفعل

وآخرُ عهـــد منك يـــوم لَقِيتِنى * بأسفل وادى الدَّوْم والثّوْبُ يُغْسَل

قال : فَضَرَبَتْ بثينة الجدار، وقالت : اخسأ اخسأ، فقال لها الشيخ : مَهْيَمْ يا بثينة ؟ فقالت: كلب يأتينا اذا نَوَّمَ الناسُ من وراء الرابية . قال : فرجعت الى جميل فأخبرتُه أنها قد وَعَدَتْه اذا نَوّم الناس من وراء الرابية .

قال وحدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدثنى رجل من أهل اليمامة قال : كان لنا غلام زِنْجِى أعجمى قد نَطَق وفَهِم شيئا من العربية، وكان يسوق ناضحا لنا ويرتجز بكلام لا نَتَبَيَّنه، فمرّ بنــا رجل فسمع كلامَه وأَصْغَى اليه، فقلنا له : أتفهم ما يقول ؟ قال : نعم ينشد :

فقلت لهــا أنّى اهتــديتِ لفِتْية * أناخوا بجَعْجاعٍ قَــلائص سُهَّما

فقالت كذاك العاشقون ومن يَخَفْ * عيونَ الأعادى يَجْعَلِ اللّيــل سُلَّما

قال : فكنّا نتفهمه بعد فنردّ لفظه الى ترجمتنا .

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لأعرابى يقوله فى ابنه :

أَلَا يا سُمَيّـــةُ سُقِّى الوَقُـــودا * لَعَـــلّ الليــالى تُؤدّى يزيـــدا

فنفسى فـداؤك مــن غائب * اذا ما المَسارِحُ أضحت جَليـــدا

كفانى الذى كنتُ أسْـــعَى له * فكان أبًا لى وكُنْتُ الوليـدا

[حديث أبى جعفر المنصور مع رجل من أهل الشأم]

قال وحدثنــا عمر بن شبة قال حدثنى يحيى قال حدثنى رجل مــن ولد خزيمة بن يحيى قال : قدم رجل من أهــل الشأم من بنى مُرّة على أبى جعفر المنصور، فتكلم معــه كلاما حَسَنا، فقال له أبو جعفر : حاجَتَك؟ فقال : يُبْقِيك الله يا أمير المؤمنين . قال : حاجتك فإنه ليس كلّ ساعة يُمْكِنُك

هـذا ولا تؤمر به ؟ فقال : والله ما أَسْتَقْصِر عُمْرَك ، ولا أخاف بُخْلَك ، ولا أَغْتَنِم مالَك ، وإنَّ سؤالك لَشرف ، وإن عطاءك لَزَيْن ، وما بامرئٍ بَذْل وَجْهِه اليك نَقْصٌ ولا شَيْن ؛ فقال أبو جعفر : يا ربيع ، لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم ، فحُمِلت معه .

***

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

كُلُّ يوم يَمُـرُّ يأْخُـذُ بعضى * يأخذ الأطْيَبَيْنِ مِنِّى ويَمْضِى
قـد تَلَذَّذْتِ بالمعاصى قديمـا * نَفْسِ كُفِّى ليس المعاصى بفَرْض

قال وأنشدنا أيضا :

كُنْ حَيِيًّا اذا خَـلَوْتَ بذنب * واحْـذَرِ السُّخْط مِنْ عَلِيٍّ مَجِيـد
وَيْـكَ بارزْتَ من يَرَاك عُتُـوًّا * وتَوَارَيْت عن عيون العبيـد
وبِحِـلْم الإله عُـدْتَ الى الذنـ * ـب ولم تَخْشَ غِبَّ يـوم الوعيـد
أقَـرَأْتَ القرآن أم لَسْتَ تَدْرِى * أن ذا العَرْش دُونَ حَبْـل الوريد

انتهى ما أملاه أبو على من النوادر زائدا على ما فى الأمالى صِلَةً لها بحمد الله وعونه ، وآخرُ ما جمعت من ذلك قصيدةٌ رُثِىَ بها أبو بكر بن دريد لبعض البغداديين يقولهـا فيه تَغَمَّده الله برحمته ورضوانه وهى هذه :

يَلُوم عـلى فَـرْط الأَسَى ويُفَنِّـد * خَـلِىٌّ من الوَجْـد الذى يتجدّد
ويُكْبِر أن يَنْهَلَّ دمعٌ أراقـه * تَضَـرُّم نار فى الحَشَا ليس تَخْمُـد
ويَسْـتَصْغِرُ الرُّزْءَ الذى جَلَّ قَـدْرُه * وكلُّ امْرِئٍ باكٍ عليـه ومُسْـعِد
حَرَامٌ على الأجفان أن تَرِدَ الكَرَى * أجَـلْ ما لها الا التَّسَـهُّدَ مَـوْرِد
وبَسْـلٌ على المحزون أن يَقْبَل الأَسَى * بَـلَى حَظُّه حُزْنٌ به الدهـر يَكْمَد
فما لِجُفُونى عِـذْرَةٌ حين تَرْقُـد * ولا لِدُمُوعى سَـلْوة حين تَجْمُـد
هـو الدهـر يرمينا بأسهم صَرْفـه * فَيُصْمِى الرَّمايا حين يَرْمِى ويُقْصِد
فـلا جَمْعَ الّا والزمان مُفَـرِّق * ولا شَمْـلَ الا بالخُطُـوب مُبَـدَّد
ولا عهـد الا والليـالى وصَـرْفُها * تَحُـول به عن كل ما كنتَ تَعْهَد

ولا حال الا وَهْيَ رَهْنُ تَنَقُّــل * اذا صَلَحت فى اليــوم أفسدها الغَد
جَرَتْ عادةُ الدنيـا بكل الذى تَــرَى * وليس لهـا تَــرْكٌ لمـا تَتَعَــوَّد
فصــبرا وتســليما لكل مُلِمَّــة * اذا لم يكن يوما عــلى الدهرِ مُنْجِـد
لَعَمْرُك ما أصبحتُ جَلْدًا عــلى التى * مُنيتُ بهـا لكنَّنى أتجَــلَّد
أَفى كلِّ يــوم يُفْقد الدهرُ ما جــدا * يَعِــزُّ علينـا فَقْــدُه حين يُفْقَد
وتَفْجَعُنا الدنيـا بعِــلْق مَضَــنَّةٍ * تُنَـافس فيــه ما حَيِينا وتَحْسُــد
نُوَدِّعُ خُلَّانَ الصــفاء وتَقْطَع الــ * ــمقاديرُ مِنَّـا وُدَّ من يَتَــوَدَّد
نُفَارِق من نَلْــقَ الرَّدَى بفــراقه * ويَنْأَى القريب الإِلْفُ منا ويَبْعُــد
أرانا بصَــرْف الدهرِ نَفْنَى ونَنْفَــد * وتَفْــنَى صُروف الدهرِ أيضا وتَنْفَد
عليــك أبا بكر ســلامٌ ورحمــةٌ * بهـا فى جِنَان الخــلد أنت مُخَــلَّد
وجاد ثَرًى ضُمِّنْتَــه كلُّ وابــل * من المُــزْن وَكَّافٌ يُراح ويُرْعَــد
اذا ما اســتطار الــبرقُ فى جَنَباته * حَسِــبْتَ الظُّبا فيــه عشاء تُجَــرَّد
وإنْ أَرْزَمَتْ فيــه الرَّوَاعدُ خِلْتَــه * حَنِينَ مَتَـالٍ فى يَفَـاعٍ يُــرَدَّد
فقد ضَمَّ منكَ التُّرْبُ مَجْــدا وسُودَدا * يُقَصِّــر عن أَدْنَى مَــدَاه المُسَــوَّد
فَقَدْنَاك فِقْــدانَ المَصابيح فى الدُّجَى * اذا ضَلَّ عن قَصْــدِ الهداية مَقْصَــد
وماتت بموت العــلم منـك قلوبُنـا * وكُنْتَ حَيَاها لم تزل بك تُرْشَــد
لِتَبْكِكَ أبكارُ المَعَـانى وعُونُهـا * وغُرُّ القَوافِى حين تُرْوَى وتُنْشَــد
تَسِــيرَ مَســيرِ الأَنْجُــم الزُّهْرِ كلَّمـا * خَبَا ضَــوْءُ شِــعْرٍ أشرقتْ تَتَوَقَّــد
لأَنْشَرْتَ بالعــلم الجليــلَ خِلَلْتَنـا * نُشَاهِــده إنْ ضَمَّنَا منــك مَشْهَد
وجالَسْــتَنا بالأَصْمَــعِيِّ ومَعْــمَرٍ * وأَوْجَــدْتنا ما لم يكن قبــلُ يُوجَد
وَخِلْنـا أبا زيــد لَدَيْنـا مُمَثَّــلا * وأنت بفضــل العــلم أعــلى وأَزْيَد
وشــاهَــدْتَنَـا بالمـازِنِيِّ وعلمــه * وما غاب عنَّـا اذ حَضَــرْتَ المُبَرِّد
وكنت إماما فى الروايات كلِّهـا * يضافُ اليك الصِّــدْق فيهـا ويُسْنَد
هَوَتْ أنجمُ الآدابِ والعــلِم واغْتَدَتْ * رِيَاضُهما من بعــده وهى هُمَّد

وكانَ جنابُ العــلم اذ كان مُخْصِبا * وأفنــانُه مِيــلٌ رِواءٌ تَمَيَّــد
لقــد أصبحتْ مُذْبان وَهْى هَشَائمٌ * ثَوَابِتُهــا تُجْتَثُّ منهــا وتُعْضَــد
مَضَيْتَ أبا بكر حَميــدا وخَلَّفَتْ * مَساعِيــك فَضْــلًا بيننا ليس يُجْحَد
كما وَدَّع الغيثُ الذى عَــمَّ نَفْــعُه * وأَضْحَى بــه كلُّ الــبرية يُرْفَــد
تَوَحَّــدْتَ بالآداب والعــلم والحجا * فأنت بحُسْن الذكر منهــا مُوَحَّــدُ
حَمِــدْنا بــك الأيَّام ثُمَّتَ عاضَــنا * مُصابُك منهــا ذَمَّ ما كان يُحْمَــد
شَهِدْنا عــلى الأيَّام أنَّ سُرورَها * غُــرورٌ كما كنا بفضــلك نَشْــهَد
عــلى أىِّ شيءٍ منــك نَأْسَى اذا جرت * محاسنُ وَصْــفٍ بادِئاتٌ وعُــوَّد
على علمِــك الوارى الزِّنادِ اذا غــدا * زِنادُ امرئٍ فى علمــه وهــو مُصْلِد
وأخلاقك الغُــرَّ اتى لو تَجَسَّــدَتْ * لكانت نجومَ الســعْد حين تَجَسَّــد
عــلى رأيك المــاضى المُضِىءِ الذى به * يُفَضُّ رِتاج الخَطْب والخطبُ مُؤْصَد
لقــد شَمِلَتْ فيــك الرَّزِيَّةُ يَعْــرُباً * ولم يَخْــلُ منهــا فيــك من يَتَمَعْدَد
مَضَى ابن دُرَيْد ثم خَــلَّدَ بعــده * ســوائرَ أمثــالٍ تَغُــور وتُنْجِــد
بدائع من نَظْــمٍ ونَــثْرٍ كأنَّهــا * عقُــودٌ زَهاها دُرُّها حين تُعْــقَد
كأن لم تكن تُرْوِى غَليــلَ مَســامع * بقَــوْلٍ به يُطْفَى الغليــل ويُــبْرَد
ولم تَنْــدَهِ الخَصْــم الألَدَّ بمُسْكِتٍ * يُغَــادِرُه مُسْــتَوْهِــلًا يَتَــلَدَّد
ولم تُوقِــظ الآراءَ عنــد سِــنَاتِهــا * وقــد تَوَسَّنُ الآراءُ حينا وتَرْقُــد
ولم تَجْلُ أصــداءَ القلوب ولم يَقُــمْ * ثِقَــافُــك منهــا كُلَّ ما يتأوَّد
فمــا منك مُعْتاضٌ ولا عَنْــك سَــلْوة * نَظِــيرُك معــدوم وحُزْنى مــؤبَّد
عليــك ســلامُ الله ما ذَرَّ شــارقٌ * وغَرَّد فى الأَيْــك الحَمام المُغَــرِّد

كمل الكتاب والحمــد لله وحده حمــدا كثيرا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

